السبت 9 أيلول 2023
العدد 5006 السنة الثامنة عشرة
Samedi 9 Septembre 2023 nº 5006 18ème année

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

28 صفحة
50000 ليرة

كلمات

فريدريش ديش
في جحيم النازية

عين الحلوة: أزمة الثقة تترجم جولات قتالية بلا جدوى

المفتي (شخصياً) لا يريد التمديد [2]

اطلب القوس مع الأخبار

بيروت... قبل مجيء البرابرة

[10 ـ 11]

البلاد

من أوسلو إلى هانوي: أبطال حرب التحرير الوطنية

16

تقرير

أفواج الإطفاء تستغيث:
هل تصبح الخدمات مدفوعة؟

4

تقرير

جلسة دار الفتوى اليوم: دريان (شخصياً) لا يُريد التمديد

لينا فخر الدين

«السعودية «تُنهي خدمات» وكلائها الحصريين وتفتح الباب مع مصر أمام إدارة جديدة لـ«الساحة السنية»

التأثير الكبير لغياب المرجعيات السياسية القوية، على المؤسسات التابعة لها تقليدياً. وذلك يعود لعدم قدرتها على مواجهة تحدّيات كالتي تواجهها حالياً.

المفتي أبلغ كثيرين أمس، أنه لا يريد التمديد لنفسه، لكنه يريد انعقاد جلسة المجلس الشرعي. وهو كان مهتماً بسبل إقناع نائبه الوزير السابق عمر مسقاوي بالحضور، حتى يترك له المقعد كي يدير الجلسة. لكنّ الأخير ظلّ حتى مساء أمس معارضاً الحضور، لأنه يرفض فكرة التعديلات المقترحة على المواد المُنظمة لعمل دار الإفتاء، والتي تتجاوز فكرة التمديد لتطاول صلاحيات من ينوب عن المفتي في حال غيابه.

لكن، وإلى جانب البحث المُتّصل بالجلسة، كان الجميع يراقب المحصّلة السياسية لما جرى ويجري. إذ تبدو السعودية، وكأنها قررت إقفال «دور أيتامها»، وأنها ماضية في شطب كل السياسيين التقليديين السُّنّة الذين تبنّتهم سابقاً. وهي لم تعد ترى أن تيار المستقبل يعني لها شيئاً، وهي لا تريد بعد اليوم أن تُحاربه بسيف الرئيس فؤاد السنيورة؛ بعدما بات الأخير «ورقة محروقة» استخدمته في إقصاء الرئيس سعد الحريري عن الساحة السياسية وبعدها في الانتخابات النيابية، قبل أن يتبيّن أنه غير نافع.

لم تعد للمملكة أعمال بلا بركة، فكل شيء بات محسوباً بعناية. هي التي أعطت لمصر موافقتها على التمديد للمفتي، حتى تأخذ مصر ما تُريد من تعديل المرسوم 18، ويحصل السعوديون على «حصّة كاملة» في دار الفتوى من دون أن يتقاسموها مع أحد. ومع ذلك فإن جلسة «المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى» المُقرّرة اليوم تبقى على المحك. علماً أن المفتي شعر خلال اليومين الماضيين بأن هناك معارضة جدّية لفكرة التمديد، سواء من غالبية رجال الدين أو من سياسيين.

(هيثم الموسوي)

أما العقبة «السنية» التي عملت على تثبيتها لعقود، وقرّرت أن تتعامل مع جميع الأطراف؛ فسفيرها في بيروت مثلاً يستقبل النائب حسن مراد أكثر ممّا يلتقي السنيورة. يزور فيصل كرامي ولا يزور الحريري حينما أتى إلى بيروت. في تأكيد على أننا أمام صفحة جديدة من التعامل السعودي مع لبنان، والذي سيكون محوره الغالب، مفتي الجمهورية، حاملاً الوكالة غير الحصريّة.

ومع ذلك، سيكون دريان المفتي القوي في السياسة والضعيف في «عائشة بكار». فحتى ولو حصل التمديد في جلسة اليوم، أو حتى قبل أشهر من نهاية ولايته بعد 18 شهراً، هو يدرك صعوبة مواجهة رجال الدين والقضاة الشرعيين. وهو لمس التّوتر الناجم عن فكرة تعديل المرسوم 18 لـ«قصقصة أجنحة» أمين دار الفتوى وتسليم صلاحياته لمن يُعيّنه رئيس الحكومة.

ومع أن التعديل الخاص بوكيل المفتي بدا أنه يستهدف أمين دار الفتوى الشيخ أمين الكردي، واتهامه بأمور لا علاقة له بها، فإن الأخير ركّز في خطبة الجمعة أمس على دعوة دريان ورجال الدين إلى رفض التعديلات، وتأكيد أنه «لا داعشي ولا إخواني». وبعد خطبة الكردي، كرّت سبحة العلماء الذين انتقدوا التعديلات المطروحة. لكنّ الهم الأوّل لدى المتحمّسين لفكرة التمديد، تركّز على سُبل تأمين النصاب القانوني: ثلاثة أرباع أعضاء المجلس المُكوّن من 32 عضواً، إضافةً إلى رئيسه مفتي الجمهورية والأعضاء الحُكميّين، وهم رؤساء الحكومات المتعاقبون. وقد تمّ استدعاء جميع الأعضاء المسافرين وحشد الأعضاء في المناطق، وقد جمعوا التواقيع على عريضة إدخال التعديلات على المادة 6، ويتردّد أن التعديلات على المادة 27 تمّ التوقيع عليها من قبل دائرة ضيّقة من «الأعضاء الموثوقين».

واهتمّ هذا الفريق بموقف الوزير السابق عمر مسقاوي الرافض لحضور الجلسة وترؤسها، والذي أبلغ من يهمّه الأمر أنه ليس بوارد مخالفة مواد النظام الداخلي للمجلس والتي لا تسمح بانعقاد جلسات التشريع خلال فصل الصيف، ولا حتى بإدراج أيّ بند من خارج جدول الأعمال، مؤكداً للمُتّصلين به أنه «برفض الحضور كشاهد زور وختم حياته المهنيّة بمخالفة القانون الشرعي».

من جهتهم، يتدارس المعارضون للتمديد الخيارات المُتاحة أمامهم، إذ بدأ هؤلاء حملةً على مواقع التواصل الاجتماعي، ورجّح بعض هؤلاء أن يلجأ المعارضون إلى مقاطعة الجلسة، أو الطعن فيها في حال عُقدت وأُقرّت التعديلات على القوانين الناظمة لعمل دار الفتوى.

في الواجهة

ماذا عن حوار «حزب الله» والقائد؟

الانطباع الشائع أن القاسم المشترك الوحيد بين حزب الله والتيار الوطني الحر منع وصول قائد الجيش الى رئاسة الجمهورية. بعد الكشف عن اجتماع العماد جوزف عون بالنائب محمد رعد. فتح باب التأويل والتحليل كما الوان الخيارات في طور التبلد، او في طور التفكير

نقولا ناصيف

أيّاً يكن مُسرّب الاجتماع غير المعلن بين رئيس كتلة نواب حزب الله محمد رعد وقائد الجيش العماد جوزف عون، فإن توقيت حصوله والكشف عنه دونما الإفصاح عن مضمونه يوازيان المداولات أهمية. في الوقت الحاضر على الأقل، في مرحلة لا تشي باكثر من تبادل حسّ النبض. لكلا الطرفين، حزب الله وقيادة الجيش، مصلحة في تسريب نبأ الاجتماع. حصوله جملةً وآخرون متقاعدون يجزمون أمام مَن يجتمعون بهم بوصوله الى المنصب. 2 . ليس الاتصال الأول للحزب بقائد الجيش بعد حادثة الكحالة في 10 آب لم يُرض فيها أداء الجيش فريقيْ ما حدث يومذاك، الحزب وأهالي البلدة. بيد أن ثمة ماخذ مضافة زادت في إربال علاقة القيادة بالحزب. مصدر الإربال الذي أفضى الى امتعاض وانزعاج، رفض عون إعادة الأسلحة المنقولة في الشاحنة المنقلبة في الكحالة قبل إتمام التحقيق الجاري وتحديد المسؤوليات، فيما طلب الحزب استعادتها للفور.

يريد عون أيضاً تفادي رد فعل أميركي سلبي سينجم عن إعادة السلاح الى الحزب. استعجال حزب الله استعادة ذلك السلاح للحؤول دون سابقة بعدما اعتاد الجيش في أوقات ماضية تسليمه للفور أسلحة صار الى اكتشافها أو صادرها، ولا سيما التي كانت تدخل الى الأراضي اللبنانية من سوريا. مصدر الحذر أن السفارة الأميركية تراقب أداء القائد بدقة في وقت لا تخفي عدم ممانعتها وصوله الى رئاسة الجمهورية. إلا أنه قيد الفحص اليومي. 3 . بعض المعلومات المستقاة من اجتماع الرجلين أنهما ناقشا . الى تصويب العلاقة بين الحزب والجيش بعد حادثة الكحالة . الاستحقاق الرئاسي في باب عموماته وضرورة حصوله، مقترنة بتاكيد رعد موقفَين أبلغهما الى قائد الجيش: مرشحه للرئاسة هو حليفه وصديقه فرنجية، إلا أن الحزب يربط مستقبل الرئاسة بالحوار اللبناني . اللبناني: مع أنه يعرف سلفاً أن ثباته على ترشيح فرنجية ليس ابن حوار لبناني .لبناني مقدار ما هو خيار الثنائي

رعد لقائد الجيش: مرشحنا حليفنا فرنجية، ونربط مستقبل الرئاسة بالحوار اللبناني ـ اللبناني

الشيعي وحده، إلا أن التفكير في خيار سواه يقتضي انبثاقه من حوار داخلي يدرك الحزب أن من الصعوبة بمكان الوصول إليه. 4 . ليس سهلاً على حزب الله توأمة تمسكه بفرنجية رئيساً للجمهورية وفتح نصف الأبواب مع عون. في الشهور المنصرمة في الشغور الرئاسي، لمس التأييد الذي يحظى به قائد الجيش، على الأقل لدى أكثر من نصف أعضاء دول الخماسية بين اجتماعات باريس وقطر. مع ذلك، وقف على طرف نقيض منها بالإصرار على فرنجية. المعضلة الفعلية لحزب الله أنه قبالة معادلة أقرب ما تكون الى مفاضلة بين سيّئ وأسوأ. الأصح أنه واقع بين «شرّين»: شرّ باسيل الذي يحتاج إليه لانتخاب فرنجية واستعادته الغالبية النيابية دونما أن يجعل منه رئيساً، وشرّ قائد الجيش إذ يفضّله أن يكون ظهيراً له لا على رأس الدولة. ربما قلّة يعلمون أن الرئيس ميشال عون، عندما اختار القائد الحالي للجيش على رأس المؤسسة العسكرية في آذار 2017، لم يتلقّف حزب الله الخبر برضى وارتياح، قبل أن يضيف الرئيس السابق أنه الضامن. 5 . قد يكون باسيل أحد أبرز . إن لم يكن الوحيد . المصوِّب إليهم من لقاء رعد وعون. حواره مع حزب الله مستمر، بيد أن شروط التيار الوطني الحر الى تزايد دونما أن يمتلك الحزب بمفرده مقدرته على منحه ما يتقاسمه معه آخرون في مجلس النواب كالرئيس نبيه بري وكتلة «اللقاء الديموقراطي» والنواب السنّة. بدأت لقاءات نائبي الطرفين: الآن عون وعلي فياض كلجنة مكلفة درس مشروع قانون اللامركزية الإدارية والمالية الموسعة. ليس أدلّ على خيار نائبي فقط لا يملكان سلطة التقرير سوى أحد مؤشرات أن أوان الاستحقاقات الفعلية لمّا يزل بعيداً: انتخاب الرئيس وقانونا اللامركزية الإدارية والمالية الموسعة والصندوق الائتماني. مع ذلك كله، لم يقل باسيل علناً إنه ذاهب الى انتخاب فرنجية.

تبديد ذيول حادثة الكحالة لتفادي سابقة عدم استعادة الحزب اسلحته (رئاسة)

ملاحظات: 1 . في الغالب، يستقبل الجيش مسؤول وحدة الارتباط والتنسيق في حزب الله وفيق صفا في البرزة، في مكتب قائد الجيش أو مدير المخابرات. غير المألوف. ما لم يكن الزائر وفد نواب الحزب كما في بعض مرات.

أن يقتصر على رئيس كتلة النواب والقائد. بذلك يتجاوز مغزى الاجتماع بُعداً أمنياً كالذي اعتاد عليه صفا، كي يكتسب بُعداً سياسياً محضاً يمثّله رعد في قيادة حزب الله وصنع قرارها: بعد الأمين العام السيد حسن نصر الله، هو أحد خمسة متساوي الأدوار يشكلون مجلس الشورى. ثاني غير المعمّمين من بينهم مع حسين الخليل (مساعد الأمين العام)، فيما المعمّمون الأوسع نفوذاً وتأثيراً في القيادة بعد الأمين العام هم الشيخ نعيم قاسم (نائبه) والسيد هاشم صفي الدين (رئيس شورى التنفيذ) والسيد إبراهيم أمين السيد (رئيس المكتب السياسي). ذلك ما يضفي جدية على حصول اللقاء في ذاته قبل الوصول الى مناقشاته والمقال فيه وغير المُقال. ما يعرفه حزب الله وسواه أن قائد الجيش لا يخفي سعيه الى الرئاسة. هو مرشح نفسه مقدار ما يرشحه آخرون. أحاط نفسه بفريق عمل فيهم ضباط حاليون وآخرون متقاعدون يجزمون أمام مَن يجتمعون بهم بوصوله الى المنصب. 2 . ليس الاتصال الأول للحزب بقائد الجيش بعد حادثة الكحالة في 10 آب لم يُرض فيها أداء الجيش فريقيْ ما حدث يومذاك، الحزب وأهالي البلدة. بيد أن ثمة ماخذ مضافة زادت في إربال علاقة القيادة بالحزب. مصدر الإربال الذي أفضى الى امتعاض وانزعاج، رفض عون إعادة الأسلحة المنقولة في الشاحنة المنقلبة في الكحالة قبل إتمام التحقيق الجاري وتحديد المسؤوليات، فيما طلب الحزب استعادتها للفور.

يريد عون أيضاً تفادي رد فعل أميركي سلبي سينجم عن إعادة السلاح الى الحزب. استعجال حزب الله استعادة ذلك السلاح للحؤول دون سابقة بعدما اعتاد الجيش في أوقات ماضية تسليمه للفور أسلحة صار الى اكتشافها أو صادرها، ولا سيما التي كانت تدخل الى الأراضي اللبنانية من سوريا. مصدر الحذر أن السفارة الأميركية تراقب أداء القائد بدقة في وقت لا تخفي عدم ممانعتها

تقرير

جولات عين الحلوة تترجم أزمة الثقة بين المتقاتلين

آمال خليل

سُجّل إقدام مدفعية الجيش على توجيه ضربات ردّاً على قصف خارج المخيمات في مخيم عين الحلوة

الجيش في الجنوب العميد سهيل حرب قد استضاف أمس أمين السر في «فتح» فتحي أبو العردات وممثّل «حماس» في لبنان أحمد عبد الهادي، بعد انفجار الوضع الأمني في المخيم، واستمرار الاشتباكات على محور جبل الحليب - حطين. ومن المرجّح أن يتحوّل الاتفاق كما سابقه إلى هدنة، بانتظار الجولة الثالثة.

وقال مطّلعون لـ«الأخبار» إن «أولوية المجتمعين كانت وقف النار. ومن بعدهما، تعاود هيئة العمل الفلسطيني المشترك استكمال المفاوضات لتنفيذ المقرّرات التي صدرت بعد جولة الاشتباك الأولى من تسليم المطلوبين باغتيال العميد الفتحاوي أبو أشرف العرموشي ومرافقيه والإسلامي عبد فرهود وإخلاء مدارس الأونروا من مقاتلي فتح والإسلاميين».

وتتوافق قوى لبنانية وفلسطينية على أن الجولة الثانية من القتال كادت أن تكون نسخة مُكرّرة عن الجولة الأولى، وهي لم تُنجز أصلاً سوى المزيد من المآسي لأهالي المخيم. حتى إن المرجعيات اللبنانية التي تسابقت في الاشتباك الأول إلى عقد لقاءات التنسيق بين الفلسطينيين والتفاوض بين المقاتلين، لم يُسجل لها حضور هذه المرة. وفي هذا السياق، توقّف مصدر عسكري عند «عجز فتح عن تحقيق إنجاز عسكري بوجه الإسلاميين على غرار عجزها عن ضبط مقاتليها بعد وقف إطلاق النار». وتحدّث المصدر عن «التباين الفتحاوي الداخلي الذي يتحمّل مسؤوليته بشكل رئيسي أحد النافذين وشقيقه المرتبطان مباشرة برئيس جهاز المخابرات الفلسطينية ماجد فرج».

من ناحية المجموعات الإسلامية، فقد احتشد عناصرها في موقع مُوحّد، مع دعم واضح لهم من قبل «عصبة الأنصار الإسلامية» و«الحركة الإسلامية المجاهدة»، بعدما ابتعدت العصبة والحركة عن تادية دور التفاوض بين الدولة و«فتح» و«الشباب المسلم»، كردّ فعل على التضييق الأمني ضدّهم. وعمدَ شبابُ «العصبة» إلى قصف مراكز فتح، ردأ على قصف معقلها في حي الصفصاف، ليل الخميس الماضي.

انكفاء اللاعبين الرئيسيين اللبنانيين والفلسطينيين، حوّل القتال بين ليل الخميس وعصر الجمعة إلى اشتباك عبثي في الوقت البدل من الضائع. لكن، بخلاف الاشتباك الأول، لم تنحصر المعارك هذه المرّة بين البراكسات وجبل الحليب من جهة والصفصاف والطوارئ من جهة أخرى، إذ دخلت مجموعة الإسلامي عبد حوراني المتواجدة في حي حطين على الخطّ بقوة، لتخفيف الضغط عن جبهة الطوارئ.

عسكرياً، لم يُسجّل الطرفان أيّ تغيير ميداني. كما أن الجيش جدّد رفضه التدخل عسكرياً في ظل عجز «فتح» عن الحسم. لكن سُجّل إقدام مدفعية الجيش على توجيه ضربات إلى معاقل في الطوارئ، ردأ على قصف مناطق خارج المخيم.

وتحت وطأة الاشتباكات العنيفة، نزح الآلاف باتجاه صيدا وجوارها وتمركز المئات في مسجد الموصلي وبلدية صيدا. وخوفاً من إطالة أمد القتال، نُقل نازحو «الموصلي» المحاذي للمخيم إلى تجمّع سبلين في إقليم الخروب بشكل مؤقت. لكنّهم عادوا ليلاً إلى المخيم بعد الإعلان عن وقف إطلاق النار مساء. وكان لافتاً إطلاق قذائف في أجواء مدينة صيدا، وبوتيرة أعلى من الاشتباك الأول. وتسبّب القصف الذي اعتبره البعض مُتعمّداً، بأضرار جسيمة في مبانٍ سكنية وفي مبنى سراي صيدا، وأوقع عدداً من الجرحى بينهم عنصر في الأمن العام.

(علي حشيشو)

برّي يجمّد الحوار بانتظار لودريان

سريعاً، تبدّدت الأجواء الإيجابية التي سادت الأسبوع الماضي حيال دعوة رئيس مجلس النواب نبيه بري إلى حوار «الأيام السبعة» تمهيداً لجلسات انتخاب مفتوحة. وسادت خلال الساعات الماضية الأجواء السلبية، بالتزامن مع عودة السجال والتوتر على خط العلاقة بين «حركة أمل» و«التيار الوطني الحر».

وبدت حركة «أمل» منزعجة من ما أسمته «التصعيد الذي بادر إليه رئيس التيار النائب جبران باسيل». وقالت أوساط «أمل» إنه بعدما أعطى باسيل انطباعاً بالتجاوب مع الدعوة، أتت كلمته خلال عشاء هيئة قضاء البترون غير مطابقة لهذا الانطباع» الذي ارتاحت له عين التينة بداية. ووصفت الأوساط نفسها تصريحات باسيل بأنها «حائط سدّ» في وجه المبادرة، ما استدعى رداً من المعاون السياسي لبرّي النائب علي حسن خليل الذي اعتبر أن «باسيل انقلب على المبادرة بعدَ أن شعر بحجم التجاوب الكبير معها»، متهماً إياه بأنه «يريد تعطيل الحوار، لذا بدل ترحيبه بالمبادرة، انتقل إلى نغمة الشروط والأولويات وإثقال المهمة بنقاش عبثي».

أوساط قيادية في التيار استغربت قراءة «أمل» لخطاب باسيل، وقالت إن الموقف من الحوار كان دائماً إيجابياً من قبل التيار، لكنّ التيار يحتاج كما غيره من اللبنانيين إلى ضمانات بأن يقود الحوار إلى نتيجة عملانية، وأن المهم هو البحث في آلية للحوار تنتج تفاهماً على إجراء الانتخابات بعيداً عن الضغوط. وأنه يمكن للبنانيين التوصّل إلى اتفاق بمساعدة الخارج. وأضافت الأوساط القيادية في التيار أن الحوار القائم مع حزب الله يستهدف ضمناً التوصّل إلى صيغة تخصّ العنوان الرئاسي.

ويأتي هذا الجو ليعزز السلبية التي تعاطت بها بعض قوى المعارضة مع الدعوة، تحديداً حزبَي «القوات اللبنانية» و«الكتائب»، فضلاً عن انقسام التغييريين، ما دفع رئيس المجلس إلى «تجميد دعوته إلى حين وصول الموفد الرئاسي الفرنسي جان إيف لودريان إلى بيروت مطلع الأسبوع المقبل»، خاصة أن بري «كان يشترط مشاركة كل الكتل النيابية في الحوار حتى لا يكون مبتوراً». وقالت المصادر إن «بري كان يقصد مساعدة لودريان الذي حاول استدراج قوى المعارضة إلى الحوار كمدخل لجلسات الانتخابات، لكنّ مسعاه أُحبط كما حصل مع الموفد الفرنسي»، مستغربة كلام باسيل الذي ربما يكون مرتبطاً «بتباعد المواقف بينه وبين حزب الله في ما يتعلق بمناقشة مشروع اللامركزية الإدارية والمالية الموسّعة»، حيث إن «حزب الله الذي أبدى تأييداً للّامركزية، لديه اعتراضات كبيرة تتعلق بتقسيم الأقضية والصلاحيات المالية والأمنية التي ستُعطى لها».

تقرير نهاية الأسبوع الماضي، سلّم فوج إطفاء طرابلس مفاتيح آلياته لرئيس اتحاد بلديات الفيحاء، معلناً توقّفه نهائياً عن تقديم خدمات الإطفاء والإسعاف والإنقاذ في الشمال. نهاية تراجيدية تهدّد مصير الأفواج الأخرى في صيدا وبيروت والضاحية الجنوبية وبقية المناطق. عليه، باتت السلامة العامة في خطر ما لم يُصَرْ إلى إغاثة هذه الأفواج

أفواج الإطفاء تستغيث: هل تصبح الخدمات مدفوعة؟

زينب حمود

يروي أحد العناصر في فوج إطفاء طرابلس كيف تعلّم قواعد الإطفاء: «عندما رنّ الجرس منذراً باندلاع حريق، أمرني مسؤول الفريق أن أستعدّ من دون أن أعرف حتى كيف يجهّز رجل الإطفاء نفسه، قلت له: لكنني لا أدري كيف أطفئ حريقاً، فردّ عليّ: تعلّمك على الطريق». هكذا كانت قلة التدريب وضعف التنسيق والإهمال تنخر في أفواج الإطفاء الخمسة في لبنان (بيروت، صيدا، طرابلس، الضاحية الجنوبية واتحاد بلديات قضاء بنت جبيل في برعشيت)، من دون التقليل من أهمية ما قام به عناصر هذه الأفواج طوال سنوات الحروب المتتالية ولا من تضحياتهم.

تتبع أفواج الإطفاء للبلديات، ولا ربط مباشراً لها بالدولة لجهة التمويل والتجهيز والتدريب، وما من جهة ماليـة والتقديمات الصحيّة والمدرسية وتأمين المازوت للآليات، فيما صارت صيانة الأعطال أقرب إلى المستحيل. لا يوفّر رئيس شعبة العلاقات العامة في فوج إطفاء بيروت علي نجم مناسبة للشكوى من الدرك الذي وصل إليه الفوج التابع لبلدية العاصمة المفترض أنها أغنى بلديات لبنان، «من تدنّي رواتب رجال الإطفاء والموظفين رغم ما طرأ عليها من زيادات، إلى فقدان التأمين الصحي بعدما تدنّت المخصصات الماليـة، من تعاونية الموظفين ومن نظام الحماية الصحي التابع لبلدية بيروت، إضافة إلى قلّة التجهيزات وبدائيتها ولا سيّما معدات الإنارة وأجهزة الإنذار والاتصال ومعدات السلامة العامة، عدا غياب البرّات المقاومة للحريق والحرارة، وصعوبة صيانة الآليات والمعدات وتأمين قطع الغيار»، مشيراً إلى أن «أحدث سيارة إطفاء في الفوج تعود إلى عام 2001».

تنسحب التحديات التي يواجهها فوج إطفاء بيروت على أحوال الأفواج الأخرى. فوج إطفاء طرابلس توقّف عن العمل في 17 آب الماضي، وسلّم، أول من أمس، مفاتيح آليات الإطفاء إلى رئيس اتحاد بلديات الفيحاء حسن غمراوي بعدما استنزف كل الطرق للاستمرار. فرغم تهديده قبل عشرة أشهر بالتوقف عن العمل ووضع آليات الإطفاء أمام باب المركز، «كوسيلة للضغط على المسؤولين، لم نتوقف فعلاً عن تأدية مهامنا من تحت الطاولة»، بحسب حاتم عبوشي. كان المطلب تسديد المستحقات المتراكمة على البلديات وتبلغ نحو 100 مليون ليرة للعنصر الواحد قبل أن يخسر الموظفون بدلات النقل والأخطار. بعدها، ومنذ خمسة أشهر، لم يتقاضَ عناصر الفوج أيّ بدل مادي يُذكر. «صبرنا كرمى للناس إلى أن أصيب عنصران خلال إطفاء حريق من دون أن يحصلا على الطبابة. وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير. صارت مواجهة الأخطار ضرباً من الجنون بعدما سيطر الخوف على العناصر من إصابة لا يطبّبها أحد أو وفاة تترك عائلة من دون تعويضات ورواتب. لم نجد سبباً يدفعنا لمواصلة عملنا، فاعلنّا التوقف نهائياً».

> **الحق حريق طريق المطار خسائر بقيمة 80 الف دولار بفوج إطفاء الضاحية**

أسفر الضغط الذي قام به فوج إطفاء طرابلس عن عرض بلدية طرابلس تسديد 3 مليارات ليرة من أصل 35 ملياراً مجموع الأموال المتراكمة عليها، فرفض الفوج العرض وطالب بتسديد 50 مليون ليرة للعنصر الواحد بدلاً من 100 مليون، مع تعهّد بصرف الرواتب الشهرية لافتتاح المركز من جديد. وهو ما لم يحصل. الأزمة التي انفجرت في وجه الفوج وأبناء الشمال مردّها الأول إلى الفساد والتجاذبات السياسية. يروي عبوشي حكاية اتحاد بلديات الفيحاء مع شركة «لافاجيت» الملتزمة برفع النفايات في مدن الاتحاد وكيف انتهت على حساب الفوج، «بعدما تأخّر الاتحاد في صرف مستحقات الشركة، أصدر وزير المالية آنذاك جهاد أزعور قانون اقتطاع مستحقات «لافاجيت» التي يملكها شقيقه مباشرة من وزارة المالية، حتى صارت 80% من موازنة الاتحاد تذهب إلى الشركة ولا يبقى للفوج غير 20% منها. كانت بلدية طرابلس تغطّي العجز الذي مُني به الفوج، حتى وقعت المشكلات السياسية على زعامة الاتحاد فتوقفت بلدية طرابلس عن تحويل الأموال، قبل أن تدخل في عجز مالي جراء الأزمة الاقتصادية».

فوج الضاحية «مربى الدلال»

الأزمة الاقتصادية، على صعوبتها، لم تلحق الضرر بفوج إطفاء الضاحية بقدر الضرر الذي لحق به جراء حريق مستودع الأقمشة على طريق المطار الشهر الماضي. الفوج «المدلّل»، كما يطلق عليه عناصره نظراً إلى التجهيزات التي يتميز بها عن غيره من الأفواج وفرق الإطفاء، حلّت به نكبة حقيقية بعد 15 يوماً على إطفاء الحريق. في مركز الفوج قوادف مياه وخراطيم آذابها الحريق وبدلات متفحّمة مكدّسة في إحدى الزوايا، ينظر إليها مسؤول فريق الإطفاء سامر عقيل معلّقاً: «لن يعوّضوا لنا شيئاً»، مشيراً إلى أن «العناصر خسروا بدلاتهم الاحتياطية التي يبلغ سعر الواحدة منها 4500 يورو، لأنها تحمي من درجة حرارة تبلغ 550 درجة مئوية». يقدّر رئيس الفوج حسين كريم خسائر المركز من التجهيزات بـ«80 ألف دولار، بعدما شمل التلف بشكل أساسي خراطيم المياه والقوادف والمراوح التي تسحب الهواء الساخن نظراً إلى الضغط الكبير على استعمالها، عدا أجهزة التنفس والتجهيزات الفردية مثل الأجهزة اللاسلكية والبدلات واجهزة الإنارة». رغم ذلك، يؤكد كريم أنّ «المركز جاهز من خلال 100 عنصر وموظّف إداري للاستجابة لأي حريق قد يندلع في نطاق عمله». في ظل الأزمات المالية في المجالس البلدية، يحظى الفوج شأنه شأن فوج برعشيت (وقريباً فوج بعلبك - الهرمل) بدعم من الهيئة الصحية الإسلامية، يشمل الرواتب وبعض التجهيزات، وهو ما لا يتوافر لفوجَي إطفاء بيروت وصيدا اللذين ما من شيء يضمن ألا يُساقا إلى النهاية ذاتها التي وصل إليها فوج إطفاء طرابلس، فيما الأفواج ومشاكلها في أسفل اهتمامات الدولة، كما كل شيء آخر، ما دفع البعض إلى طرح حلول للخروج من الأزمة، من بينها جعل خدمات الإطفاء والإسعاف والإنقاذ «مدفوعة، إما في لحظة الحادث، أو من خلال تخصيص صندوق يُغذّى من رسوم سنوية شبيهة بالرسوم البلدية».

> **الدفاع المدني يعيش على الهبات**
>
> قالت مصادر في المديرية العامة للدفاع المدني لـ«الأخبار» إن «عدداً كبيراً من الآليات التابعة للمديرية أصبحت خارج الخدمة بسبب أعطال ميكانيكية وعدم القدرة على كلفة إصلاحها»، مشيرة إلى هذه الآليات «بمجملها قديمة، مضى على تاريخ وضعها في السير أكثر من عشرين عاماً، حالها حال بقية العتاد والتجهيزات»، فيما تعاني المديرية أيضاً من أزمة محروقات «نتعاون مع الجيش اللبناني لتأمينها للآليات بكميات محدودة».
>
> ويبلغ عدد عناصر الدفاع المدني 2563 (439 دائما و2124 متطوعاً مثبتاً)، إضافة إلى 6123 متطوعاً إختيارياً. وبحسب المصادر، تشكّل الهبات من جهات محلية ودولية «الرافعة الأساسية التي تمكن المراكز من متابعة عملها بانتظام وتلبية نداءات الإغاثة والتدخل الفوري، فيما لم تعد الاعتمادات الملحوظة في الموازنة تكفي لسدّ الاحتياجات».

مساعدات منتهية الصلاحية بعد انفجار المرفأ واحدث سيارة إطفاء في فوج بيروت تعود إلى 2001 (هيثم الموسوي)

تقرير

بين اعتكاف القضاة والانتدابات:
إرهاق المتقاضين وتكدّس الملفّات

ينتظر أغلب القضاة الذين أعلنوا الاعتكاف بشكل فجائي، انتهاء العطلة القضائية ليعودوا إلى عملهم في 16 أيلول المقبل. وذلك ما لم يطرأ ما يُجبر هؤلاء على التوقّف قسرياً، تضامناً مع زملائهم المصمّمين على الاستمرار في اعتكافهم حتى تعزيز أوضاعهم الاجتماعية، وتأمين البنية التحتية اللازمة لسير العمل، في قصور عدلٍ ومحاكم متهالكة، يحتاج بعضها إلى الهدم وإعادة البناء من جديد، مثل قصر عدل بعبدا.

ويبدو لافتاً أن مؤيّدي الاعتكاف، وعلى غير عادة الاعتكافات السابقة، لم يصل عددهم إلى الحدّ المطلوب لشلّ العدليات والمحاكم. فمن أصل ما يقارب 600 قاضٍ، لم يوافق في التصويت على الاعتكاف، الذي نُظّم الجمعة في 1 أيلول الجاري، سوى 115 قاضياً تقريباً، غالبيتهم من القضاء العدلي، حيث يفترض أن يكون الاعتكاف مُوجعاً، كونه على تماس مباشر مع الناس، عكس القضاءين الإداري (مجلس شورى الدولة) والمالي (ديوان المحاسبة).

ومما تتضمّنه مطالب القضاة: تأمين الأقساط المدرسية لأبنائهم، المُسجّلين في أغلى مدارس لبنان، حيث تراوح قيمة الأقساط بين 7 آلاف دولار أميركي و15 ألف دولار أميركي. وهو ما لا قدرة للدولة ولا لصندوق تعاضد القضاة على تأمينه، في ظلّ الوضع الاقتصادي الصعب الذي يمرّ به لبنان. وخصوصاً أن هناك موظفين آخرين في إدارات الدولة ومرافقها، قد يطالبون بدورهم بدفع الأقساط المدرسية لأبنائهم، في حال جرى توفيرها للقضاة.

ويستغرب قضاة تحديد الاعتكاف بعد أيام على قبض المنحة الاجتماعية بالدولار الأميركي من صندوق التعاضد، وإن جاءت مُتأخّرة عن موعدها بضعة أيام، إذ يُفترض أن تُدفع مطلع كل شهر وليس مع اقتراب نهايته.

والغريب أن «مجلس القضاء الأعلى» برئاسة القاضي سهيل عبود، شبه معطّل، إلا عن مقاربة الملفّات العادية. ويقف متفرّجاً ولا يُحرّك ساكناً إزاء مطالب القضاة، عدا السعي لتحسين العدليات. وهو أساساً لم يقم بواجبه في إعداد مناقلات جزئية، يستفيد منها القضاة الذين تخرّجوا في معهد الدروس القضائية و«لزّموا أعمالاً في وحدات وزارة العدل والنيابة العامة المالية، بدلاً من المحاكم الأكثر أهمية». وهو ما كان سيخفّف من أزمة الانتدابات الآخذة في تفاقم. فقضاة واستقالة آخرين ووضع آخرين أنفسهم في الاستيداع مدّة من الزمن تراوح بين ستة أشهر وسنة مع إمكانية التجديد، بداعي الدراسة، علماً أن معظمهم قاموا بذلك بدافع العمل وقبض «الدولار الطازج»، خلافاً للقانون.

عبء الانتدابات

وقياساً على آخر تشكيلات قضائية صدرت بموجب المرسوم الرقم 1570 في 10 تشرين الأول 2017، أي منذ آخر مجلس برئاسة القاضي جان فهد قبل إقالته عام 2019، فإن الانتدابات باتت في مراكز كثيرة، وهو ما يُرهق القضاة والمحامين والمتقاضين ويُكدّس الدعاوى والملفات ويُؤخّر تحقيق العدالة. ومن هذه المراكز:

- رئاسة 7 غرف في محكمة التمييز من أصل 10 غرف. وثمة غرفتان يتقاعد من أسند إليه رئاستهما بالإنابة في كانون الأول 2023 وشباط 2024، وهما القاضيان مادي مطران وماجد مزيحم.

-الرئاسة الأولى لمحاكم الاستئناف في المحافظات الست المعتمدة في الهيكلية القضائية، أي في بيروت وجبل لبنان والجنوب والنبطية والبقاع والشمال، حيث يشغلها حالياً قضاة بالإنابة من صندوق التعاضد، وإن جاءت مُتأخّرة عن موعدها بضعة أيام، إذ يُفترض أن تُدفع مطلع كل شهر وليس مع اقتراب نهايته.

والغريب أن «مجلس القضاء الأعلى» برئاسة القاضي سهيل عبود، شبه معطّل، إلا عن مقاربة الملفّات العادية. ويقف متفرّجاً ولا يُحرّك ساكناً إزاء مطالب القضاة، عدا السعي لتحسين العدليات. وهو أساساً لم يقم بواجبه في إعداد مناقلات جزئية، يستفيد منها القضاة الذين تخرّجوا في معهد الدروس القضائية و«لزّموا أعمالاً في وحدات وزارة العدل والنيابة العامة المالية، بدلاً من المحاكم الأكثر أهمية». وهو ما كان سيخفّف من أزمة الانتدابات الآخذة في تفاقم. فقضاة واستقالة آخرين ووضع آخرين أنفسهم في الاستيداع مدّة من الزمن تراوح بين ستة أشهر وسنة مع إمكانية التجديد، بداعي الدراسة، علماً أن معظمهم قاموا بذلك بدافع العمل وقبض «الدولار الطازج»، خلافاً للقانون.

عبء الانتدابات

وقياساً على آخر تشكيلات قضائية صدرت بموجب المرسوم الرقم 1570 في 10 تشرين الأول 2017، أي منذ آخر مجلس برئاسة القاضي جان فهد قبل إقالته عام 2019، فإن الانتدابات باتت في مراكز كثيرة، وهو ما يُرهق القضاة والمحامين والمتقاضين ويُكدّس الدعاوى والملفات ويُؤخّر تحقيق العدالة. ومن هذه المراكز:

- رئاسة 7 غرف في محكمة التمييز من أصل 10 غرف. وثمّة غرفتان يتقاعد من أسند إليه رئاستهما بالإنابة في كانون الأول 2023 وشباط 2024، وهما القاضيان مادي مطران وماجد مزيحم.

-الرئاسة الأولى لمحاكم الاستئناف في المحافظات الست المعتمدة في الهيكلية القضائية، أي في بيروت وجبل لبنان والجنوب والنبطية والبقاع والشمال، حيث يشغلها حالياً قضاة بالإنابة من صندوق التعاضد، وإن جاءت مُتأخّرة عن موعدها بضعة أيام، إذ يُفترض أن تُدفع مطلع كل شهر وليس مع اقتراب نهايته.

والغريب أن «مجلس القضاء الأعلى» برئاسة القاضي سهيل عبود، شبه معطّل، إلا عن مقاربة الملفّات العادية. ويقف متفرّجاً ولا يُحرّك ساكناً إزاء مطالب القضاة، عدا السعي لتحسين العدليات. وهو أساساً لم يقم بواجبه في إعداد مناقلات جزئية، يستفيد منها القضاة الذين تخرّجوا في معهد الدروس القضائية و«لزّموا أعمالاً في وحدات وزارة العدل والنيابة العامة المالية، بدلاً من المحاكم الأكثر أهمية». وهو ما كان سيخفّف من أزمة الانتدابات الآخذة في تفاقم. فقضاة واستقالة آخرين ووضع آخرين أنفسهم في الاستيداع مدّة من الزمن تراوح بين ستة أشهر وسنة مع إمكانية التجديد، بداعي الدراسة، علماً أن معظمهم قاموا بذلك بدافع العمل وقبض «الدولار الطازج»، خلافاً للقانون.

عبء الانتدابات

وقياساً على آخر تشكيلات قضائية صدرت بموجب المرسوم الرقم 1570 في 10 تشرين الأول 2017، أي منذ آخر مجلس برئاسة القاضي جان فهد قبل إقالته عام 2019، فإن الانتدابات باتت في مراكز كثيرة، وهو ما يُرهق القضاة والمحامين والمتقاضين ويُكدّس الدعاوى والملفات ويُؤخّر تحقيق العدالة. ومن هذه المراكز:

- رئاسة 7 غرف في محكمة التمييز من أصل 10 غرف. وثمّة غرفتان يتقاعد من أسند إليه رئاستهما بالإنابة في كانون الأول 2023 وشباط 2024، وهما القاضيان مادي مطران وماجد مزيحم.

-الرئاسة الأولى لمحاكم الاستئناف في المحافظات الست المعتمدة في الهيكلية القضائية، أي في بيروت وجبل لبنان والجنوب والنبطية والبقاع والشمال، حيث يشغلها حالياً قضاة بالإنابة من صندوق التعاضد، وإن جاءت مُتأخّرة عن موعدها بضعة أيام، إذ يُفترض أن تُدفع مطلع كل شهر وليس مع اقتراب نهايته.

والغريب أن «مجلس القضاء الأعلى» برئاسة القاضي سهيل عبود، شبه معطّل، إلا عن التحقيق الأول في النبطية (مركز شيعي يشغله سني) وقاضي التحقيق العسكري الأول (مركز درزي يشغله ماروني).

- رئاسة 7 غرف محاكم استئناف في بيروت من أصل 15 غرفة، إضافة إلى شغور في المستشارين، ما يُضطر المعنيين إلى انتداب آخرين، لتسيير عمل هذه المحكمة أو تلك، وبعضهم لديه محكمته الخاصة التي يرأسها، وهذا يعني زيادة العبء والمسؤولية عليه.

- رئاسة 5 غرف في محاكم استئناف جبل لبنان من أصل 18 غرفة.

- 3 غرف تحقيق في دائرة التحقيق في بيروت، ويرتفع العدد إلى 4 في تشرين الثاني المقبل، علماً أن هناك قاضياً منتدباً إلى مكان آخر.

- رئاسة غرفتين من أصل 9 غرف في محاكم البداية في جبل لبنان.

- رئاسة 4 غرف في محاكم الاستئناف في الشمال من أصل 8 غرف.

- رئاسة 3 غرف في محاكم الاستئناف في البقاع من أصل 6.

- رئاسة غرفة واحدة في محاكم الاستئناف في الجنوب وواحدة أخرى مماثلة في النبطية.

وتجدر الإشارة إلى أن النائب العام التمييزي غسان عويدات يُحال على التقاعد في 22 شباط 2024، لينخفض عدد قضاة النيابة التمييزية من 11 قاضياً إلى 6. وقد تحلّ في رئاستها القاضية ندى دكروب ابنة شقيقة الرئيس نبيه بري، كونها الأعلى درجة بين زملائها هناك، ما لم يكن قد جرى انتخاب رئيس للجمهورية وتشكيل حكومة جديدة، تعيّن قاضياً من الطائفة السنية. كما أن «هيئة التفتيش القضائي» تعاني بدورها نقصاً في عديدها، فمن أصل 11 قاضياً يوجد 6 قضاة (قاضٍ واحد و5 قاضيات إحداهنّ موضوعة في الاستيداع)، ورئاسة هذه الهيئة شاغرة منذ تقاعد رئيسها في تموز 2022، وتترأسها حالياً بالإنابة قاضية درزية.

(الأخبار)

تقرير

«صحوة» متأخّرة لضبط أقساط «الخاصة»؟

فاتن الحاج

بينما شارفت أعمال التسجيل على نهايتها في المدارس الخاصة، أعلن رئيس الحكومة، نجيب ميقاتي، خلال جلسة مجلس الوزراء أول من أمس، أنه طلب، هاتفياً، من وزير التربية عباس الحلبي، الذي غاب عن الجلسة بداعي السفر، الاستجابة لصرخات الأهالي والتشدّد حيال تفلّت الإدارات في تحديد الأقساط، وإلزامها بأخذ الواقع الاقتصادي في الحسبان لدى فرض أي زيادة عليها!

هل هي «صحوة» متأخرة ستقترن بحل لضبط أقساط تضاعفت 4 و5 مرات عن العام الدراسي الماضي، وكيف سيكون شكل تدخل وزارة التربية، هل تجرؤ على الاقتراب من «المحظور» أي التدقيق في فواتير المدارس للتأكد من موازناتها وصحة أرقامها، أم أنه سيبقى كلاماً في الهواء لا يصرف في مكان، تماماً كما التعاميم الصادرة في نهاية العام الدراسي الماضي والتي قالت الوزارة إنها ستتابع تنفيذها في إطار تطبيق أحكام القانون 515 (تنظيم الموازنة المدرسية) وستعاقب المخالفين؟

حتى الآن، لم تعثر الوزارة على أي مخالف، فيما مدارس كثيرة تزيد أقساطها، بالجرم المشهود، وبلا أي رادع قانوني أو أخلاقي. لم تعد هناك أي قاعدة في تحديد القسط المدرسي، وثمة مروحة واسعة من الأرقام غير المدروسة وغير المنطقية. ومن المفارقات التي ينقلها ممثلو مدارس خاصة عن وزير التربية قوله إن الوزارة لا تتلقى شكاوى من أهالي تلامذة في مدارس أقساطها مرتفعة (5000 دولار وأكثر)، بل من مدارس أقساطها متوسطة (بين 500 دولار و1500 دولار). والتفسير هنا بسيط وهو أن الفئة الأولى من المدارس لا يرتادها ذوو الدخل المحدود الذين باتت الأقساط تكويهم حرفياً.

كيف لموظف في القطاع العام مثلاً أن يتحمل أن يرتفع قسط ابنه أو ابنته من 500 دولار إلى 1800 دولار ومن 16 مليون ليرة إلى 28 مليوناً، فيما راتبه لا يتجاوز كمعدل وسطي 200 دولار شهرياً. وماذا يفعل موظف حين تبلغه مدرسة أولاده بأنها رفعت قسطها لهذا العام من 1800 دولار إلى 4000 دولار ومن 27 مليون ليرة إلى 90 مليوناً. «الرقم خيالي»، يقول أحدهم مشيراً إلى أن إدارات بعض المدارس لم تعد تحافظ على مقاعد تلامذتها القدامى، ولا تتردد في الاستغناء عنهم أو وضعهم على لائحة الانتظار بالحد الأقصى، لمصلحة تلامذة جدد متمولين ويدفعون بالدولار الأميركي.

يحاول اتحاد المؤسسات التربوية الخاصة الذي يضم مدارس تتبع لجمعيات دينية وأحزاب، أن يميز نفسه عن مدارس أخرى يسميها «تجارية ولا تحمل رسالة تربوية»، إذ إن «الدعم بالدولار الأميركي في مدارس الاتحاد ليس عشوائياً كما الآخرين، فهناك مدارس لا تتجاوز فيها المساهمة بالدولار الـ 500 دولار». يقول ممثلون عن بعض هذه المدارس إن أعمال التسجيل أظهرت إقبالاً غير مسبوق، ويتوقع أن تزيد النسبة عن 20 في المئة مقارنة بالعام الدراسي الماضي. الأمين العام للمدارس الإنجيلية نبيل القسطا يشير إلى أن قسماً كبيراً من تلامذة التعليم الرسمي التحقوا هذا العام بالمدارس الإنجيلية، وهذا «مؤشر مخيف

> **لا تتوانى المدارس عن وضع تلامذتها القدامى على لائحة الانتظار**

لغياب السياسة التربوية، لأنه إذا لم تكن هناك مدرسة رسمية قوية لن تكون هناك منافسة صحية مع المدرسة الخاصة». بدا لافتاً ما قاله لجهة تعديل القوانين ودفع رواتب الأساتذة بالدولار وتسديد المدارس لاشتراكاتها في صندوق التعويضات بالدولار أيضاً وليس وفق سعر صرف 1500 ليرة مقابل الدولار، كي يحصلوا على تعويض بالدولار أيضاً.

وفيما يعتقد القسطا أن الوزارة لا تستطيع أن تفعل أكثر مما تفعله على قاعدة «العين بصيرة واليد قصيرة»، يقترح الأمين العام للمدارس الكاثوليكية، يوسف نصر، ما يظنه حلاً عملياً، وهو أن تبادر الدولة إلى إعطاء معلمي المدارس الخاصة حوافز بالدولار الأميركي ومن ثم تحدد هي سقف القسط، باعتبار أن صندوق الدعم بالدولار مخصص بشكل أساسي لدفع حوافز المعلمين، معلناً عن استعداد المدارس لإبداء الشفافية وفتح كل أوراقها. ويقول إن المسؤولية تقع على لجنة الأهل في عدم مواجهة الأقساط المرتفعة في بعض المدارس، ليست هناك فكرة واضحة حتى الآن، كما يقول، بالنسبة إلى النزوح من المدارس الرسمية إلى المدارس الخاصة وبالعكس، لكون الوزارة حددت 14 أيلول موعداً لبدء أعمال التسجيل في المدارس الرسمية.

لا بديل، بحسب رئيسة اتحاد لجان الأهل وأولياء الأمور في المدارس الخاصة لمى الطويل، عن إصدار مرسوم سريع يلزم المدارس الخاصة بالتدقيق المالي وقطع الحساب، وهناك مشروع مرسوم جاهز لدى الاتحاد بشأن وضع معايير لضبط الأقساط وتعيين خبير محلف للتدقيق في الموازنات. وتقول: «أنصح اتحادات المدارس الخاصة باللجوء إلى الشفافية والموافقة على التدقيق المالي ونشر موازناتها على صفحاتها الإلكترونية لتعزيز الثقة بينها وبين الأهل».

الحدث

«قمّة العشرين» تنطلق اليوم «بطولة هندية» في عالم متعدّد الأقطاب

خضر خروبي

في كلّ مرة تُعقد فيها «قمّة العشرين»، منذ تأسيس المجموعة عام 1999، أوّلاً كمنتدى لوزراء المالية على وقع أزمات نقدية في عدد من البلدان المنضوية فيها، قبل أن تُجرى تعديلات تنظيمية عام 2008 عليها، أتاحت انعقاد قمة على مستوى القادة بصورة سنوية مذّاك، وذلك بهدف التداول في المستجدات الاقتصادية وتنسيق سياسات الدول المشاركة لحلّ تلك المشكلات على الصعيد العالمي، تُستعاد التساؤلات نفسها حول جدواها. ويحدث هذا، خصوصاً، ربطاً بالبيانات الختامية الطموحة لاجتماعاتها الدورية، وما يعقبها سريعاً من خيبات على مستوى النتائج، على غرار الخطوات التي وعدت بها الدول المشاركة خلال العامين الماضيين لتخفيض الانبعاثات الكربونية، أو ما اقرّته لناحية فرض ضرائب على المتاجر الإلكترونية العالمية الرائدة كـ«Amazon»، وكلّها إجراءات لم تعرف طريقها إلى التنفيذ.

في مطلق الأحوال، يشكّل حدث استضافة «قمّة العشرين» في نيودلهي إنجازاً بحدّ ذاته بالنسبة إلى الهند، الساعية إلى تصدير نسختها الخاصة الجديدة من «عدم الانحياز»، عبر توظيف صراعات القوى الكبرى القريبة والبعيدة، وخصوصاً الولايات المتحدة والصين، وكذلك الحرب الروسية - الأوكرانية، في مساعيها لإعلاء شأن مصالحها القومية، وخصوصاً أنها تعلم أنه لا غنى للغرب عن وزنها الجيوسياسي والاقتصادي في استراتيجيته الرامية إلى مواجهة الصين، من جهة، ومحورية دورها في الرؤى «البديلة» لإقامة نظام عالمي جديد، والتي تطرحها قوى كبرى مناهضة للغرب، على رأسها روسيا، من جهة ثانية. وفي هذا الصدد، تصف وكالة «بلومبيرغ» سياسة الهند الخارجية بـ«دبلوماسية الانحيازات المتعدّدة»، لافتةً إلى أنها تقوم على رؤية مودي بأن بلاده «تعدّ نقطة ارتكاز بين واشنطن وبكين، وليست مدينة لأيّ منهما، وهي حرّة في متابعة مصالحها الوطنية».

الثابت أن نيودلهي هي حليفة الغرب في منطقة المحيطين الهندي والهادئ، سواءً من خلال حضورها في «حلف كواد»، أو في مشروع ربط بحري وبري منافس لمشروع «الحزام والطريق» الصيني بالاشتراك مع السعودية (يندرج ضمن عشرات المشاريع الأميركية والأوروبية المخصصة لهذا الغرض)، وأخيراً الإعلان عن «الممّر الثلاثي الجديد» الذي يضمّها إلى جانب باريس وأبو ظبي. وممّا يجدر التذكير به، هنا، هو أن البيانات الرسمية الخاصة بـ«كواد» نصّت على اعتبار «G20» منصّة مناسبة لتعزيز العمل المشترك بين أطراف الحلف في مسائل مناخية وطاقوية وكذلك سياسية، وهو ما يرفع من حظوظ اشتراكهم سوياً في مبادرات «Mangrove Alliance» في شأن قضايا المناخ، و«Indo-Pacific Parks Partenrship» المتعلّقة بإدارة المحميات الطبيعية، الأمر الذي سيعني بالنتيجة مراعاة الموقف الهندي خلال القمة المرتقبة، أقلّه في ما يخص بعض القضايا، الهواجس الغربية.

هنا، يصحّ القول إن المصالح الهندية - الأميركية ربّما تتقاطع بشكل أو بآخر، في عدد من الملفات، في طليعتها الموقف من الصين، وهذا ما تدركه وتثمّنه عالياً حكومة مودي، بدليل عدم ممانعتها الإضطلاع بدور «صندوق رسائل امتعاض» أميركية موجّهة إلى الجانب الباكستاني في مرحلة من المراحل، وخصوصاً مع استعادة مناخات التوتر على مستوى العلاقات الباكستانية - الأميركية، عقب انسحاب قوات التحالف الغربي بقيادة الولايات المتحدة من أفغانستان، وتسارع وتيرة التقارب الباكستاني - الصيني في المقابل. لا بل إن الهند سبق أن طالبت، خلال «قمة بنغالور»، بمعالجة أزمة المديونية المرتفعة لبلدان العالم النامي، وهو أمر يبدو الغربيون أكثر ميلاً إلى تبنّيه، مع محاولتهم رمي الكرة في ملعب الصين، مشترطين التزامها أيضاً بتخفيض ديونها للعديد من البلدان «الأكثر فقراً»، بالنظر إلى أن بكين تعدّ أحد أكبر الدائنين على مستوى العالم، وهو مطلب ترفضه الأخيرة، متمسّكة بضرورة أن تشمل جدولة ديون البلدان الفقيرة، تلك التي تعود إلى مانحين دوليين آخرين متعدّدي الأطراف، في طليعتهم «البنك الدولي».

وفي الاتجاه نفسه، جاءت زيارة نائبة وزير الخارجية الأوكراني، أمينة جبارفوا، إلى نيودلهي في نيسان الماضي، كأول زيارة لمسؤول أوكراني للهند منذ اندلاع الحرب، لتعرب عن انفتاح بلادها على أيّ جهود وساطة هندية لوقف الحرب، وهو ما عدّه محلّلون بمثابة «نعي» لمحاولة الصين تقديم نفسها كوسيط لوقف الحرب، لصالح رفع «الرصيد الحيادي» للهند على هذا الصعيد، من جانب كييف وحلفائها الغربيين. وترافقت تلك الخطوة مع تسريبات كشفت عنها صحف غربية، مفادها وجود توجّه لدى كلّ من لندن وباريس لحثّ نيودلهي على استخدام نفوذها لدى موسكو، لمحاولة عرض وساطتها لوقف الحرب الأوكرانية، وإظهار المزيد من الدعم لكييف.

> يقاطع الرئيسان الروسي والصيني القمة التي تظلّلها الخلافات

في المقابل، وعلى الرغم ممّا سبق، لم تحد الهند عن نهجها التقليدي في «الحياد»، وخصوصاً حيال أزمة أوكرانيا، حيث تجنّبت التنديد بتدخّل روسيا العسكري هناك، وهو موقف لاقت فيه موقف «جارتها اللدودة» الصين، مع إبقائها على تعاملاتها التجارية، بخاصة النفطية، مع روسيا. وكما تبدّى خلال فترة رئاستها الحالية للمجموعة خلال العام الجاري، لا تزال نيودلهي، وعلى رغم المغريات الأميركية المصحوبة بضغوط من العواصم الغربية راهنت على تأثر الهنود بتعطّل سلاسل التوريد وارتفاع أسعار الغذاء، على رفضها القاطع مناقشة فرض عقوبات على روسيا خلال القمّة، أو تضمين بيانها الختامي توصيف ما يجري في أوكرانيا على أنه «عدوان». وهي كانت اكتفت، في «قمّة بنغالور»، بإصدار وثيقة «ملخص القمة»، والتي أشارت فيها إلى أن «معظم الأعضاء دانوا بشدة الحرب في أوكرانيا»، وبصورة خاصة بلدان «مجموعة السبع»، وسط معارضة صينية - روسية لمضمون الوثيقة في هذا الخصوص، بدعوى مخالفته الطبيعة الاقتصادية والمالية لفعاليات «G20». ملفّ آخر، تجد نيودلهي نفسها فيه معنيّة بملاقاة بكين، وهو ذلك المتعلّق بإصلاح النظام المالي العالمي، الأمر الذي عبّر عنه مودي في كلمته الافتتاحية في «قمّة بنغالور»، حين أشار صراحة إلى ما سمّاه «انعدام الثقة بالمؤسّسات المالية الدولية»، في إشارة إلى «صندوق النقد والبنك الدوليين». والواقع أن إلحاح الهند هذا، أتمر جزئياً، وإن في الشكل على حساب المضمون، مع تعيين رئيس مجلس إدارة شركة «ماستر كارد» ذي الأصول الهندية، أجاي بانغا، رئيساً لـ«البنك الدولي»، بعد احتكار المنصب من جانب شخصيات أميركية في معظم الأحيان، كتكريس لعرف غير مكتوب، تمّ كسره غير مرّة في الأعوام الأخيرة.

لا تزال نيودلهي على رفضها مناقشة فرض عقوبات على روسيا خلال «قمة العشرين» (أ ف ب)

وبخصوص الرهانات الأميركية على قمّة «G20»، فقد سبق أن أعرب وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، عن تطلّع بلاده إلى تكرار ما جرى في قمّة بالي الأندونيسية العام الماضي، لناحية الدعوات التي وجّهها قادة دولٍ من روسيا لسحب قواتها من أوكرانيا، وهو ما تعكف الهند على تفاديه، والتركيز بدلاً منه على الهموم الاقتصادية، كملفّ الأمن الغذائي العالمي. وفي المقابل، تأكّد عدم حضور الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، القمة، في ما يربطه بعضهم بامتعاض موسكو من «الحلفاء القدامى» في نيودلهي، من منطلق التقارب الهندي - الأميركي المتسارع، فيما يعتقد آخرون أن موقف بوتين ينمّ عن رغبته في توجيه رسالة احتجاج ضدّ المساعي الأميركية لـ«احتلال G20»، وتسيير نشاطاتها وفق مقتضيات مصالحها الخاصة، مستدلّين على ذلك بحضور بوتين شخصياً قمّة «منظمة شنغهاي» في الهند في تموز الفائت. أيضاً، أكدت الصين أن الرئيس شي جين بينغ لن يحضر دوره قمة الهند، وهو قرار رجّح مراقبون أن يكون على خلفية تجدّد الخلاف الحدودي بين الجارين، بعد نشر وسائل إعلام صينية، أخيراً، خريطة تُظهر مناطق متنازع عليها مع الهند ضمن حدود الجمهورية الشيوعية.

القواعد الجديدة للصراع العالمي تهدد مستقبل G20؟

تلعب مجموعة العشرين دوراً مكمّلاً لـ«مجموعة السبع»، وهو دور فعّل فعلَه في معالجة تداعيات الأزمة المالية العالمية بين عامَي 2008 و 2009. وبالتالي لا يعود مستغرَباً تتصدّر جدولَ أعمال القمّة لهذا العام قضايا التغير المناخي، والعراقيل التي لا تزال تعترض مسيرة تعافي الاقتصاد العالمي، إضافة إلى مسألة المديونية العالية لعدد كبير من البلدان ذات الدخل المنخفض، والانعكاسات السلبية لحرب أوكرانيا على معدّلات التضخم عالمياً.

وبالتزامن مع انتقادات خبراء اقتصاديين لغياب المعايير الواضحة في اعتماد العضوية في المجموعة، ما سمح لبلدان كالأرجنتين التي وقعت تاريخياً في أزمات اقتصادية حادّة بالحصول على العضوية، فيما حجّبها عن أخرى ذات أداء اقتصادي أفضل نسبياً كنيجيريا، تطرح الهند نفسها كـ«منبر مهمَّشي بلدان الجنوب العالمي»، لمعالجة ذلك الجانب من المظالم التاريخية، عبر تحسين تمثيل تلك الدول في المنظمات الدولية المهيمَن عليها غربياً، كـ«الأمم المتحدة» و«صندوق النقد الدولي».

وبالمقارنة مع «صراع الكبار»، والتي عكست توجّهاً عالمياً أعمق نحو حرية التجارة وترسيخ العولمة الاقتصادية، وأنعشت الآمال بخبوء عصر «صراع الكبار» لصالح صفحة جديدة قوامها التعاون في ما بينهم، يبدو الواقع الراهن للمجموعة غير قابل للعزل عن التوترات السياسية والعسكرية الدولية المستجدّة، بدءاً من عودة الكباش التجاري والاقتصادي بين الصين والولايات المتحدة، مروراً بالمواجهة الدائرة بين روسيا والغرب، وليس انتهاءً بانتعاش التوجّهات القومية على حساب التوجّهات الأممية، والتي من تجلياتها اختلاف الاستراتيجية الصناعية لكلّ من الأميركيين والأوروبيين. ولعلّ هذا الواقع يوجزه مدير «برنامج النظام العالمي والمنظمات الدولية» في «مركز كارنيغي لبحوث السلام الدولي»، ستيوارت باترتيك، بالقول إن «هناك الكثير من الاستياء (العالمي) بفعل العولمة المتطرفة، والمفرطة، وكذلك التوسع البالغ فيه على صعيد التجارة المفتوحة وتحرير رؤوس الأموال». ويضيف متسائلاً: «في وقت يتصدّع فيه الاقتصاد العالمي، وتسعى البلدان إلى تحقيق مصالحها الخاصة، فإن السؤال المطروح هو: ماذا تفعل عندما تكون في خضمّ وضع دولي معين، لا يزال يتبع قواعد وينخرط ضمن مؤسسات تمّ إنشاؤها في ظروف وبيئة (سياسية واقتصادية) مختلفة؟».

(أ ف ب)

إزاء ذلك، يتساءل خبراء اقتصاديون عن جدوى بقاء «مجموعة العشرين» بصيغتها الحالية، بعدما باتت أقلّ فاعلية، لا بل يذهب بعضهم إلى أنه أصبح لزاماً إلغاؤها، والتفكير في إنشاء كيان بديل منها. ويبني هؤلاء وجهة نظرهم على الخلافات التي باتت تعصف بالمجموعة، والتي يحلّيها اليوم غياب الرئيسين الصيني والروسي عن القمّة، مشدّدين على الحاجة إلى قيام نظام عالمي جديد وتحديث المؤسسات الدولية القائمة. وفي هذا الإطار، يعتقد الباحثان المخضرمان في السياسة الخارجية، داني رودريك، وستيفن والت، أن «النهج الدولي الراهن، المدفوع بصورة جوهرية من جانب الغرب، لم يَعُد كافياً لمعالجة واستيعاب مختلف العناصر والعوامل التي باتت تحكم علاقات القوة على الصعيد العالمي راهناً». ويرى الباحثان أن الخصائص الغربية في النظام العالمي الجديد «ستكون أقلّ بروزاً، حيث سيتعيّن منح كلّ دولة فسحة أكبر في إدارة اقتصادها ومجتمعها ونظامها السياسي»، في إشارة إلى حجم الإحباط لدى شعوب من العالم من حصيلة نحو ثمانية عقود من الهيمنة الغربية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وفي الاتجاه نفسه، يعرب الباحث في العلاقات الدولية، روبرت وايد، عن حماسته لما يسمّيه «إعادة هيكلة مجموعة العشرين»، بصورة مشابهة لهيكلة «مجلس الأمن الدولي»، بحيث تضمّ مجموعة أساسية من القوى الاقتصادية الكبرى دائمة العضوية في التكتل، إلى جانب فتح باب العضوية أمام مجموعة متناوبة من الدول، ذات الاقتصادات الأصغر حجماً، فيما يرى ستيوارت باترتيك أن «G20» يمكن أن تلعب دوراً رائداً في نظام «ما بعد الليبرالية الجديدة»، من خلال إفساح المجال أمام أعضائها لمناقشة سبل تفادي الانغماس في نموذج «اقتصاد السوق الحر» الذي بُنيت المنظمة لحمايته، معتبراً أن «منبر المجموعة هو المكان الطبيعي للبدء في تحديد قواعد التعايش السلمي التي تسمح للدول بالمشاركة في إقرار جدول أعمال إيجابي، والسير نحو عولمة أكثر اعتدالاً».

خضر...

مقالة

«انفصال» السويداء: وصلت الرسالة الأردنية!

فراس الشوفي

ليس سرّاً ما تنشره صحافة العدوّ هذه الأيام عن الدور القذر للملك الأردني، الراحل الحسين بن طلال، في حرب أكتوبر 1973، تجاه سوريا تحديداً. فقبل الكشف عن الوثائق الجديدة حول وشاية الحسين بالخطط السورية على جبهة الجولان، كان سبق للحسين أن اعترف بلقائه غولدا مائير وبتحذيرها من الهجوم السوري - المصري، مجاهراً بذلك في إحدى مقابلاته التلفزيونية الظاهر، منذ عام 2011، على الأقلّ، أن الحسين، أورث أدواره لابنه الملك الحالي عبدالله، الذي ينعقد الأمل عليه، بأن لا ينقل حقد الهاشميين على دمشق، لابنه ولي العهد الحسين بن عبدالله. حتى لا يكون الضرب في الخاصرة السورية من الجبهة الأردنية، قد انتقل أباً عن جدّ... أمام التاريخ.

لم يكتفِ النظام الأردني بالانخراط في أكبر مؤامرة تستهدف سوريا، دولة وشعباً وجغرافيا ومعنىً إنسانياً وحضارياً. مراجعة أحداث السنوات الماضية، من زاوية المساهمة الأردنية في الحرب ضد الشعب السوري، تكشف «المغامرة الشاميّة» للملك عبدالله، بمصير السوريين والأردنيين وغيرهم. جريمة، ستترك آثارها لقرون على منطقة الهلال الخصيب، وترخي سواداً يُعتم الإشعاع الدافق منذ الإنسان الأول، من هذه البقعة في العالم.

لم يرتوِ النظام الأردني من دماء السوريين، ولا من الأنين تحت الخيام، ودويّ الموت، فوق الحرب والاحتلال والتقسيم والحصار. وها هي المغامرة الأردنية تعود من جبل حوران، درع دمشق الجنوبي. لكنّ الضحايا الأبرز هذه المرّة، هم سكّان السويداء، وغالبيتهم من الدروز، التي تنتشر فوق أربعة جبال استراتيجية، من حوران إلى جبل الشيخ إلى الكرمل وجبل لبنان.

تماماً كأي محافظة سورية أخرى، تعوز السويداء الموارد بكل أشكالها وتشتكي من الفساد الرسمي والحلول الأمنية، ومن فوضى السلاح ومن العصابات والمهرّبين والمحتكرين وتجار السوق السوداء، من أبناء المحافظة نفسها. وكلّ هذا سببه الحرب على سوريا التي أضعفت الدولة وأفرزت الفوضى، ومن الحصار الأميركي . الغربي . العربي الذي يمنع الدولة عن «أخذ النفس».

لكنّ البعض في المحافظة، من معارضة تقليدية إلى جماعات مسلّحة، يحمل مطالب سياسيّة أخرى، كالقرار 2254 و«الانفصال». والبعض في السويداء أصابه اليأس، مثل ملايين السوريين هذه الأيام، فهتف مع الهاتفين تعبيراً عن حنقٍ وغضب خلال الأسابيع الثلاثة الماضية.

لكنّ الصدفة، لا تجمع بعض رجال الدين المقرّبين تاريخياً من الأردن، وبعض المهرّبين المقرّبين من الأردن، وبعض الذين تدرّبوا عند أجهزة الأمن الأردنية في دورات عام 2016 وبعض المعارضين المقرّبين من الأردن. ومشكلة النظام الأردني، أنه لا يريد تحمّل أي مسؤولية عمّا اقترف بحقّ سوريا، وبات الأردنيون اليوم يدفعون ثمن خطاياه، من عبء اللجوء وتهريب المخدّرات والفوضى الأمنية والظروف الاقتصادية، بتأثير مباشر من الحرب السورية.

يُذكّر النظام الأردني، دمشق، بقدرته على توريط الدروز السوريين في مشروع هدم الدولة التي ساهموا بتأسيسها واستقلالها، وتقسيم بلادهم من أجل مصالح غيرهم. والذريعة، عدم تعاون دمشق في وقف تهريب الكبتاغون وضبط الحدود وإخراج المجموعات المقرّبة من إيران خارج الجنوب السوري. فيما يستمر الأردن في توفير الظروف التي تمنع الدولة السورية من استعادة نفوذها الكامل.

لكنّ المشكلة العميقة، عند الملك عبدالله، تكمن في الدور الذي باتت تلعبه الجبهة السورية، في تأمين الدعم اللوجستي للضّفة الغربية المحتلّة، والأمل الذي تعيده للفلسطينيين بقدرتهم على إمداد مقاومتهم بالسلاح والمعرفة. بأنساً، يربط النظام الأردني نفسه بوجود دولة الاحتلال، حين لم تترك «التفاهمات الإبراهيمية»، إلّا الفتات، للذين استسلموا باكراً.

يستقوي الأردن على سوريا من السويداء، ناسياً حكومة بنيامين نتنياهو، ومشروع «الوطن البديل» الذي بدأت خطواته التنفيذية عبر القضم والتهجير من الضفة. بينما كان عليه غضّ الطرف عن الفلسطينيين لكي يتسلّحوا ويخوضوا حربهم وحرب الأردن، عساهم أن يقاتلوا في الضفة الغربية المستوطنين والجنود، بدل أن يقاتلوهم غداً فوق الهضبة الأردنية.

يحاول أعداء دمشق إفقادها انتصارها السياسي والمعنوي، ومنعها من تحقيق استقرار مادي بعد العودة إلى الجامعة العربية واعتراف العالم بالأمر الواقع. فإذا كان لا بدّ من عودة دمشق، فلتعد ضعيفة، ويساعدهم الأردن على ذلك عبر الضغط على أطرافها... عملياً، وصلت الرسالة الأردنية!

تقرير

الصايغ لأبناء السويداء: حذارِ دعوات الانفصال

(أ ف ب)

توجّه المرجع الروحي الأول لطائفة الموحّدين الدروز الشيخ أبو يوسف أمين الصايغ بنداء إلى الدروز في جبل العرب معلناً أن الجميع يدعم «الصرخة من أجل العيش الكريم»، لكنه تساءل «إلى أينَ تسيرُ بنا الأحداث، وإلى أينَ تسيرُ بها أفعالُنا، وإلى أينَ تسيرُ بنا وبها التطورات المتسارعة في الإقليم»، وقال إن «على أبناء جبل العرب، تجنّب إقحامه في لعبة الأمم وموازين قِواها المتصارعة، والحفاظ على وحدة أبناء جبل العرب مهما كانت التضحيات».

وتوجّه إلى المشايخ قائلاً: «إنَّ العامةَ رمزٌ للدِّين والتُّقوى، ولعبثاً دوراً مهماً في تحريم التّعدي منّا أولاً ثمّ تحريم الاعتداء علينا. وحذار أن تلعبَ دوراً لا يليقُ ومقاصدَها وأنا شدُكُم إعادةَ النّظر بدور العمامة وقيمها ومراميها، والتّفكّر في عواقب الأمور والتّبصّر بما حصل في الدّول التي عَبَثَتْ فيها الفوضى بغياب الدّولة». وأضاف أن الانتساب الوطني أساسي، وحذّر من الدعوات إلى «التقسيم والانفصال» قائلاً: «لا يخالَنَّ خائلٌ، إذا سقطتْ مؤسسات الدولة، أنَّ بدا غُلبا تحمي الجبل أو سياجاً من الغيب بقية العصف. كما لا بدّ من قيام مؤسّسات الدولة بواجباتها تجاه أبناء الجبل».

(الأخبار)

السودان

تسابق على كسب الشرعية
البرهان يجد الحلّ: تصرّف كمنتصر... تنتصر!

الخرطوم - **مي علي**

منذ أن خرج من مباني القيادة العامة للجيش في الخرطوم، قاد رئيس «مجلس السيادة»، الفريق عبد الفتاح البرهان، عدداً من التحركات الداخلية والخارجية، في ما بدا، إلى جانب خطوات أخرى، أنه يهدف إلى محاصرة قوات «الدعم السريع» سياسياً واقتصادياً، وعزلها إقليمياً ودولياً. وعلى الرغم من بحثه أزمة بلاده مع قادة الدول التي زارها، إلا أن البرهان أعلن أنه لا مجال للجلوس إلى طاولة التفاوض لإنهاء الحرب الدائرة بين الجيش و«الدعم السريع» منذ ما يقارب ستة أشهر.

ويبدو أن البرهان، ومن خلال جولاته الخارجية، يعمل على ترتيب مرحلة ما بعد الحرب، تاركاً أمر حسم المعارك العسكرية لنائبه الفريق شمس الدين كباشي وكبار قادة هيئة الأركان، فيما لا يستبعد محللون أن يكون الرجل ساعياً إلى تسويق نفسه كرئيس عتيد للبلاد، خاصة بعد الحديث عن إمكانية ترؤسه وفد السودان المشارك في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا الشهر، على رغم تكراره أنه لا رغبة للجيش بالسلطة أو الحكم. وبعد زيارته مصر وجنوب السودان، زار البرهان قطر، حيث التقى الأمير تميم بن حمد، وأطلعه على تطورات الأوضاع في السودان، فيما أكّد تميم دعم الجهود الرامية إلى إنهاء القتال الدائر في هذا البلد. وكان القائد العام للجيش أعلن

> **لا يزال قادة «الدعم» يحاولون منحها صفة الشرعية باعتبارها القوات «المدافعة» عن حقوق السودانيين**

تبرّؤه من «الدعم»، واصفاً إياها بأنها «قوة متمردة» على الدولة، ومقراً أنه «نسبة إلى الانتهاكات التي مارستها ضد المواطنين وجب حلّها». ولذلك، ألغى القانون الخاص بها المقرّ في عام 2017 من قبل برلمان الرئيس المخلوع عمر البشير. وللمفارقة، فإن البرهان هو من قام، قبل عامين، بإلغاء المادة الخامسة من قانون «الدعم السريع» التي تنص على تبعيتها للقوات المسلحة، الأمر الذي منحها مزيداً من الاستقلالية بعيداً عن الجيش.

ووفق محلّلين، فإن قرارات البرهان تلك، تنصبّ أيضاً في إطار التأكيد أنه لا مجال للتفاوض؛ إذ تهدف إلى سحب الشرعية من «الدعم السريع»، عبر إظهارها قوة منحلة قانونياً وغير موجودة ككيان على الأرض، ما يعني أن ممثليها لا يمتلكون حقّ الجلوس إلى أيّ من منابر التفاوض، الأمر الذي سيضع الوسطاء في موقف قد يصعب التعامل معه. كما يرى المراقبون أن قائد الجيش لا يريد إعلان رفضه الجلوس إلى طاولة المفاوضات صراحة، حتى لا يظهر بمظهر الرافض لجهود إحلال السلام في البلاد؛ ولذلك، لجأ إلى إفقاد قوات «الدعم السريع» شرعيتها التي منحها إياها القانون.

وتأتي قرارات البرهان بالتزامن مع فرض وزارة الخزانة الأميركية عقوبات على مسؤولين في قوات «الدعم»، على رأسهم شقيقَي قائدها، ونائبه عبد الرحيم حمدان دقلو، الذي تُتهم قواته بارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان بما فيها العنف الجنسي، ولا سيما في إقليم دارفور غرب السودان. كذلك، طاولت العقوبات قائد «الدعم» في ولاية غرب دارفور، عبد الرحمن جمعة، لتوزطه في فظائع ارتكبتها قواته في غرب دارفور، وعلى رأسها مقتل والي الولاية، خميس عبدالله أبكر، منتصف شهر حزيران الماضي.

بعد زيارته مصر وجنوب السودان، زار البرهان قطر، أول من أمس (أ ف ب)

في المقابل، نفت «الدعم السريع» التهم الموجّهة إلى قادتها، متمسكةً بأن عناصرها لم يرتكبوا أي انتهاكات لحقوق الإنسان. واتّفق نائب قائد تلك القوات وقائدها في غرب دارفور على دحض التهم الموجّهة، ووصفها بـ«المجحفة». وأعلن عبد الرحيم دقلو أنهم ليسوا معنيين بأي عقوبات تصدر ضدهم من أي جهة، قائلاً إنه لا يخشى المحاسبة وإنه على استعداد للمثول أمام العدالة في حال أثبتت التحقيقات ارتكابه لأي انتهاكات. واعتبر اللواء عبد الرحمن جمعة، بدوره، أن واشنطن استندت إلى معلومات مضلّلة بشأن الصراع في مدينة الجنينة، عاصمة ولاية غرب دارفور، مدافعاً بأن قواته لم تشارك في الصراع القبلي الذي شهدته المدينة. ويرى مراقبون أن العقوبات الأميركية ستترك تأثيرها على «الدعم» التي ستفقد الكثير من الناحية الاقتصادية، بعد أن نجحت بقيادة محمد حمدان دقلو الذي تولّى منصب نائب «مجلس السيادة» لأربعة أعوام التي تلت سقوط نظام البشير، في تكوين إمبراطورية اقتصادية ضخمة يمتلك قادتها حسابات بنكية في عدد من دول العالم.

على خط موازٍ، لا يزال قادة «الدعم» يحاولون منْحها صفة الشرعية باعتبارها القوات «المدافعة» عن حقوق السودانيين، والتي ستأتي بالحكم المدني الديموقراطي. وفي هذا الإطار، عقد مستشار قائد تلك القوات لقاء مع رئيس مفوّضية الاتحاد الأفريقي، موسى فكي، ناقشا خلاله كيفية الوصول إلى حل شامل في إطار الرؤية التي طرحتها «الدعم»، فيما قدّم فكي، من جهته، رؤية «الاتحاد الأفريقي» و«الهيئة الأفريقية الحكومية للتنمية» (إيغاد) لإنهاء الحرب. ولاقى الاجتماع اعتراضاً من قبل وزارة الخارجية السودانية التي اعتبرته سابقة في عمل «الاتحاد الأفريقي»، ومخالفة لنظم وأعراف المنظّمة القارية وكل المنظمات الدولية، محذّرة الاتحاد من التعامل مع «ميليشيا ترتكب الفظائع ضد المدنيين». كذلك، سجّلت الوزارة اعتراضاً على ترؤس دولة كينيا للجنة الرباعية الخاصة ببحث الأزمة السودانية، ملوّحةً بالانسحاب من اللجنة ما لم تتغيّر رئاستها.

في غرب دارفور على دحض التهم الموجّهة، ووصفها بـ«المجحفة». وأعلن عبد الرحيم دقلو أنهم ليسوا معنيين بأي عقوبات تصدر ضدهم من أي جهة، قائلاً إنه لا

تحليل إخباري

تركيا والحدث السوري: أيّ حسابات؟

محمد نور الدين

تتعدّد القرارات في الاشتباكات التي شهدتها مناطق شرق سوريا وشمال شرقها، بين مقاتلي العشائر العربية و«قوات سوريا الديموقراطية» في منطقة دير الزور، وأيضاً بين هذه الأخيرة والمسلّحين الموالين لتركيا في منطقتَي منبج وتل رفعت، فيما يبقى موقف الولايات المتحدة منها محلّ شكوك. من جهة تركيا، رأت وزارة الخارجية في ما يجري «مظهراً جديداً» من محاولات «حزب العمال الكردستاني»، المدرج على لوائح «الإرهاب» التركية، و«الهيمنة على شعب سوريا»، آملة أن «يرى مناصرو الحزب الطبيعة الحقيقية للمنظمة الإرهابية، التي تسعى إلى إخفاء غرضها ونيّتها بالادّعاء أنها طرف فاعل في الحرب ضد (تنظيم) داعش، من دون مزيد من التأخير، ومن دون التسبّب بمزيد من المعاناة للسوريين في المنطقة، بمن فيهم الأكراد السوريون». وفي الاتجاه نفسه، رأى الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، أن «المهمّ في هذه اللحظة توحّد العشائر العربية حتى تكون هي صاحبة السيطرة على الأرض»، مضيفاً إن «حزب العمال ووحدات الحماية ليسوا أصحاب الأرض، بل هم مجرّد إرهابيين، بينما معركة العشائر هي معركة شرف»، معلّقاً في الوقت نفسه على أحداث كركوك الأخيرة بالقول إن تركيا «لن تسمح بتخريب وحدة الجغرافيا العراقية».

على المقلب السوري، بدا لافتاً ترحيب وزير الخارجية، فيصل المقداد، بـ«انتفاضة العشائر الوطنية ضدّ الاحتلال الأميركي وحلفائه من المسلحين»، علماً أن هذه الأخيرة منقسمة على نفسها بين مَن يدين منها بالولاء للدولة السورية، ومَن يحجم عن اتّخاذ أيّ موقف معارض للاحتلال الأميركي، ويتلقّى تسليحاً من واشنطن نفسها. وإذ اتّهم المقداد الولايات المتحدة بممارسة لعبة مزدوجة عبر دعم حلفائها المتنافسين -الأكراد وتركيا -، فإن علامات استفهام كثيرة تُطرح حول موقف واشنطن، وخلفية سماحها باندلاع اشتباكات بينية في مناطق نفوذها. وفي هذا الإطار، يُجدر التذكير بما نشرته صحيفة «يني شفق»، في 7 آب الفائت (367912/al-akhbar.com/Syria)، عن أن واشنطن ستضغط على قوات «قسد» للانسحاب من مناطق في دير الزور ومنبج وتل رفعت، لتحلّ محلّها في دير الزور قوات موالية للعشائر العربية، وفي منبج وتل رفعت قوات تابعة لـ«الجيش الوطني» المدعوم تركياً. ومن خلال هذا السيناريو، الذي يُفترض تجنيد 5 آلاف عنصر من العشائر العربية، تربح تركيا معركة تقليص وجود «قسد» في غربي الفرات ودير الزور، مع سيطرة للمسلحين التابعين لها على مناطق

> **علامات استفهام كثيرة تُطرح حول موقف واشنطن، وخلفية سماحها باندلاع اشتباكات بينية في مناطق نفوذها**

تدريبات لـ«الجيش الوطني» المدعوم تركيا في شمال حلب في 29 آب الماضي (أ ف ب)

أول أيلول، إلى موسكو، حيث التقى نظيره، سيرغي لافروف، ووزير الدفاع الروسي، سيرغي شويغو، تتفاعل. وفي هذا الإطار، يرى الكاتب مراد يتكين أن لقاء فيدان - شويغو كان «مهماً» لجهة أن محادثاتهما «تركّزت على الوضع في سوريا»، حيث دعا لافروف إلى إعادة إحياء «اتفاق أضنة» لعام 1998، والذي يسمح للجيش التركي بالتوغل في الأراضي السورية حتى عمق خمسة كيلومترات فقط، تحت مظلّة غرفة أمنية سورية - تركية مشتركة، لمطاردة مقاتلي «حزب العمال الكردستاني». وبحسب يتكين، فإن الوضع السوري شكّل أيضاً محوراً لزيارة فيدان لطهران، وزيارة الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، لسوتشي يوم الاثنين الماضي، للقاء نظيره الروسي، فلاديمير بوتين. ويرى الكاتب أن إحياء «اتفاقية الحبوب»، التي مثّلت هي الأخرى عنواناً رئيساً على أجندة تلك المباحثات، «كان رهن نتائج مباحثات فيدان مع الإيرانيين»، في إشارة ربما إلى أن أنقرة حاولت انتزاع موقف في طهران، دافع في اتّجاه إعادة تفعيل الاتفاقية، في مقابل الوعد بخطوات جديدة على خطّ التطبيع المنشود بين أنقرة ودمشق. لكن الفشل في استعادة صفقة البحر الأسود، ربّما أنبأ بأن فيدان لم يحرز تقدّماً في طهران.

ولعلّ ما تقدّم يفسّر عودة إردوغان إلى تصعيد لهجته ضدّ سوريا لدى عودته من سوتشي، حيث اتّهم نظيره السوري، بشار الأسد، بأنه «يتفرّج على الأحداث للأسف من على المنبر، ولا يساهم بأيّ مشاركة في جهود التطبيع». وأشار إلى «(أننا) فتحنا بابنا لهذه الجهود. وقلنا نحن جاهزون. لكن حتى الآن ليس من موقف إيجابي من الجانب السوري»، متمنّياً أن «يأخذوا مكانهم في منصّة الحل». وأضاف أردوغان إنه «لو كان هناك تقدّم لكان التطبيع ممكناً مع سوريا. لقد قلنا إنه يجب أن نجلس حول الطاولة مع النظام السوري من دون شروط مسبقة وعلى مراحل»، مشدّداً على أهمية أن «يتحرّك الجانب السوري منسجماً مع الحقائق على الأرض وأن يبتعد عن المقاربات التي تضرّ بالعملية (التطبيع)».

في كلّ الأحوال، الأحداث الجارية في سوريا، من انتفاضة العشائر العربية ضدّ «قسد» والتأييد السوري والتركي لها، إلى التحرّك التركي في منبج وتل رفعت لمحاولة انتزاع مناطق تسيطر عليها «الإدارة الذاتية»، فاتهامات إردوغان للأسد، وفوقها الموقف الأميركي الملتبس والمزدوج، فضلاً عن الاحتجاجات في السويداء، تزيد المشهد السوري تعقيداً، وتجعله مفتوحاً على الاحتمالات كافة.

تقرير

يغيب بلير وتحضر «ملائكته»
انتخابات بريطانيا: يمين vs يمين

أعاد السير كير ستارمر، زعيم «حزب العمال» البريطاني المعارض، تشكيل حكومة الظلّ التي يُتوقّع أن يخوض بها الانتخابات العامة المرتقب انعقادها في كانون الثاني من عام 2025، أو قبل. هذا الموعد بستة أشهر. ودفع الزعيم الذي قاد حزب المعارضة الرئيس، بعد خسارته الانتخابات الأخيرة في عام 2019، بثلّة من تلامذة رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، توني بلير، إلى المناصب العليا في مسعى منه إلى تسويف نفسه يمينيّاً بمكن الوثوق به من جانب «الدولة العميقة» لتولّي السلطة

لندن ـ سعيد محمد

فيما أصبح 14 مليون بريطاني (من مجموع 63 مليون نسمة) يعيشون رسمياً تحت خطّ الفقر، ولا يتمكّن مليون منهم على الأقلّ من تأمين وجبة يومية، ويضطرّ تسعة ملايين آخرين لتقليل عدد الوجبات، ويعتمد أكثر من مليونَين بشكل أساسي على بنوك الطعام الخيرية لتحصيل الحدّ الأدنى من قوت أولادهم، وفيما يزيد عدد مَن يعيشون بلا تدفئة بأطراف متجاوزاً السبعة ملايين، فضلاً عن صفوف الانتظار اللانهائية للحصول على العناية الصحية، وتردّي مستوى الخدمات العامة، بما في ذلك المنشآت التعليمية التي تبيّن أن مئات منها لن تكون آمنة لعودة التلامذة خلال الفصل الدراسي المقبل، تبدو النخبة السياسية البريطانية، في الحكومة كما في المعارضة، وكأنها انتقلت للعيش على كوكب آخر تماماً. فالثيمة المهيمنة حالياً، تنحصر في ترسيم خطوط معركة الانتخابات العامة المقبلة، والتي يمكن، وفق تكهّنات مراقبين حول نوايا «حزب المحافظين» اليميني الحاكم، أن يتمّ تقريب موعدها من كانون الثاني 2025، إلى الصيف المقبل (2024).

وفي هذا الإطار، أعاد السير كير ستارمر، زعيم «حزب العمّال» (أكبر أحزاب المعارضة)، تشكيل فريقه السياسي الذي يُتوقّع أن يخوض به المنازلة الانتخابية المقبلة. ودفع ستارمر بعدد من النواب المعروفين بولائهم لخطّ رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، توني بلير، إلى تولّي المقاعد الأساسية في حكومة الظلّ التي يديرها، ومن بينهم الوزيران السابقان المخضرمان: بات مكفادين، وهيلاري بن، بالإضافة إلى النواب: ليز كيندال، ودارين جونز، وبيتر كايل، كما تمّ ترفيع أنجيلا راينر (اليمينية)، نائبة ستارمر، إلى منصب نائبة رئيس وزراء حكومة الظلّ. واحتفظ مقرّبون من الزعيم الحالي بمناصب بارزة، بمن فيهم رئيل ريفز (مستشارة لحكومة الظلّ)، وديفيد لامي (وزيراً للخارجية). والتحقت بالاجتماع الأول للفريق الجديد، سو غراي، الموظّفة الحكومية السابقة في الخدمة المدنية وذات التوجّه اليميني، كرئيسة لموظّفي مكتب ستارمر، فيما تمّ تهميش الكوادر اليسارية.

وكان ستارمر شنّ، طوال الأشهر الماضية، حملة لنقل تموضع الحزب الذي تشترك في تركيبته النقابات العماليّة، من يسار الوسط إلى اليمين، وذلك بعد الخسارة القاسية التي مُني بها في الانتخابات العامّة الأخيرة تحت قيادة جريمي كوربن، الذي استبعده الزعيم الحالي من الحزب، ومنعه من تمثيل منطقته السكنية على لوائح «العمّال» في الانتخابات المقبلة. ويحاول ستارمر الذي اعتُبر بدايةً حلاً وسطاً بين يمين الحزب (تيّار بلير)، ويساره (تيّار كوربن)، استعادة مزاج «حزب العمل الجديد» الذي قاده بلير بين عامَي 1994 و2007، ونجح من خلاله في كسْر هيمنة «المحافظين» على السلطة (استمرّ الحزب في السلطة بين عامَي 1997 و2010). وأثارت التعيينات الأخيرة التي أقدم عليها، حنق مَن تبقّى من اليساريين على زمّة الحزب، إذ وُصف أحدهم حكومة الظلّ الجديدة بأنها «أكثر بلديّة من حكومة بلير نفسه». كما نقلت الصحف عن نائب اسكتلندي في مجلس العموم، قوله إن «هذا التعديل العمّالي هو بلديّة تتعاطى المنشّطات. وبهذا المعدّل، سأكون مندهشاً إذا لم نغزُ العراق مجدّداً».

لكن «الستارمريين» في الحزب أبدوا ارتياحهم لما اعتبروه «طلقة البداية للحملة الطويلة للانتخابات العامة». وبحسب خبراء، فإن ستارمر يسعى، من

> **يتقدّم «العمّال» في استطلاعات الرأي الحالية بنحو 20 نقطة مئوية على «المحافظين» الذي يقوده ريشي سوناك**

وراء خطواته، إلى تقديم أوراق اعتماده للدولة العميقة، في وقت يأمل فيه في أن يستغلّ انهيار التأييد الشعبي لـ«حزب المحافظين» الحاكم، ليصبح أوّل زعيم «عمالي» يفوز في انتخابات عامّة منذ سقوط حكومة غوردن براون في عام 2010، بعدما خلف الأخير بلير على رأس الحزب والحكومة بعد استقالته في عام 2007.

ويتقدّم «حزب العمّال» في استطلاعات الرأي الحالية بنحو 20 نقطة مئوية على «المحافظين» الذي يقوده رئيس الوزراء، ريشي سوناك، علماً أن هذا التقدّم متأتٍ من أصوات محتجّين على الأداء الفضائحي للحزب الحاكم، وفي ظلّ غياب أيّ بدائل سياسية حقيقية، ما يجعله غير مضمون لحظة فتح صناديق الاقتراع.

على الضفة المقابلة، يبدو مناخ «داونينغ ستريت» انتخابياً بامتياز، حيث يرسم سوناك، من جهته، خطوط المعركة السياسية للانتخابات المقبلة، تحسُّباً لمؤتمر «حزب المحافظين» الشهر المقبل، كما الانتخابات البرلمانية الفرعية لملء مقعد وزيرة الثقافة السابقة، نادين دوريس، في ميد بيدفوردشاير، والذي يعتقد على نطاق واسع أنه لم يَعُد مضموناً لـ«المحافظين». وقبل ذلك، ستكون لسوناك رحلة إلى الهند لحضور اجتماع «مجموعة العشرين» هذا الأسبوع، تُعتبر مهمّة لإقناع الناخب البريطاني بقدرة «المحافظين» على نسج علاقات دولية مؤثّرة لبريطانيا ما بعد الاتحاد الأوروبي، إضافة إلى خطاب الملك تشارلز الثالث أمام البرلمان في السابع من تشرين الثاني، والذي يُتوقّع أن يكون ذا مضمون سياسي أبعد من البروتوكولات المعهودة.

وينظر فريق سوناك إلى مؤتمر «المحافظين» المقبل، والذي سيعقد في مدينة مانشستر، على أنه لحظة شخصية له لـ«إعادة ضبط» الأمور، وطرْح سياسات جديدة للبناء على ما يؤمّل أن يكون عودة إلى الانتعاش الاقتصادي في عام 2024. وكانت سلسلة من الأزمات الاقتصادية المتلاحقة والفضائح الإدارية المتتابعة أفقدت الحزب الحاكم تأييده الشعبي، لتصبح مسألة بقائه في السلطة مرتبطة فقط باستحالة إقالته من الحكومة بسبب الأغلبية البرلمانية الحاسمة التي نالها في انتخابات عام 2019. ويريد سوناك أن يستغلّ الأشهر القليلة المقبلة لمحاولة التخلّص من الإرث المسموم المتراكم لحكومات «المحافظين»، والتأسيس لصورة جديدة أكثر تفاؤلاً. وفي هذا الجانب، يقول مطّلعون على أجواء الحزب، إن سوناك قد يبني على مناخ تحسّن اقتصادي متوقّع في النصف الأول من العام المقبل، ليقدّم موعد الانتخابات ستة أشهر إلى الصيف.

ومع اتّضاح معالم المنافسة الانتخابية بين اليمين الحاكم واليمين المعارض لاستقطاب رضى مراكز النفوذ داخل الدولة العميقة - من دون أيّ اختلافات جوهرية في البرامج -، وفي موازاة تلاشي تأثير اليسار البريطاني على الساحة السياسية إلى درجة الصفر، فإن لعبة الديموقراطية البرلمانية بالنسبة إلى غالبية البريطانيين ستبدو هذه المرّة خاوية، وأقرب إلى لعبة كراسي موسيقية بين أفراد من النخب اليمينية ذاتها، فيما تكاد تنعدم بوادر حدوث تغييرات حقيقية على أوضاعهم في المدى المنظور.

دفع ستارمر بنواب موالين لتوني بلير، إلى تولّي المقاعد الأساسية في حكومة الظلّ التي يديرها (أ ف ب)

توثيق فوتوغرافي

على مدى أكثر من ربع قرن أمضاها في أوروبا، عكف الباحث والأكاديمي اللبناني بدر الحاج على جمع صور ملتقطة في القرن التاسع عشر، تشكّل الوثائق المرئية الوحيدة لبلادنا، وتوفّر معلومات قيّمة في الأبحاث المستقبليّة. كانت النتيجة كتاب Beirut 1840-1918/ A Visual and Descriptive Portrait، الذي جاء بحثاً مفصّلاً وموثّقاً في التاريخ المصوّر للعاصمة اللبنانية منذ أول صورة التقطت فيها في شتاء 1840 لغاية صورة دخول قوات الاحتلال البريطاني عام 1918. ترافق صدور العمل مع معرض «بيروت 1840 ـ 1918 صور وخرائط» في «متحف نابو» أولاً، قبل حلوله أخيراً على «بيت بيروت». الباحث بدر الحاج خصّنا بنصّ عن رحلته الطويلة النفس التي حداها حسّ عميق ينطلق من قناعاته القومية بأن هذه البلاد تستحقّ منّا الكثير

ما تبقّى لنا من وجه بيروت... قبل مجيء البرابرة

منظر عام التُقط من منزل القنصل الفرنسي في زقاق البلاط (تصوير لويس فيت 1860)

طريق بيروت- دمشق من الحازمية (تصوير لويس فيت حوالي 1860)

ابراج المرفأ الثلاثة: برج البحر (يسار) - برج برقوق (وسط) - البرج البزي (يمين). (تصوير جان شو سميث 1852)

بدر الحاج

في «بيت بيروت» في السوديكو، أعيد افتتاح المعرض المصوّر لبيروت الذي ولد أولاً قبل بضعة أشهر في «متحف نابو» (الهري ، شمال لبنان). «بيروت 1840 1918 ـ صور وخرائط» مجدداً في قلب العاصمة ليتسنّى لأهلها وسائر المواطنين والمغتربين القادمين لقضاء فصل الصيف رؤية ماضي المدينة المصوّر. هي نقطة ضوء على مجموعة نادرة استلزم جمعها الكثير من السنين والأموال والترحال بين المزادات والمكتبات والمجموعات والمتاجر. هذه المجموعة هي ما تبقى لنا من وجه بيروت التي كانت. بيروت قبل مرور البرابرة، بأشكالهم. المعرض باقٍ حتى أواخر الخريف.

السبب الحقيقي الكامن وراء ذلك الدمار هو جشع رأس المال وجهل أصحابه الذين اشتروا السلطة بعد الحرب الأهلية

باعتقادي، إن هذا المعرض يطرح موضوعاً على درجة كبيرة من الأهمية، وهو إجمالاً لا يحظى بالاهتمام من قبل المؤسسات التربوية والمكتبات العامة في بلادنا. إن البحث عما تبقى من تاريخنا المصوّر، واقتنائه واستعماله في الأبحاث الاجتماعية والتاريخية هو أمر أساسي لا مفر منه. ولكي لا أقع في التعميم، هناك بعض الجامعات والمؤسسات في لبنان قد بادرت إلى جمع وحفظ ما يُقدَّم لها من صور فوتوغرافية التقطت بمعظمها من قبل مصورين محليين. لكن هذه الخطوة لا تكفي، إذ إن الأكثرية الساحقة من الصور التي يحتفظ بها محلياً هي تلك التي التُقطت منذ مطلع القرن الماضي وتكاد تنعدم الصور الملتقطة في القرن التاسع عشر. من ناحية أخرى، إن الصور التي التقطها مصوّرون أوروبيون في بلادنا منذ مطلع أربعينيات القرن التاسع عشر حتى قبيل الحرب العالمية الأولى، هي الصور الأهم والأندر. إذ تقدّم لنا معلومات على درجة كبيرة من الأهمية سواء حول النسيج العمراني لمدننا وقرانا أو الأزياء الوطنية أو الأعمال والحِرَف اليدوية. إلخ. كل ذلك أصبح اليوم طيّ النسيان. الحِرَف اليدوية مثلاً بمعظمها انقرضت، والنسيج العمراني دُمّر تدريجاً بحجّة الحداثة والتطوير. لكن السبب الحقيقي الكامن وراء ذلك الدمار هو جشع رأس المال وجهل أصحابه الذين اشتروا السلطة بعد الحرب الأهلية، وأسهموا في تدمير أبرز معالم الوسط التجاري الذي كان بعضه قد سبق ودمرته الحرب. ماساة بيروت الحالية تضاعفت بعد حادثة تدمير المرفأ وما نتج عنها من ضحايا وانهيار قسم كبير مما تبقى من المدينة وأبنيتها التراثية. لم تتعرض مدينة عربية لهذا القدر من الدمار الذي تعرضت له بيروت. لن أعود إلى التاريخ القديم والزلازل، ولا إلى ما دمّره العثمانيون من أزقة وشوارع في المدينة القديمة لأسباب «عسكرية» كما قيل، ولا إلى القصف الإيطالي عام 1912، ولا إلى قصف الحلفاء عام 1917، بل يضاف إلى كل ذلك، حروب اللبنانيين أنفسهم، وحرب رأس المال الجشع الذي انقضّ على المدينة واغتصبها وجعلها حجراً بلا روح. هذا ليس اتهاماً، بل هو الواقع.

فندق بتشوا والى يمينه «الفندق الجديد» (تصوير ميشيل الحداد 1901)

منازل حي راس المدوّر (تصوير لويس فيت 1860)

ساحة البرج (تصوير تانكريد دوماس حوالي 1880)

الأسواق القديمة القريبة من المرفأ التي كانت تعج بالمواطنين ليل نهار، أصبحت شوارع فارغة بلا حياة، منطقة أشباح. ساحة الشهداء التي تظهر في الصور القديمة تتوسطها حديقة كانت ملتقى أهل المدينة أيام العطل والأعياد، أصبحت موقفاً للسيارات. المباني التراثية النادرة التي كانت تحيط تلك الساحة، استبدلتها ناطحات سحاب من فولاذ وزجاج. كل ذلك جرى بشكل ممنهج. حتى إنّ تمثال الشهداء الذي كان من قبل، والذي نفذه النحات اللبناني النوراني يوسف الحويك، أزيل وأعطي لمتحف سرسق. نزعوه واستبدلوه بعمل نحتي غربي لفنان إيطالي وفيه سحنات أشخاص لا يشبهون وجوه اللبنانيين أصلاً. هكذا ثارت سلطة الطوائف من يوسف الحويك لأنه كما والده، سعدالله الحويك، كان مناهضاً للاحتلال الفرنسي. رغم أن الحويك هو ابن آخ البطريرك الياس الحويك الذي كان يخدم الجنرال غورو ومخططاته. معظم الصور التي عرضت في «نابو» والآن في «بيت بيروت» قمت باقتنائها خلال فترة زمنية تجاوزت ربع قرن خلال إقامتي في أوروبا. لكن بعض الصور التي تم عرضها والخرائط، تعود إلى متاحف عالمية حصلت على حق استعمالها ونشرها. لم يكن اقتنائي لتلك الصور مجرد هواية على الإطلاق، إنما كان حسّاً عميقاً منطلقاً من قناعاتي القومية بأن هذه البلاد تستحق منا الكثير، وإنه أفضل للمرء أن يصرف أمواله وتعبه لاقتناء صور لبلادنا كما كانت، وجمع ما طمسه النسيان بدلاً من مظاهر الترف الخالية. إن الأكثرية الساحقة من أجيالنا الجديدة تجهل كيف كانت هذه البلاد. الاستعمار الغربي الذي مزقها وسيطر عليها ولا يزال، قد شوّه المفاهيم والثقافة والمعرفة والتاريخ ونجح في مسعاه.

تحوي اليوم كتب التاريخ التي يتم تدريسها في مناهجنا ومعاهدنا، الكثير من الكذب والضلال واختراع بطولات وهمية وتجاهل الأبطال الحقيقيين. الحقائق تنقلب رأساً على عقب وتنمو أجيال عقولها مستلبة بالغرب الاستعماري وأخرى غارقة في التعصب المذهبي وفي مراحل العصور الغابرة من الحروب الدينية التي مرت على بلادنا.

أهمية الصور الفوتوغرافية الملتقطة في بلادنا خلال القرن التاسع عشر هي كونها الوثائق المرئية الوحيدة لهذه البلاد. وعلى الرغم من أن بعضها يحمل في مضمونه رؤية استشراقية، إلا أن معظمها يقدّم لنا معلومات على درجة كبيرة من الأهمية يعتمد عليها في الأبحاث المستقبلية.

لقد واكبت هذا المعرض بكتاب من جزأين أنجزته بالتعاون مع السفير سمير مبارك بعنوان «بيروت 1840 – 1918» صدر عن «دار كتب للطباعة والنشر». الكتاب هو بحث مفصّل وموثّق في التاريخ المصوّر للمدينة منذ أول صورة التُقطت فيها في شتاء 1840 إلى آخر صورة لدخول قوات الاحتلال البريطاني عام 1918.

بالإضافة إلى التاريخ المصوّر، هناك قسم أساسي في الكتاب، هو بحث موثق لنصوص كتبها رحّالة أجانب بلغات عدة في الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى. أهمية النصوص هذه أنها تلقي المزيد من الضوء وتعطي الكثير من الشرح والمعلومات عن تاريخ المدينة وحياتها الاجتماعية وتقاليدها ونشاط ناسها وأسواقها وأحيائها وخاناتها وسورها وساحاتها العامة وحدائقها إلخ.

مهما قيل في مآسي بيروت الحالية، إلا أنها في الواقع مرآة للوضع اللبناني العام. تبقى بيروت المدينة التي بعثت الفكر النهضوي في بلاد الشام وكانت دائماً منبراً لأصوات التحرّر والوحدة في المنطقة. احتضن أبناؤها كل حركة تقدم في العالم العربي ولحق بمناضليها الظلم والقتل على أيادي كل غاصب ومحتل وصولاً إلى العدو الإسرائيلي في التاريخ المعاصر. قُصفت، حُوصرت، تم تجويعها، كانت أول مدينة عربية

تمثال الشهداء الذي نفذه النحات اللبناني النوراني يوسف الحويك، أزيل وأعطي لـ «متحف سرسق»!

يحتلها الصهاينة بعد فلسطين، لكن أبطالنا في خضم مآسيهم، سحقوا جبروت المحتل وطردوه ذليلاً، فكانت بحق عاصمة المقاومة رغم جراحها النازفة.

معرض «بيروت 1840 ـ 1918 صور وخرائط»: لغاية الأحد 8 تشرين الأول 2023 ـ من الساعة العاشرة صباحاً لغاية السابعة مساءً ـ «بيت بيروت» (السوديكو). الدخول مجاني. للاستعلام: 71/028969

الكرة الذهبية

هالاند لإنهاء حقبة ميسي على عرش الذهب

30 مرشحاً للفوز بالكرة الذهبية، لكنّ اثنين منهم فقط يملكان الأسهم الأعلى لحملها هما: النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي والهداف النروجي إيرلينغ هالاند. الأول هو المفضّل دائماً، لكنّ أسباباً عدة تعطي أحقيّة للثاني للفوز بها خلال الحفل الذي سيقام نهاية الشهر المقبل

شربل كريم

سحر ليونيل ميسي لا ينتهي. هو النجم الذي لا يزال يخطّ أجمل القصص على أرض الملعب بعدما كتب أجمل رواية في كأس العالم 2022، ما وضعه مجدداً على رأس قائمة أبرز المرشحين للفوز بجائزة الكرة الذهبية التي سبق أن حملها 7 مرات. كثيرون تعاطفوا مع ميسي دائماً، واعتبروا أنه الأفضل بلا منازع، وهو ولا أحد سواه يستحق أي جائزة فردية ترشّح لها. هم أصابوا في مناسبات عدة، إذ إن ليونيل أبهر العالم لفترة طويلة جداً، وبات اسمه مرادفاً لكل الجوائز، لكن هذه المرّة يفترض أن تأخذ الأمور منحى آخر على اعتبار أن هناك مؤشرات كثيرة تترك انطباعاً وربما اقتناعاً بأن النروجي إيرلينغ هالاند هو من يستحق القبض عليها هذه المرة، ليطلق حقبة جديدة في عالم كرة القدم.

محطم الأرقام وملكها

أحقية هالاند في الحصول على الكرة الذهبية تنطلق مما فعله منذ بداية الموسم الماضي وامتداداً الى بداية الموسم الحالي، فهو كان السبب الرئيس في فرض مانشستر سيتي سيطرته على كل البطولات، إذ يكفي أنه سجل 52 هدفاً في 53 مباراة، ليفوز «السيتيزنس» بالدوري الإنكليزي الممتاز، كأس إنكلترا، والأهم دوري أبطال أوروبا، وهي المسابقة التي صرف الكثير من الأموال للتتويج بها، لكنه عجز مراراً حتى وصول المقاتل النروجي الذي توّج هدافاً لها بـ 12 هدفاً، ليحمل فريقه الى اول لقبٍ أوروبي كبير في تاريخه.

هو صنع التاريخ بالفعل منذ وصوله الى إنكلترا عندما شرع في تحطيم أرقام نجومٍ كبار، مسجلاً 9 أهدافٍ في أول 5 مباريات خاضها، ومن ثم أسرع 3 ثلاثيات «هاتريك» في التاريخ، موقعاً عليها في 8 مباريات فقط، محطماً رقم مايكل أوين الذي احتاج الى 48 مباراة مع ليفربول لتحقيق هذا الإنجاز!

كما محا رقم الأرجنتيني سيرجيو أغويرو كأكثر لاعب سجّل للسيتي في الدوري في موسمٍ واحد، قبل أن يلغي رقماً صمد 28 عاماً بحوزة ألن شيرر وأندي كول (34 هدفاً) بتسجيله 36 هدفاً في 35 مباراة (بينها 32 أساسياً) خاضها في «البريميير ليغ».

أكثر من كأس العالم

الواقع أن ما حققه هالاند على مدار سنةٍ كاملة يتخطّى بحجمه ما فعله ميسي في كأس العالم حصراً. صحيح أن الأرجنتيني صنع تاريخاً جديداً للأرجنتين بحملها الى لقب مونديالي ثالث، لكن هالاند أيضاً غيّر تاريخ إنكلترا وناديه الذي ذهب مدربه الإسباني جوسيب غواردیولا حتى الى تغيير مراكز الكثير من لاعبيه من أجل أن يخلق طريقة لعب تتكيّف مع أسلوب هالاند، ليواصلَ تسجيل الأهداف بغزارة، وهو ما حصل بعدما تحوّل الشاب الى عامل حاسم في العدد الأكبر من المباريات. في المقابل، ماذا فعل ميسي طوال الموسم وقبل الوصول الى كأس العالم؟

حقق هالاند جميع البطولات الممكنة مع مانشستر سيتي بينها دوري الأبطال (أ ف ب)

بعيداً من إحراز باريس سان جيرمان لقب الدوري الفرنسي، وهو أمر منطقي بالنظر الى الفوارق الفنية والمادية بينه وبين الفرق الأخرى، أقصى فريق ميسي من دور الـ 16 في كأس فرنسا، ومن الدور عينه في دوري أبطال أوروبا، حيث غاب الأرجنتيني كلياً في المواجهتين أمام بايرن ميونيخ بطل المانيا.

كل هذا حوّل حياة ميسي الى كابوس في باريس، حيث واجه صافرات الاستهجان من قبل جماهير فريقه، ومن ثم اصطدم بالإدارة بعدما غاب عن التمارين بسبب رحلةٍ تسويقية خاصة الى السعودية.

الأمر الوحيد الذي تفوّق به ميسي على هالاند هو الفوز بكأس العالم التي لم يتاهل إليها منتخب بلاده منذ عام 1998. لذا قد تسقط المقارنة في مكان ما لأن الاثنين مثلاً شاركا في «التشامبيونز ليغ»، لكن واحداً منهما فقط لعب كأس العالم. أضف إنه قد لا يكون عدلاً اختصار ما فعله أحدهما طوال موسم واحد مقابل 7 مباريات فقط ولو أن هذه المباريات جاءت في البطولة العالمية الأشهر.

بطبيعة الحال، قد لا تتاهل النروج يوماً الى بطولة كبيرة، فهل هذا يعني أن هالاند لن يملك أيّ حظوظ للفوز بالكرة الذهبية خلال مسيرته؟ الواقع أنه يجب الفصل بين كل ما يرتبط بهذه المنافسة المستجدة التي لن تطول أصلاً، على اعتبار أن مشوار أفضل لاعب في التاريخ انتهى عملياً في أوروبا بعد انتقاله الى الولايات المتحدة، وهو آخر ترشيح له لجائزة الكرة الذهبية وغيرها، ما يعني أنه مهما كانت نتيجة التصويت النهائي، فإن المستقبل هو لإيرلينغ هالاند، والذكرى الجميلة الدائمة تحمل اسم ميسي الذي يفترض على هالاند والكثيرين سواه أن يتفوّقوا على أنفسهم لكي يحاولوا التفوّق على ما فعله حاصد الكؤوس والجوائز ليونيل ميسي.

تصفيات اليورو

فوز وحيد في آخر 5 مباريات: ألمانيا أمام مفترق طرق

أزمة خانقة يمر بها منتخب المانيا لكرة القدم. خروجٌ من دور مجموعات كأس العالم في نسختَين الماضيتين أنقص من اسهم «المانشافت» ضمن بورصة «الكبار»، وسط تساؤلات حول اسباب السقوط الحر وموعد العودة

9

كان المنتخب الألماني يشتهر بفرض نفسه على رأس المرشحين للفوز بالألقاب القارية قبل أن تبدأ حتى، وذلك على خلفية ثباته في الأداء والنتائج. «عُرفٌ» تغيّر تدريجياً

يشارك المنتخب الألماني تلقائياً في يورو 2024 كونه الدولة المنظمة

بعد التتويج بمونديال 2014، وسط معاناة حقيقية للعودة إلى الواجهة من جديد. بدأ الأمر بخروج مدوٍ من دور المجموعات في مونديال روسيا 2018، ثم تكرّر السقوط على الأراضي القطرية قبل بضعة أشهر (مونديال 2022). فشل انسحب إلى ما بعد كأس العالم 2022، حيث فازت ألمانيا مرة واحدة من آخر خمس مباريات لها وخسرت في ثلاث.

ضياع كامل من حيث العناصر المختارون وأسلوب لعب غير واضح قد يهددان مستقبل المدرب هانسي فليك، الذي فاز في 70 من أصل 86 مباراة له مع بايرن ميونيخ في الفترة من نوفمبر/ تشرين الثاني 2019 إلى يونيو/ حزيران 2021. وجّهت انتقادات واسعة النطاق للمدرب وتكتيكاته، وخاصة في إعداد الثلاثي الخلفي. وعلى الرغم من أن الخسارات الثلاث الماضية كانت ودية فقط، يبدو أن فترة التوقف الدولية هزّت ثقة الاتحاد الألماني لكرة القدم في مدرب المنتخب. ووفقاً لتقرير صادر عن «Sport Bild»، قد تخطط ألمانيا لإقالة فليك إذا لم تسر جولة المباريات الدولية على ما يرام (يلعب المانشافت أمام منتخب اليابان اليوم (21:45 بتوقيت بيروت) ثم فرنسا الثلاثاء المقبل (22:00 بتوقيت بيروت)، مع اعتبار مدرب بايرن ميونيخ السابق جوليان ناغيلسمان بديلاً محتملاً.

سوء المنتخب هزّ الوسط الرياضي من لاعبين وجماهير ونقّاد مختلفين، مع الإشارة إلى أن الاتهامات تطال الاتحاد الكروي ككل وليس فقط المدرب، نظراً إلى عدم تركيز القيّمين على تنمية مراكز يفتقدها المنتخب منذ سنوات مثل رأس حربة حاسم أو أظهرة جيدين. وفي تدوينة صوتية لصحيفة «بيلد» الألمانية قبل أيام، قال لاعب المنتخب السابق ماتياس زامر: «كرة القدم الألمانية تعيش أكبر أزمة يمكنني أن أتذكرها. نحن أبطال العالم واوروبا فقط في إيجاد الأعذار وفي إيجاد تبريرات لعدم النجاح»، تصريح جاء تفهّمه مدير المنتخب الألماني لكرة القدم، رودي فولر، مشيراً إلى أن الانتقادات ليست موجهة للمنتخب فقط وإنما للرياضة الألمانية بشكل عام، بحيث تواجه المانيا «أزمة على صعيد الرياضة ككل». ويشارك المنتخب الألماني تلقائياً في نهائيات كأس الأمم الأوروبية (يورو 2024) كونه الدولة المنظمة، ما يجعله غير مضطر للعب التصفيات. المنتخب بحاجة إلى الثبات الفني على تشكيلة محددة وعناصر ملائمة لخطط المدرب، الذي قال بدوره عندما أعلن عن تشكيلته لمباراتَي اليابان وفرنسا إن الأخيرتين تمثلان «نقطة تحول»، ثم أضاف «من الآن فصاعداً، سنلعب بالعمود الفقري لمنتخبنا». ويأمل فليك أن يساعد الضغط الملقى على عاتقه قبل هاتين المباراتين في قيادة المنتخب إلى الفوز، خاتماً بأن «الاستعداد لكأس اوروبا يبدأ الآن».

هانسي فليك مطالب بتحقيق الفوز هذه المرة (أ ف ب)

(الأخبار)

مونديال السلة

ألمانيا وصربيا في النهائي: المدرسة الاوروبية تكسب

نجحت المنتخبات الأوروبية في مونديال كرة السلة، بعد إسقاطها منتخبات القارة الأميركية. وبعد أن كان منتخبا كندا وأميركا مرشحيْن للفوز باللقب العالمي، جاء منتخب صربيا من بعيد وأسقط المنتخب الكندي المدجّج بالنجوم ظهر أمس بنتيجة (95 . 86)، ليضرب موعداً مع المنتخب الألماني الفائز عصر أمس أيضاً على أميركا بنتيجة (113 . 111) بعد مباراة قوية جداً وغاية في الندّية.

وهذا هو النهائي الثاني لصربيا منذ انفراط عقد يوغوسلافيا حاملة اللقب خمس مرات. وكان المنتخب الصربي قد خسر نهائي المونديال السلوي عام 2014 أمام أميركا، وبالتالي فرصته قوية هذه المرة للفوز باللقب.

من جهة المنتخب الألماني فقد كان نداً قوياً للأميركيين، واستحقّ الفوز في نصف النهائي ليصل إلى النهائي الأول في تاريخه، كما أنه حقّق فوزه الأول في تاريخه على أميركا.

وكانت أفضل نتيجة لألمانيا في كأس العالم هي المركز الثالث في نسخة 2002، فيما أخفق المنتخب الأميركي بمتابعة المشوار نحو لقب سادس في تاريخه، علماً أنه خاض البطولة دون أبرز نجوم الدوري الأميركي للمحترفين NBA، مكتفياً بلائحة رديفة قادها المدرب الشهير ستيف كير.

ويوم غدٍ الأحد تلعب كندا مع أميركا الساعة 11:30 بتوقيت بيروت على مباراة تحديد المركزين الثالث والرابع، بينما يُلعب النهائي الساعة 15:40 بتوقيت بيروت.

أما اليوم السبت فتلعب إيطاليا مع سلوفينيا (الساعة 11:45) ولاتفيا مع ليتوانيا في مباريات تحديد المراكز (الساعة 15:30).

الكرة اللبنانية

اختبار صعب للمنتخب الاولمبي

يواصل منتخب لبنان الأولمبي لكرة القدم مشواره ضمن تصفيات كأس آسيا تحت 23 عاماً (قطر 2024)، عندما يواجه عصر اليوم (الساعة 19:00 بتوقيت بيروت) نظيره السعودي على ملعب سلطان بن عبد العزيز في مدينة أبها السعودية. وكان المنتخب اللبناني قد أضاع فوزاً بالتناول يوم الأربعاء الفائت، عندما تعادل مع كمبوديا بنتيجة (2 . 2) ضمن الجولة الأولى. وبهذا التعادل صعّب لبنان مهمته بالتأهل إلى الدور المقبل من التصفيات، وخاصة بعد فوز السعودية على منتخب منغوليا (3-1) وتصدرها المجموعة. ويتأهل إلى النهائيات صاحب المركز الأول في المجموعات الـ11، إلى جانب أفضل أربعة منتخبات حاصلة على المركز الثاني، حيث تنضم إلى منتخب قطر المضيف. من هنا يحتاج المنتخب إلى تقديم كل شيء ممكن في مباراة اليوم، من أجل الحفاظ على آماله بالتأهل إلى بطولة القارة.

المنتخب الاول يلتقي الهند

من جهة ثانية، وضمن بطولة كأس ملك تايلاند الوديّة، يواجه منتخب لبنان الأول للرجال نظيره الهندي الأحد (13:30 بتوقيت بيروت) في مباراة تحديد المركزين الثالث والرابع، وذلك بعد خسارته المباراة الأولى أمام تايلاند يوم الخميس (2 . 1). وسيلعب المنتخب المضيف مع العراق على لقب البطولة. وتأتي خسارة منتخب لبنان لهذه البطولة الودية، بعد خسارة لقب بطولة اتحاد جنوب آسيا أمام الهند في النهائي قبل أشهر قليلة، وقبله خسارة لقب Hero Intercontinental Cup أمام الخصم عينه. وتأتي هذه المشاركات في إطار التحضير لبطولة آسيا المقرر في قطر مطلع العام المقبل، حيث وقع لبنان في المجموعة الأولى إلى جانب قطر المضيفة والصين وطاجيكستان.

(الأخبار)

استراحة

إعداد نعوم مسعود

كلمات متقاطعة 4401

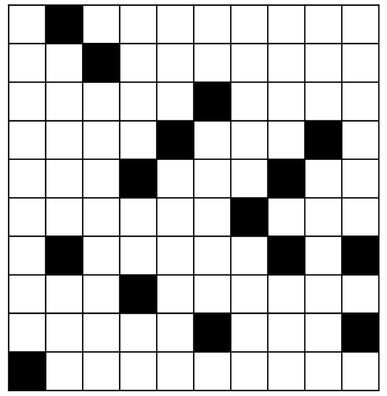

أفقيا

1- إحدى الجامعات في لبنان – 2- مدينة ألمانية جرت فيها محاكمة مجرمي الحرب العالمية الثانية – ضجر – 3- مبتكر شخصية ميكي ماوس في الرسوم المتحركة – وعاء كبير – 4- عش العصفور – سفينة صغيرة – 5- جرذ بالأجنبية – غليظ الصوت – من الأشجار – 6- وجع – لقب هندي – 7- يُسقط حبوب العنب على الأرض – 8- عاصمة الشيشان – طبيب – 9- أبعد ورد – المرتفع من الأرض – 10- إحدى الجامعات في لبنان

عمودياً

1- إمارة صغيرة في أوروبا – 2- من الأشجار – من التوابل – 3- ينظر إليك بسكون الطرف – وكالة أنباء فلسطينية – 4- فيلسوف روماني مستشار نيرون في الحكم – يقول كلاماً وياتي بالأكاذيب – 5- تهيّأ للحملة في الحرب – رماهن بالحجارة – 6- غالبية سكان الشرق الأوسط – بطل قصص ألف ليلة وليلة – 7- يغور في الماء – عكسها من الحيوانات – خاصتك – 8- ماركة سيارات – 9- نوع طائرة حربية – قفة من قصب – 10- إحدى الجامعات في لبنان

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- رب – علي بابا – 2- يوتاه – جبيل – 3- نلحق – ت ت ت – 4- هسدروبعل – 5- دار – هرص – حجّ – 6- يل – أرواد – 7- كسروان – نوَه – 8- 11 – آن – شك – 9- رديء – ماركة – 10- تسالونيكي

عمودياً

1- رينه ديكارت – 2- بولس السادس – 3- تحدر – يا – 4- عاقر – أوائل – 5- له – وهران – 6- حبرون – من – 7- بجّ – عصا – شاي – 8- إبتِل – دنكرك – 9- بيت – كي – 10- التوجيهية

sudoku 4401

4	7						6	1
6		3		4		7		5
9	8						4	2
			2	1	6			
	9						8	
			9	3	8			
5				8	3	9		
1					4	6		
7	6		5					3

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4400

4	6	3	1	7	8	2	9	5
7	9	2	5	4	3	1	8	6
1	8	5	9	2	6	4	7	3
6	2	4	8	1	7	3	5	9
5	7	9	2	3	4	6	1	8
3	1	8	6	5	9	7	2	4
9	4	6	7	8	2	5	3	1
8	5	7	3	6	1	9	4	2
2	3	1	4	9	5	8	6	7

مشاهير 4401

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

عالم انكليزي (1856-1940). مكتشف الإلكترون. نال جائزة نوبل عام 1906

9+2+4+10+3 = مركبة فضاء روسية ■ 8+1+7+3 = خلاف مفرد ■ 11+5+6 = بترول

حل الشبكة الماضية: موريس الجميّل

حرب المئة عام على فلسطين: رواية رشيد الخالدي

أسعد أبو خليك *

كتاب «حرب المئة عام على فلسطين: تاريخ من الاستعمار الاستيطاني والمقاومة، 1917-2017»، للمؤرّخ رشيد خالدي، المُعدّ أساساً لتعريف قرّاء الإنكليزية بتاريخ القضيّة الفلسطينيّة الشامل، نجح في غرضه بلا أدنى شك، في ظلّ الحاجة إليه، نظراً إلى أن الكتب التي تروي قصّة الصراع من منظور مُنصف قليلة وبعضها الجيّد غارق في التفاصيل (مثل كتاب تشارلز سميث أو كتاب سامي هداوي). ورشيد، الذي كان أستاذي المُشرف في سنوات البكالوريوس والماجستير في «الجامعة الأميركيّة في بيروت»، يُحسن تاريخ الصراع؛ ليس فقط بسبب معرفته العميقة والحميمة بالمراجع، بل لأن عائلته ارتبطت بتاريخ فلسطين وبتعريف القضيّة الفلسطينيّة للغرب.

> من شأن الكتاب أن يستفيد منه القراء العرب وليس الغربيّون وحدهم

تصل إلى القارئ العادي وتُصلح لتعيين الكتاب في مادة الصراع العربي - الإسرائيلي في الجامعات، خصوصاً أن سرده لجأ كثيراً إلى الإشارات الشخصيّة البيوغرافية عنه وعن أفراد عائلته، ما يُقرّب القارئ للنصّ أكثر. قصة رشيد عن صيف بيروت 1982 - وهو الذي درس الحصار في كتاب «تحت الحصار» الذي صدر أخيراً في ترجمة عربيّة - تجعل القارئ يدرك مدى وحشيّة جيش العدو، إذ نجح في جعل القارئ يشعر بمعاناة الأهل والأطفال من القصف الإسرائيلي العشوائي لبيروت.

أهميّة الكتاب، في خضمّ كتب كثيرة عن فلسطين وتاريخها، تكمن في أن الكاتب تجنّب الوصف الكرونولوجي الرتيب الذي تعاني منه غالبية كتب سرد الصراع، من مثل كتاب سميث أو كتاب مارك تسلر. وضع الخالدي في كتابه ما يظنّ أنه ضروري وأساسي في فهم الصراع، وخصوصاً في بداياته وفي تشكّل الحركة الصهيونيّة. ونحن، الذين نعلّم مادة الصراع العربي - الإسرائيلي وتاريخ القضيّة الفلسطينيّة، دائماً ما نبحث عن كتاب جديد كي يلخّص قضايا الصراع المتشعّبة ويجعلها مفهومة للطالب الجامعي.

يبدأ الكتاب بذكر مراسلة يوسف ضياء الخالدي في عام 1899 مع ثيودور هرتزل، عبر كبير حاخامات فرنسا، والتي يطري فيها الخالدي على هرتزل وعلى الصهيونيّة. وفيما عرّض هذا الإطراء الخالدي للنقد، استشهد رشيد بباقي الرسالة التي يحذّر يوسف فيها، وبوضوح، من عواقب المشروع الصهيوني، داعياً إلى «ترك فلسطين وشأنها، ياسم الله» (ص. 7). هنا، يبدو أن يوسف ضياء وعى خطر الصهيونيّة مبكراً، لكن كلامه الدبلوماسي المنمّق تركه عرضة للنقد من الجمهور العربي مذاك. وجاء ردّ هرتزل على رسالة الخالدي مناقضاً تماماً لما كتبه هرتزل في يومياته حول «طرد» الفلسطينيّين خفية عبر الحدود، وهي اليوميات التي استحضرها رشيد لتبيان حقيقة موقف هرتزل، والتي أكدت أن مقاصد الصهيونية لم تتغيّر كثيراً منذ زمن هرتزل حتى يومنا هذا.

أما القضايا الديموغرافيّة، التي كثيراً ما أزعجت الصهاينة ودعاتهم، فتطرّق إليها الكتاب من خلال ذكر تعداد العرب واليهود عبر السنوات. في الثورة الفلسطينيّة من عام 1936 إلى عام 1939، تعرّض 10% من سكان فلسطين الذكور إلى القتل أو الجرح أو السجن أو النفي (ص. 8). الصهاينة طالما حاولوا تصغير حجم الوجود الفلسطيني (كما ورد في كتاب جون بيترز «منذ القِدَم»)، وأحياناً يزعمون أن العرب في فلسطين لم يكونوا إلا مهاجرين عرباً جدداً من خارج فلسطين. ولا يزال ساسة أميركا يكرّرون مقولات أوائل الصهاينة وأواخرهم، حول عدم وجود شعب فلسطيني، كما ورد على لسان رئيسة الوزراء الإسرائيلية السابقة، غولدا مائير، التي تكرّس هولیوود فيلماً جديداً لها لا علاقة له بالتاريخ. والمقولة نفسها كرّرها محافظ أركنساس، مايك هكبي، في عام 2015، بقوله إنه «ليس هناك شيء اسمه الفلسطينيّون» (ص. 12).

من فضائل الكتاب أنه يرسم ملامح تكوّن الهويّة الوطنيّة الفلسطينيّة، وهذا عمل بدأه رشيد في كتاب سابق بعنوان «الهوية الفلسطينيّة: بناء وعي وطني حديث». رشيد دحض فكرة أن الشعب الفلسطيني لم يكن يتمتّع بعناصر الوعي الوطني وأكّد أن تشكّل الوعي القومي ضدّ فكرة مضادة لا يختلف عند الفلسطينيّين من التجربة الصهيونيّة (التي تشكّلت كفكرة مضادة لمعاداة السامية). ويعطي رشيد فكرة عن المجتمع الفلسطيني قبل النكبة وينفي الصورة التي رسمها غربيّون عن أنه كان في حالة انحدار أو انحطاط أو بدائية.

يولي رشيد أهميّة فائقة لـ«وعد بلفور»، الذي منح صكّ ولادة للدولة الصهيونيّة. القسم المتعلّق بوعد بلفور من الأفضل والأوفى في الكتاب، ويجب أن يكون بمتناول قرّاء العربيّة. مرّ قرن على «الوعد» المشؤوم ولم تعره الصحافة والثقافة العربيّتان ما يستحقّ من الشرح والتحليل، خصوصاً أن مضاعفاته لم تنحصر بفلسطين وحدها، كونه نتاج عقليّة استعماريّة عنصريّة. ويقول رشيد إن ونستون تشرشل ولويد جورج (في عشاء في بيت بلفور في عام 1922) أكدا لحاييم وايزمان أن صيغة «وطن قومي يهودي عنت دائماً دولة يهودية مستقبليّة» (ص. 19). وهذا كان مخالفاً للوعود التي أطلقتها بريطانيا للعرب في حينه. ويروي رشيد قصص القمع التي جرت أثناء الثورة الفلسطينيّة (1936 - 1939). ويذكّر بإعدام الشيخ فرحان السعدي في عام 1937، حين كان عمره واحداً وثمانين عاماً، في حين أن وجود رصاصة في حوزة فلسطيني كانا كافياً لتطبيق عقوبة الإعدام. وتم تنفيذ أكثر من مئة عقوبة إعدام بالإضافة إلى إعدامات ميدانية من قبل الجنود البريطانيّين (ص. 31). لكنني أغالط الخالدي في أن الفلسطينيين كان يمكن لهم أن ينالوا «أفضليّة بسيطة» (ص. 34) لو أنهم وافقوا على الورقة البيضاء في عام 1939، إذ إن هذه الورقة كانت غامضة في وعودها، والعرب كانوا على حق في عدم تصديق الوعد البريطاني، لأن النصف الأول من تاريخ المشرق كان سلسلة من الوعود البريطانية الكاذبة، والتمسك بالحق الوطني كان يفترض رفض الورقة البيضاء.

وإذ يعتمد رشيد على مصادر في عائلة الخالدي ممّن شاركت في صنع بعض الأحداث أو كانت شاهداً أولياً عليها، يذكر من بينها ما سجّله حسين الخالدي، في مذكّراته، من خيبة أمل الشعب الفلسطيني عند تأسيس «الجامعة العربيّة» في عام 1945، نظراً إلى أن الدول الأعضاء قزّمت إزالة أي ذكر لفلسطين في البيان التأسيسي، وأصرّت على انتقاء ممثّل فلسطين في «الجامعة». ويعتبر حسين الخالدي أن ممثّل الفلسطينيّين، موسى العلمي، أصبح ممثلاً للحكومة البريطانيّة بمجرّد أن شغل منصبه في «الجامعة» (ص. 45). كما يروي رشيد موقف البرت حوراني، أستاذه المُشرف في جامعة «أوكسفورد»، من «المركز العربي» عندما أدلى بشهادة أمام اللجنة الأنجلوأميركيّة في عام 1946، والتي لا تزال «بياناً قويّ الحجّة» كما وصفها وليد الخالدي في مقالة له. إلا أن أحاديث البرت حوراني مع مرور السنوات كشفت عن رؤيته الشديدة الاعتدال، كما أنه كان قريباً من دبفيد بن غوريون وشديد الإعجاب به، فضلاً عن أنه (حوراني) في الشهادة المذكورة تنطّح ليعلن باسم العرب قبول المهاجرين اليهود غير الشرعيّين.

في روايةِ رشيد، هناك الكثير من الجرائم الإسرائيليّة التي طواها النسيان أو أنها غير مذكورة حتى في المراجع التي تتحدث عن الصراع. من هذه الجرائم ما حدث في تشرين الثاني 1956 في خان يونس ورفح، عندما قتل عدوان إسرائيلي 450 مدنياً فلسطينيّاً، معظمهم في إعدامات ميدانية (ص. 63). كما أن التواطؤ الأميركي في حرب 1967 مفصّلٌ في الكتاب، والذي يدعوك إلى التساؤل عن سبب تصديق جمال عبد الناصر للوعود الأميركيّة. وكان ليندون جونسون، الرئيس الأميركي آنذاك، وروبرت ماكنامارا، وزير الدفاع آنذاك، قد تلقيا تأكيدات من مستشاريهم العسكريّين أن العرب لن يباشروا بالعدوان، ليحصل الإسرائيليّون على الضوء الأخضر، كالعادة، من أميركا.

لكنّ هناك نقيصتيْن في الكتاب؛ الأولى، تتعلّق بنقد رشيد لـ«منظمة التحرير» في عدم بلورتها خطة تتوجّه فيها إلى الرأي العام الأميركي والإسرائيلي (ص. 80). هنا أتساءل: لماذا هذا التعويل على الساحة الأميركية دون غيرها، مع اعتراف رشيد في كتاب آخر له أن سياسات أميركا نحو بلادنا كانت تعتمد على الخداع؟ ولماذا التركيز على الساحة الأميركيّة بالرغم من عدم تحقيق أي إنجاز فلسطيني من سياسة الممالأة والمحاباة التي اتبعها ياسر عرفات معها؟ إن أكثر ما كان يمكن للشعب الفلسطيني أن يناله من أميركا هو «اتفاقية أوسلو» بمسيرتها الإجرامية. ولماذا لا نتحدّث عن الرأي العام الهندي أو الصيني أو البرازيلي مثلاً؟ إذا نحن وافقنا أن المنطلقات الأساسيّة لموقف الرأي العام الإسرائيلي والأميركي على حدّ سواء تنبع من العنصريّة ومن البغض الديني، فتكون محاولة كسب هذا الرأي العام عقيمةً حُكماً. والرأي العام الأميركي، كما يعلم رشيد، لا يؤثّر على صنع السياسة الخارجيّة، لأنه لا يكترث لها. أما محاولة كسب الرأي العام من خلال ممثّليه في الكونغرس، فهذا يحتاج إلى عمل لوبي لم تكُن الدول العربية راغبة أو قادرة على تشكيله بحكم انحياز المؤسّسة الحاكمة ضدّ العرب، وبسبب عدم تكافؤ الفرص بين العرب واليهود هنا.

أما الفصل الذي يتناول تجربة لبنان، فيلخّص بطريقة مكثّفة سنوات من الجرائم الوحشيّة الإسرائيليّة ضد لبنان والفلسطينيّين على أرضه. والكاتب كان عاش تلك المرحلة ويعرف مراجعها، التي ذكر من بينها جدال أرييل شارون مع «حزب العمل»، حول صبرا وشاتيلا، حين ذكّر عناصر الحزب بأن مجزرة تل الزعتر ارتُكبت بـ«سلاح زوّدناه نحن وقوّات ساعدنا نحن على بنائها» (ص. 86). ويؤكّد رشيد أن قيادة «منظمة التحرير» كانت متأكّدة من حتميّة حصول الاجتياح إلا أنها لم تصعّ خطة عسكريّة، ما أدّى إلى هروب قوّات الحاج إسماعيل، الذي عيّنه عرفات قائداً عاماً للقوات في الجنوب. ويشير رشيد إلى وثائق جديدة عن خطط إسرائيليّة مسبقة، من قبل شارون وآخرين، لإرسال قُتَلة من الكتائب إلى المخيّمات الفلسطينية (ص. 104). وهنا، كان يمكن لرشيد أن يستعين بالكتاب الصريح عن العلاقات الإسرائيليّة - الكتائبيّة لجورج فريحة، «مع بشير»، ومن خلاله يتحدث حول الأمر.

أما النقيصة الثانية في الكتاب، فهي تجاهل المؤلّف الكامل لتجربة «حزب الله» في مقاومة إسرائيل. هذه كانت أفعل تجربة في تاريخ الصراع وشهدت في عام 2006 أكبر عمليّة صدّ لاجتياح إسرائيلي منذ عام 1948، وبصورة تفوّقت على أداء كل الجيوش العربيّة. رشيد يحكم على فشل المقاومة العسكرية الفلسطينية، لكن ذلك غير صحيح بدليل ردع المقاومة اللبنانيّة لإسرائيل على مرّ الأعوام، فيما نسق «منظمة التحرير» من المقاومة العسكريّة هو الذي فشل. يعتبر رشيد أن الانتفاضة الفلسطينيّة الأولى في عام 1987، كانت «أول نصر تام» للفلسطينيّين. لكن ما هي معالم النصر؟ وهل كلّ ما تحقّق كان تعاطفاً مؤقّتاً من رأي عام غربي لم يستمرّ؟ صحيح أن أهواء الليبراليّين في أميركا تغيّرت نحو الفلسطينيّين، لكن ذلك كان بسبب تنامي التغطية الإعلاميّة لجرائم إسرائيل، كما أن قيادة الحزب الديموقراطي لم تعكس أبداً - ربما بسبب الصفة العمريّة - أهواء القاعدة الديموقراطيّة. وعلى العكس، أظهر أداء المقاومة الفلسطينيّة في غزة، بما لا يقبل الشكّ، أن تجربتها مُرشّحة للانتقال إلى الساحة الفلسطينيّة.

يختم رشيد كتابه بالإشارة إلى تجربته في تقديم المشورة إلى الوفد الفلسطيني المفاوض في مدريد وفي واشنطن في ما بعد. يقول رشيد - وهو على حق في ذلك - إن «الولايات المتحدة لا يمكن أن تكون أبداً وسيطاً نزيهاً بسبب الالتزامات التي ارتبطت بها»، ويضيف عن تجربته قائلاً إنه لو كان يعلم عن مدى الارتباط العضوي لأميركا بمصلحة إسرائيل وعن أن إسرائيل تسيطر على موقفها وموقف راعيتها، فإنه «على الأرجح لم يكن ليذهب إلى مدريد أو لقضاء معظم سنتين لاحقتيْن مستغرقاً في مفاوضات واشنطن» (ص 123). ويقدّم رشيد أفضل تفسير لسبب الرفض الصائب من عرفات لمقترحات «كامب ديفيد» في عهد بيل كلينتون. بالنتيجة، فإن القراء العرب، وليس الغربيّون وحدهم، سيستفيدون من هذا الكتاب.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر
@asadabukhalil

الأمن المائي العربي بين التطوّر والتغيّر المناخي

أحمد الحاج *

تبدّلت الظواهر الطبيعية وأصبحت الكرة الأرضية تتعايش مع فكرة طفرات الفصول، فتارةً تظهر السيول في باكستان وتغمر طرقات الرياض ودبي، وطوراً يضرب الجفاف أنهار القارّتين الأوروبية والأميركية، وفي كلتا الحالتين هناك خسائر اقتصادية، بيئية، بشرية واجتماعية. تقاطعت الأسباب ووصلت إلى نظرية الاحتباس الحراري الذي ينجم عن انبعاثات الكربون الذي بدوره يؤدي إلى تغييرات في التيارات الهوائية وحكماً المطرية - المائية. لتلك الأسباب أطلقت الأمم المتحدة عدة قمم مناخية، كقمة ستوكهولم ومدريد وكوبنهاغن وبازل وباريس وشرم الشيخ وغيرها، وأغدقت بالوعود والأموال لمساعدة الدول الباعثة للغازات الضارّة، على أن تنتقل تدريجياً إلى وسائل صديقة للبيئة وتحدّ من انبعاثاتها. وكعادتها، شاركت الدول العربية في تلك القمم ودفعت الرسوم المتوجّبة وتقبّلت الأرقام المفروضة عليها من انبعاثات للكربون من دون التفطّن إلى أنها ليست ضمن الدول العشر الكبرى الملوّثة.

كثرت المقالات العلمية عن أثر التغيّر المناخي، عن توقّعات لانهيار اقتصادات دول كبرى وعن تغييرات ديموغرافية مواكبة، وفي المقابل عن عودة الجنائن المعلّقة في شبه الجزيرة العربية. تاريخياً، وُثّقت أول حالة انعكاس تغيير للمناخ على الاقتصاد السياسي، في كتاب «IRAN-A Modern History»، للكاتب عباس أمانات، ففي نهاية القرن السابع عشر حين مرّ العالم بما يُسمّى «العصر الجليدي الصغير»، فقلّت الأمطار وأصبح الطقس أكثر برودة، ما أثّر على الزراعة والمراعي وجعل القبائل الفارسية في حالة من التوتر والثورة مؤدّياً إلى انهيار الدولة الصفوية.

> التغيّر المناخي مع تقلّص الموارد المائية والزيادة السكانية، يفرض وضع استراتيجيات فنية ومؤسساتية وبيئية سريعة

ولمقاربة الموضوع أكثر، ومن خلال الاعتماد على الإحصاءات الرسمية لـ«البنك الدولي» و«منظمة الأغذية والزراعة»، و«الأسكوا»، و«وكالة الصحافة الفرنسية»، و«جامعة الدول العربية» منذ عام 2009 وحتى عام 2022، وبالنظر إلى خريطة العالم، نجد أن حزاماً مضطرباً بدأ في وسط أفريقيا، ومن ثم امتدّ إلى الشرق الأوسط وصولاً إلى اليمن. هذا الحزام، وليد التلاعبات الجيوسياسية، أدّى إلى هجرة الوسط الأفريقي الزراعي نحو شمال القارة السوداء التي ما لبثت أن دخلت بلادها في ما يُسمّى بـ«الربيع العربي»، والتي تدحرجت معها الأزمات العراقية واليمنية والسورية والنزوح إلى لبنان والهجرة إلى القارة العجوز، وبالتالي أدّت إلى استنزاف للموارد الطبيعية وزيادة الطلب على الطاقة والموارد المائية في البلاد المضيفة. وممّا زاد من تضخم أزمة الطاقة والهجرة هو الحرب الروسية - الأوكرانية التي منعت تدفّق الغاز الروسي، وانخفضت معها الصادرات الزراعية الأوكرانية التي كانت تلبي الأسواق الأوروبية، ما دفع ببعض الدول العربية إلى تلبية تلك الأسواق مهما كلّف من استنزاف لمواردها المائية لقاء العملة الأجنبية الصعبة.

هنا تكمن الخطورة الاستراتيجية، فالدول العربية قاطبة تعتمد على 5% من أراضيها للزراعة، أمّا 12% فهي أراضٍ زراعية لكنها غير مستثمرة (160 مليون هكتار) وتبقى 85% من الأراضي غير صالحة نهائياً. علماً أن البلاد العربية تعاني من شحّ في توزيع المياه العالمية، إذ تستحوذ على 2% من الأمطار، وعلى 7% من المخزون العذب الجوفي، و1% فقط من المياه السطحية، مع العلم أن 60% من مياهها الجارية تنبع من خارج حدودها. ومما زاد تفاقم الأزمة شروع دول المنبع الخارجية إلى إقامة المشاريع المائية الضخمة كمشاريع «الغاب» التركية على نهرَي دجلة والفرات وسد «النهضة» في أعالي نهر النيل والسرقة الإسرائيلية لمياه حوض نهر الأردن. حتى مع الخمسة في المئة من الأراضي العربية المزروعة وحدها الأردن والإمارات والبحرين وسلطنة عمان تخطّت المعدل الوسطي لإنتاج الهكتار الواحد في الزراعات المحمية (100 طن/هكتار) والسبب يعود إلى عامل وجود التكنولوجيا الزراعية الموفّرة للمياه وتوفّر الطاقة.

إحصائياً، تبلغ نسبة سكان الأرياف في الدول العربية 43% بينما سكان المدن 57%. أمّا نسبة القوى العاملة في الزراعة فتصل إلى 23%، بينما القوى غير الزراعية 77%، ما يدل على أمر من اثنين: إمّا مجتمع غير زراعي بالرغم من سكن الأرياف أو مشكلة في تقلّص الحيازة الزراعية يضاف إليها انعدام مياه الري.

في هذا الإطار، تشكّل الزراعة المستهلك الأول للمياه، إذ تستحوذ على 85% من استخدامات المياه (ري بالجر 75%، ري بالرش 22% و3% للري بالتنقيط) بينما تبلغ 7% للصناعة و8% للاستخدامات المنزلية. جميع هذه الاستخدامات تأتي من المياه السطحية بنسبة 81%، 14% من المياه الجوفية، 1% من المياه المالحة المحلّاة، 1% من مياه الصرف الصحي المعالج و3% من مياه البزل.

بالنسبة إلى الطاقة، لا يزال العالم يعتمد بنسبة 75% على الطاقة غير المتجددة مع ارتفاع سنوي في الإنتاج يصل إلى 2,7%. وفي التفاصيل، اعتمدت على أرقام «الوكالة الدولية للطاقة المتجددة» (IRENA)، وعلى إحصائيات الأعوام نفسها (2009 - 2022) من «Oil Market Report»، و«World Energy Outlook»، و«Bilan Géostrategique Moyen Orient»)، ليتبيّن أن توزّع إنتاج واستخدامات الطاقة عالمياً تراوح ما بين 38% للطاقة الأحفورية، 24% للغاز، 16% للطاقة الكهرومائية، 10% للنووية، 5% للرياح، 2% للألواح الشمسية، 3% للفيول و2% للطاقة الحيوية. بالرغم من التقدم التكنولوجي والضوابط الناجمة عن قمم المناخ وتوجه الدول النامية نحو تخفيض انبعاثات الكربون نجد أنه خلال السنوات العشر الأخيرة تطوّر استخدام الطاقة الأحفورية 1,8%، الغاز 4,1%، طاقة الرياح 20%، ألواح الطاقة الشمسية 48%، المحطات الكهرومائية 2,6%، الطاقة الحيوية 9,2%، الطاقة الجيوحرارية 3,2% ولكنه تراجع بنسبة 4,3% للفيول و0,1% للطاقة النووية.

من الأرقام المبينة أعلاه، يمكن الاستخلاص بأن إنتاج الطاقة العالمي لا يزال يعتمد وبشكل أساسي على الطاقة غير المتجددة والمتمثّلة بالطاقة الأحفورية والغاز الملوّثيْن للجو وعلى كميات من المياه الضرورية - إن وُجدت - لتبريد المعامل النووية وتوليد الطاقة الكهرومائية. أمّا القمم المناخية فليست سوى دعاية عالمية لالتقاط الصور التذكارية وفرض سياسات وقروض وبرامج على الدول النامية، وما الدول العربية سوى مثال بالاعتماد الكلّي على الطاقة الأحفورية.

وضمن ما تقدّم من الوقائع والأرقام، لا يمكن فصل الأمن المائي العربي عن الطاقة الملبّية له لأن التجارب غير البعيدة أظهرت الفشل الذريع وأن الطاقة هي عصب الاقتصاد والإنتاج والأمن. لذا، ولأن التغيّر المناخي أصبح واقعاً ملموساً وخصوصاً مع تقلص الموارد المائية والزيادة السكانية، لا بد من وضع استراتيجيات فنية ومؤسساتية وبيئية سريعة:

- إعطاء الأولوية لتوسيع خدمات المياه للمجتمعات الريفية، وتشجيع المبادرات المحلية، عبر الآليات الاقتصادية والمالية وتصاريح وحسومات وحوافز ضريبية وإعانات موجّهة.
- تعزيز التعاون وتبادل الخبرات والمعرفة في مجال المياه وزيادة الاستثمار في العلوم والتكنولوجيا المائية الفعّالة.
- تقييم المكوّنات والموارد المائية كأصول، مع ربط قيمة نقدية لاستنفادها، وتبني حوكمة ذات سياسات مائية وأنظمة وحوافز سوقية مستقرة.
- تعزيز التعاون الإقليمي، بما في ذلك المشاريع المشتركة في مجالات المياه وإنتاج الغذاء والقيام بمشاريع إقليمية مشتركة في مجال الزراعة بشكل متكامل.
- التحول إلى الاقتصاد الأخضر، وإنشاء صندوق عربي لتمويل المشاريع المتعلقة به، من أجل تقليص الفجوة الغذائية المتزايدة.
- دمج تدابير تغيّر المناخ في السياسات والاستراتيجيات الوطنية، عبر تبنّي نهج الترابط بين المياه والغذاء والطاقة، وترجمة الإعلانات السياسية إلى برامج عمل منتجة.

بالنتيجة، ولأن المياه السطحية العربية بين مدّ وجزر سياسياً لدول المنبع ولأن الطاقة عصب الأمن المائي والغذائي، لا بد من تغيير نمط التفكير الاستراتيجي والتوجه نحو التطور التكنولوجي للطاقة والمياه لمواجهة التغيّر المناخي.

* أكاديمي ومستشار في شؤون المياه والبيئة

البلاد

من أوسلو إلى هانوي: أبطال حرب التحرير الوطنية

سيف دعنا*

«...فإذا كان يوم القيامة، فوالذي نفسي بيده، لو كان الأنبياء على طريقهم، لترجّلوا لهم، لمايرون من بهائهم»

(في فضل الشهداء، حديث شريف)

إلى البطل حسن محمد قمير في سجنه

هل يمكنكم تخيّل مقدار السعادة الهائل المتمثّل بمجرد معرفة أيّ مقاوم أنه يضحي بحياته من أجل وطنه وأهله وشعبه - تخيّل، مثلاً، أن يكون الثمن المقابل للتضحية بحياتك هو تحرير فلسطين؟ هل يمكن لأيّ إنسان حقاً أن يموت أفضل؟ هل يمكن لأي إنسان فعلاً تخيّل مقدار السعادة الهائل والقيمة العظيمة التي يشعر بها المقاومون، خصوصاً من كان يعرف منهم أنه قد يستشهد، وتحديداً من يعرف منهم أنه فعلاً على وشك الاستشهاد حين يكون المقابل كرامة شعب ومستقبل وطن ومصير أهل وحياة أحبة؟ هل يمكن لأي إنسان حقاً أن يعيش أفضل؟ فهذه ليست السعادة الحقيقية فقط، بل هي أيضاً نوع خاص جداً من السعادة لم يعرفه، ولا يعرفه، ولن يعرفه أبداً إلا المقاومون، خصوصاً من نذر نفسه وكل ما يملك كلياً للمقاومة في سبيل الوطن والأهل والناس، ولن يعرفها إلا من كان يدرك حقاً الثمن الهائل والقيمة الهائلة جداً للحياة (حياتك) حين تُضحي بها من أجل هدف عظيم جدّاً، ونبيل جدّاً، وسامٍ جدّاً كتحرير فلسطين.

وهذا النوع من السعادة بالذات لن يعرفه أبداً من باع روحه وأهله ووطنه للغريب والأجنبي والمستعرب مقابل ثمن مادي سيكون حتماً ودائماً وأبداً بخساً وتافهاً مهما بدا للأذناذل كبيراً. وأكثر، هذا النوع من السعادة لن يعرفه أيضاً حتى من لم يجرّب حياة المقاومة. فمأساة هؤلاء ليست فقط أنهم خسروا أن يجرّبوا، ولو لمرة واحدة، المعنى الحقيقي للسعادة، والمعنى الحقيقي للحياة، بل وأيضاً أنهم لم ولن يعرفوا أبداً، كذلك، المعنى الحقيقي للمعرفة حتى يدركوا فداحة خسارتهم. فإدراك ومعرفة السعادة الحقيقية، ووعي معنى الحياة الحقيقية، أو إدراك القيمة الهائلة جدّاً والمعنى الحقيقي لأن تبادل حياتك كفرد بحياة وكرامة شعبك وأهلك ووطنك، مشروطة معرفياً بالممارسة والفعل المقاوم أولاً وأخيراً، ولا يمكن أبداً تحصيلها بالقراءة أو الصفوف الجامعية وحدها.

لهذا بالضبط، المقاومون، فعلاً وفقط، هم الأكثر معرفة، وبالتالي وبالضرورة الأكثر قدرة على السعادة، أو هم الأكثر قدرة على المعرفة. ولهذا أيضاً، لا يمكن أن يكون المثقّف الحقيقي إلا مقاوماً، كما لا يمكن مطلقاً أن يكون الخائن مثقّفاً، مهما كانت قدرته على الكلام والحديث في شؤون المعرفة. فليس فقط أن هذا النوع من الثقافة هو ثقافة مزوّرة ومنحطّة، بل أيضاً، وأساساً، لأن أصل المعرفة الحقيقية العربية خصوصاً، لا يمكن حتى تخيّل مجرد الإجابة على أي من أسئلة الوجود الكبرى وأسئلة الصراعات الكبرى إلا بتوفر شروط المقاومة وظروفها - حتى لا نقول شيئاً عن إدراك المثقّف الحقيقي، ربما أكثر من غيره، فداحة الخيانة وقذارتها. لهذا، وغيره، يستنتج فقط من يعرف حقاً وفعلاً أن التضحية بكل شيء، وحتى الموت، من أجل الوطن والأهل والناس هي الشيء الصحيح الذي يتوجب فعله دائماً، وحين تقتضي الضرورة. أمّا في حالة فلسطين راهناً، فقد تكون التضحية القصوى في سبيل الوطن والناس أحياناً الشيء الوحيد الذي يمكن فعله حقاً، حتى ولو من أجل أن تبقى فكرة فلسطين حيّة.

هانوي فلسطين

... وفي الرابع والعشرين من تموز 2022، يوم استشهاد محمد العزيزي ورفيقه عبد الرحمن صبح، عمّ فلسطينٌ كلّها حزنٌ غير معتاد. بدا حينها وكأن أهل فلسطين عرفوا بالحدس، وبنتيجة الخبرة الطويلة التي راكموها على مدى أكثر من قرن من المقاومة والبطولات المدهشة وتشييع الشهداء، أنهم هذه المرة في حضرة فئة خاصة وجديدة ومختلفة من المقاومين والشهداء، وأنهم يتابعون ظاهرة مقاومة جديدة ومختلفة، وربما غير مسبوقة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية. بعدها بأربعين يوماً، في الثاني من أيلول/سبتمبر 2022، وأثناء تأبين الشهيدين العزيزي وصبح في ذكرى الأربعين، أعلنت مجموعة «عرين الأسود» عن وجودها للمرة الأولى، ناسبة تأسيسها إلى هؤلاء الشهداء، لتنضم إلى «كتيبة جنين» في التأسيس لظاهرة جديدة تبدو الآن أقرب من أي وقت مضى لفكرة هانوي العربية، التي رآها الجيل الأول من الثوار الفلسطينيين محطة مهمة على طريق التحرير.

ومع مرور الوقت، بدا يتضح تدريجياً أن «عرين الأسود» فعلاً ليست ظاهرة معزولة أو مجرد حراك مقاوم آخر رأينا مثله سابقاً، بل هي امتداد لحالة جديدة انطلقت مع شرارة نفق الحرية وتحرّر أسرى سجن جلبوع، ولاحقاً في مخيم جنين وتشكّل كتيبتها. فبعد استشهاد مؤسس الكتيبة البطل جميل العموري، ثم رفيقه عبدالله الحصري من بعده، استشهد البطل سيف أبو لبدة (طولكرم) برفقة الشهيدين صائب عباهرة وخليل طوالبة في اشتباك بطولي مع وحدة اليمام الخاصة، فبدا أن فكرة الكتيبة تتمدّد إلى ما بعد جنين ونابلس ولم تعد محصورة فيهما.

ورغم أن قوات الكيان لم تتوقّف عن استهداف «عرين الأسود» و«كتيبة جنين» خلال تلك الفترة، وبعدها، ولا عن العدوان المستمر ومحاولة القضاء على التجربة الجديدة في مهدها، كما فعلت دون توقف منذ عام 2015 مع انطلاقة انتفاضة السكاكين التي افتتحها البطل الاستثنائي الشهيد مهند الحلبي في الثالث من تشرين الأول/أكتوبر، وشكّلت مرحلة تأسيسية ضرورية لما يجري الآن. ورغم أن المواجهات شبه اليومية بعدها أدّت إلى استشهاد ثلة من الأبطال المؤسسين والأساسيين (وديع الحوح، إبراهيم النابلسي، إسلام صبوح، سائد الكوني، تامر الكيلاني والعشرات من المقاومين الآخرين). وبرغم أن السلطة وأجهزتها الأمنية فعلت كل ما تستطيع لاستكمال مشروع العدو بالقضاء على التجربة عبر الاعتقالات، تارة، وعبر العروض والإغراءات لدفع المقاومين للتخلي عن الكتيبة والعرين تارة أخرى (وأخيراً إزالة الحواجز التي وضعها المقاومون في طولكرم، تسهيلاً كما يبدو لاقتحامات الجيش الصهيوني المتوقّعة)، برغم كل ذلك، وغيره الكثير، إلا أن عود المقاومة كان يشتدّ يوماً بعد آخر، بل وكانت تتمدّد المقاومة في نابلس وجنين، ومن نابلس ومن جنين، لتنتشر لاحقاً إلى أريحا (عقبة جبر) وطولكرم (نور شمس) والجبع وطوباس والخليل من ضمن أماكن عديدة. هكذا، تأكّد للمتابعين، الصديق المحب والعدو الحاقد أيضاً، أن ما يحصل هو فعلاً كان من مجرد ظاهرة مقاومة جديدة، وبالتأكيد أكثر من مجرد موجة مقاومة أخرى كالموجات التي سبقت، ومهّدت لما يجري الآن، أو حتى انتفاضة كبرى - كما كتبت سابقاً هنا في «الأخبار». ما يجري يمكن أن يشكّل مقدّمات حرب التحرير الوطنية الحقيقية، وهؤلاء الأبطال هم فعلاً طلائع جيل وجيش التحرير (انظر مقالة «ما حركة التحرّر [1]»).

ما كان يتطوّر أمام أعيننا منذ لحظة نفق الحرية تحديداً، ولاحقاً تشكيل «كتيبة جنين» ثم «عرين الأسود» وما بعدهما، واحتاج الوقت ليتكشّف بوضوح، وظهر جلياً في معركة «بأس جنين»، هو مفهوم جديد كلياً في المقاومة لم يعتد عليه لا أهل فلسطين (رغم أن مقاومتهم المدهشة لم تتوقف خلال أكثر من قرن)، ولا العدو الصهيوني من قبل. جيل جديد من المقاومين، منهجية كفاحية جديدة، طريقة عمل جديدة، عقيدة كفاحية جديدة، وحاضنة شعبية صلبة، من ضمن أشياء كثيرة أسّست لحالة كفاحية جديدة سنحتاج إلى المزيد من الوقت لإدراكها وإيفائها حقّها. لكن الأكيد، والأهم، أن الشروط التاريخية قد نضجت إلى الحد الذي يمكن أن تكون معه هذه الحالة المقاومة قابلة حقيقة جديدة ومختلفة نوعياً في الصراع العربي - الصهيوني.

ما بعد اللحظة الحرجة

ما كان يتجلّى أمام أعيننا هو لحظة تأسيسية، أو نواة، لنموذج هانوي عربية، حلم بها الجيل الأول من الثوار الفلسطينيين، رغم أنهم تخيّلوها سابقاً عبر الحدود لا داخلها كما يحصل الآن. ما يمكن توصيفه فعلاً بنواة هانوي الفلسطينية بدا واضحاً في معركة «بأس جنين» تحديداً حين تكشّفت المواجهة عن لحظة وحالة كفاحية وسياسية وشعبية مميزة ومتمايزة عما سبق، وكان (وسيكون) لها بالتأكيد صدى أوسع وأعمق مما يمكن أن نكون قادرين على فهمه في اللحظة الراهنة، فجميع النماذج السابقة، والهياكل القائمة وطريقة عملها، وحتى البقين السابق، يبدو أنها تتفكك، أو أنها قاصرة بالحد الأدنى لفهم الجديد بشمولية. والمنوحي الجديد يجب أن يدفع ويحضّ المؤيدين تحديداً على الاستماع والاستجابة بطرق جديدة، أو بالحد الأدنى البدء بالتفكير بطرق مختلفة. فكل الأدوات والخبرات والمعارف والعبر التي راكمها العدو في الصراع مع المقاومة لعقود تقادمت الآن، وأصبحت بالحد الأدنى أقل فعالية، إن كانت صالحة أصلاً. صحيح أن العدو قد يتمكّن في بعض الحالات من تحقيق بعض الإنجازات التكتيكية عبر الهجمات والاقتحامات المستمرة (كالقتل والتخريب والتدمير)، ولكنه لن يستطيع القضاء على المسار الإستراتيجي الذي بدأت ترسمه الأحداث بتأسيسها نواة هانوي فلسطينية، في الأرض المحتلة هذه المرة وليس عبر الحدود. وهذا يعني ببساطة، أيضاً، أن المقاومين بتجربتهم الجديدة يختبرون، وللمرة الأولى، ما لم تختبره الأجيال التي سبقتهم من المقاومين - لا أدعو طبعاً الأجيال السابقة من المقاومين إلى السكوت والتوقف عن توجيه النصائح إلى الجيل الجديد، ولكن أدعوهم الى احترام تجربة وخبرة من في الميدان والثقة بهم وبحكمتهم وبقدرتهم على القرار، وأيضاً الإقرار أن النموذج القائم الآن مختلف عن ما سبق، وإن ما كان يصلح في زمنهم قد لا يصلح الآن.

واستكمال تأسيس نواة نموذج هانوي فلسطينية (ويبدو أنه استُكمل فعلاً) ليس مجرد نقلة في آلية عمل المقاومة فقط، بل مسار نوعي لم نختبره من قبل، ومؤشر إلى نضوج الشروط التاريخية الضرورية لتشكّل ونجاح التجربة. فهذا الجيل (بالمعنى النوعي وليس العمر) من المقاومين الذي لم يكل من محاولة تأسيس نواة مقاومة صلبة منذ عدة سنوات، رغم التضحيات الهائلة والمرهقة، كسب المعركة أخيراً، ونجح في تخطي اللحظة الحرجة، أو حد العتبة، التي لا يمكن للعدو بعدها القضاء على التجربة ولن تنفعه فاشية «جزّ العشب» (هل تذكرون البطل مهند الحلبي، عدي وغسان أبو جمل، معتز حجازي، عمر أبو ليلى، قطناني، بهاء عليان، عبد الحميد أبو سرور، وأكثر من 270 شهيداً وشهيدة آخرين من أبطال انتفاضة السكاكين والسيارات؟).

فاللحظة الحرجة التي لا يمكن بعدها القضاء على النموذج هي أساساً نتاج للتاريخ وحركة التاريخ وتحدّدها ظروف الصراع، ولا تعتمد فقط على التطور التقني أو التنظيمي الذي قد يكون ظاهراً للعيان أكثر من غيره. فليست المسألة مجرد مخطط كفاحي يمكن صياغته على الورق من قبل قائد أو مجموعة من القادة، إلا بمدى ما كانت مواصفات هؤلاء القادة الشخصية والنفسية والاجتماعية والعقائدية والكفاحية متوافقة مع اللحظة التاريخية. فالتحولات المرتبطة والمؤثرة بالصراع وظروفه محلياً وإقليمياً ودولياً حاسمة جداً في تخطي اللحظة الحرجة. لهذا فاهم ما في تجربة نواة هانوي في الأرض المحتلة أنها تؤشر إلى بداية حقبة جديدة في الصراع، وعليك فقط أن تنظر إلى حال العالم والإقليم وحال المشروع الصهيوني، وأيضاً حال مشروع المقاومة الحاضن الإقليمي للتجربة هذه الأيام مقارنة بالظروف التي قادت إلى أوسلو لتدرك الفرق وعمق التحولات التي شهدها العالم والمنطقة وفلسطين.

خاتمة: تفاوت العقل والإرادة

ولأن أوسلو لم تكن مجرد اتفاقية، بل منظومة متكاملة (اقتصاد، سياسة، ثقافة، عقيدة، عقلانية سياسية، مجرد تفاهم أو نتاج لمفاوضات، منظومة مفاهيمية...)، فإنها لم تكن بقدر ما كانت نتاج ظروف تاريخية وتعبيراً عن موازين قوى. أوسلو كانت، إذاً، ممكنة بسبب توفر الشروط التاريخية التي أسّست لحقبة كاملة يبدو أننا على أعتاب خواتيمها بالمعنى والزمن التاريخي. فأوسلو كانت نتاج للحظة تاريخية عالمياً، إقليمياً، عربياً، وفلسطينياً شكّلت، بترابطها، المسار الاستراتيجي لتأسيس البنية التحتية لشرق أوسط نيوليبرالي وما استتبعه ذلك من استيلاد عقلانية سياسية مضادة ومجال جديد ومضاد في المعرفة السياسية التي ميّزت المرحلة الجديدة. وهكذا تم الانقلاب على كل البنى الثورية السابقة، وتم استدخال الهزيمة وتسويق شروطها وتعميم مفرداتها وتطبيع ثقافتها.

رغم أنه كان بالإمكان نظرياً، واعتماداً على القليل من الحس التاريخي والسوسيولوجي، إدراك أن التاريخ لن يقف عند أوسلو، إلا أن هناك دائماً ميلاً، خصوصاً في أوج الأزمات، للاعتقاد بأن ما نراه ونختبره ونعيشه في لحظة تاريخية ما سوف يستمر إلى الأبد

ورغم أنه كان بالإمكان نظرياً، واعتماداً على القليل من الحس التاريخي والسوسيولوجي، إدراك أن التاريخ لن يقف عند أوسلو، إلا أن هناك دائماً ميلاً، خصوصاً في أوج الأزمات، للاعتقاد بأن ما نراه ونختبره ونعيشه في لحظة تاريخية ما سوف يستمر إلى الأبد. لهذا كانت أوسلو تبدو لدى البعض وكأنها نهاية التاريخ. ينسى الكثيرون عدد المرات التي أذهلنا فيها التاريخ بالانهيارات (المفاجئة أحياناً) للإمبراطوريات والأنظمة والأفكار التي كانت تبدو قبلها بزمن قليل وكأنها لا تُقهر. كانت تبدو فعلاً وكأنها نهاية التاريخ. لهذا بالضبط، يقول المؤرّخ الأميركي هوارد زين إن التفاؤل «في الأوقات العصيبة ليس مجرد رومانسية حمقاء، بل إنه يقوم على حقيقة أن التاريخ البشري ليس تاريخاً للقسوة فحسب، بل أيضاً للتضحية والشجاعة والبطولة. وما نختار التأكيد عليه في هذا التاريخ المعقّد سيحدد مسارات حياتنا المستقبلية. فإذا رأينا الأسوأ فقط، فهذا سيدمر قدرتنا على فعل شيء ما».

وليس المقصود هنا، طبعاً، التفاؤل بالمعنى الساذج للكلمة، بل التفاؤل النوري المؤسّس على فهم ووعي وإدراك الصراعات في سياق الزمن التاريخي والاجتماعي. أمّا الاستدلال المؤسّس على التجربة الذاتية القصيرة المدى، أو الزمن الفردي، خصوصاً في أوج حالات الضعف والهزائم والانكسارات فلن ينتج إلا السذاجة أو التشاؤم واستدخال الهزيمة عند الكثيرين.

لهذا، وغيره، فإنّ المتفائلين، وفي حالتنا تحديداً من حمل ولا يزال يحمل الإيمان المطلق والقناعة المطلقة بحتمية الانتصار وزوال الكيان وتحرير كل فلسطين، خصوصاً في الأوقات العصيبة، هم الذين سينصفهم التاريخ. فالتاريخ ليس فقط لم ولن يقف وينتهي عند أوسلو، وهو لم يقف عند أوسلو كما نرى بأمّ أعيننا، بل ولن يقف ولن ينتهي عند الكيان الصهيوني أيضاً. هذا الكيان سنرى نهايته أيضاً حتماً بأمّ أعيننا في المستقبل. ولكن، لأن المقاوم بالذات يعرف أكثر، هناك من يراه الآن فعلاً وحقاً من منظار بندقية.

* كاتب عربي

(أ ف ب)

«ديستونيا» أوسلو

زاهر أبو حمدة

عام 1908، سجّل الاكتشاف الطبي مرضاً سُمّي «ديستونيا» (Dystonia)، يمكن ترجمة اسمه إلى العربية على أنه «خلل التوتر». هو متلازمة تُعرّض المصاب بها لانقباضات حركية تُنتج تشوّهات متكرّرة وشللاً في الأطراف أو العنق أو كامل الجسم. وبالتالي، يعاني المريض من صعوبة في الوقوف والمشي. ولأن المرض متفاوت من مصاب إلى آخر، ويبدأ من ضمور في عضو واحد وقد يصل إلى شلل نصفي أو كُلّي، أطلق العلماء تصنيفات خاصة لكلّ حالة. ولكن صعوبة هذا المرض أنه ينتقل من عضو إلى آخر؛ إذ يمكن أن يولد الطفل ولديه المتلازمة بسبب خلل وراثي في جزء من بدنه، قبل أن تسيطر عليه لاحقاً. وتفيد «المكتبة الطبية» بأن «الديستونيا» قد يحدث نتيجة صدمة في الدماغ أو ضربة قوية أو ورم في منطقة ما في الجسد، ولا سيما منطقة الرقبة. أمّا السبب الشائع له، فهو الحرمان من الأوكسجين، وهذا ما يحصل مع الأطفال حديثي الولادة. وللأسف، لم يكتشف العلماء علاجاً تاماً لهذا المرض، لكن ثمّة أدوية يمكنها تخفيف عوارضه أو منع انتشاره في الجسم. واحياناً، يلجأ الأطباء إلى الجراحة لتعطيل أو تنظيم عمل الأعصاب أو مناطق معيّنة في المخّ لدى الأشخاص المصابين بخلل التوتر الحادّ.

في حالتنا نحن، يعاني الجسم الفلسطيني «ديستونيا» شديدة منذ توقيع «اتفاق أوسلو». ثلاثون عاماً، ولم يستطع الفلسطينيون تقييم التجربة واجتراح الحلول أو وضع استراتيجية لما بعد الاتفاقية وفشل مسار المفاوضات. معروف أن الأمور تؤخذ بنتائجها، فيما يغضّ الجميع النظر عن سياقها أو أسبابها. هكذا، ومن دون مقدّمات، يصبح «اتفاق أوسلو» خيانة بنظر البعض، والفرصة غير الضائعة في نظر المدافعين عنه. لكن الحقيقة ليست كذلك. الحقيقة تكمن في أن أيّ خطوة سلبية أو إيجابية ستجد من ينظّر ويصفّق لها أو ينتقدها. هنا، يمكن افتتاح «بازار» للتسويق للفكرة عبر استحضار التاريخ والدين والكثير من الشعارات والوعود. مثلاً، لا بأس من ذكر قاعدة «خذ وفاوض»، أو التذكير الدائم بـ«صلح الحديبية» بين المسلمين والمشركين. وكذلك، يمكن إسقاط تجارب الأمم في التحرّر، واقتباس ما تراه مناسباً من طروحات فرانز فانون، أو خطابات جمال عبد الناصر ولا سيما: «ما بُني بالقوة لا يُسترَدّ إلّا بالقوة». هي عجينة يمكن تطويعها لتكون خبزاً عربياً أو إفرنجياً أو طابوناً وربّما «بيتزا».

وبعيداً عن التسويق لـ«اتفاق أوسلو» تأييداً أو رفضاً، لا يمكن إغفال السياق الفلسطيني والإقليمي والدولي لبدء «مؤتمر مدريد» وما لحق به من تداعيات. في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، انتهت حقبة كبرى وبدأت أخرى بسقوط الاتحاد السوفياتي وانهيار جدار برلين، ولاحقاً الحرب العراقية - الإيرانية وحرب الخليج الأولى. أمّا الأهمّ، فكان انتفاضة الحجارة واغتيال أبرز القادة الفلسطينيين، وفي مقدّمتهم خليل الوزير وصلاح خلف. كان الأخطر، حصار «منظمة التحرير الفلسطينية» سياسياً ومالياً، فاختار ياسر عرفات الحفاظ على الجسم السياسي، أي المنظمة، ولو تنازل ظرفياً عن جزء كبير من الجغرافيا. ولذلك، استأنف العمل العسكري في هَبّة النفق عام 1996، وفي انتفاضة الأقصى عام 2000. هو عرف أن المفاوضات تحتاج إلى قوة لفرضها، أو كما قال في أحد خطاباته بعد عودته إلى غزّة، أن «اتفاق أوسلو» مرحلة ليعود ويقاوم من أرض الوطن، مع عدم تسليم قراره السياسي لأيّ جهة عربية أو إقليمية.

ويبدو محمود عباس أكثر وضوحاً في الحيرة، في كتابه «طريق أوسلو» (دار الشروق، عمّان، الطبعة الثالثة، 2020)، حيث يذكر أنه أثناء رحلته في الطائرة إلى واشنطن يوم الأحد 1993/9/12 لتوقيع اتفاق «إعلان المبادئ» بين «منظمة التحرير الفلسطينية» وحكومة إسرائيل، والتي استغرقت 10 ساعات ونصف ساعة خلا في معظمها إلى نفسه، راجع ما قدّمه خلال مسيرته الطويلة، وتساءل: «هل هي رحلة العودة إلى الوطن، أم هي رحلة التوقيع على التنازل عن جزء كبير من الوطن؟»، و«هل ما سنقوم به سيفتح الباب أمام المستقبل، أم يقفل الطريق إليه؟ وهل فرّطنا بحقوق الشعب أم حافظنا على هذه الحقوق؟»، مضيفاً أن المخاطر «قد تكون أكثر من المكاسب؟»، ومستطرداً: «ماذا سيكتب عنّا التاريخ؟». هكذا، لم يكن حاسماً في ما إذا كان قراره صائباً أم خاطئاً، لكن التجربة أثبتت أن المراهنة على ما يسمّى «المجتمع الدولي» خاسرة. عند توقيع «اتفاق أوسلو»، حدث الخلل الكبير. أصابتنا متلازمة خلل التوتر. ومذاك، يتمدّد المرض وينتقل وراثياً من جيل إلى آخر في خلال ثلاثة عقود. فالجميع يشتمون «إنتاج أوسلو»، أي السلطة، ومع ذلك، يريدون غنائمها، إلّا قلّة. ومن المضحك أن أحدهم وصل إلى منصب رئيس وزراء ففرح كثيراً بلقب «دولة الرئيس»، وأصدر قراراً بأن تضاف الصفة المذكورة إلى الاسم في وسائل الإعلام الرسمية؛ فأي دولة بالله عليك؟ وآخر ارتمى على ظهره ضاحكاً حين استلم جواز السفر الدبلوماسي باعتباره وزيراً للخارجية، ليخرج في أوّل تصريح له يلعن «اتفاق أوسلو». المضحك أكثر أن القادة الفلسطينيين يقولون إن الاتفاق مات؛ فادفنوه إذاً، أكرمكم الله!

إن علاج «ديستونيا أوسلو» يبدأ بالاعتراف بالمرض وتشخيصه، بدل التكاذب الإعلامي والصراع على الحصص

إن علاج «ديستونيا أوسلو» يبدأ بالاعتراف بالمرض وتشخيصه، بدل التكاذب الإعلامي والصراع على الحصص، ومن ثمّ الانتقال من الأدوية المهدّئة والمسكّنات، إلى العملية الجراحية. وربّما عمليات الشباب الثائر حالياً تكون المنطلق لذلك. فما حصل من شلل كبير للقضية، يمكن لمفاجأة فلسطينية أن تنهيه، وخصوصاً أن المحيط الإقليمي والدولي يتغيّر، ومن الممكن تحويله لصالح الحقوق الفلسطينية، لكن المسألة تحتاج قراراً فلسطينياً جامعاً: لنقلب الطاولة ونعلن نهاية «مرحلة أوسلو»، وليكن ما سيكون!

البلاد

عندما وقف عرفات على جبل «أوسلو» ليضحّي بفلسطين

مصعب بشير

في 13 أيلول 1993، وفي حضرة رئيس الولايات المتحدة، بيل كلينتون، وفي منظر يشمئزّ منه السمع والبصر والفؤاد، خطا ياسر عرفات وعلى وجهه ابتسامةٌ عريضةٌ، ويده ممدودةٌ نحو إسحق رابين الذي ظلّ ثابتاً قبل أن يمدّ أطراف أصابعه، فيما لم يفتر ثغره إلّا عمّا يشبه الابتسامة البَرِمة. كان «القائد التاريخي» لقوات الثورة الفلسطينية العام لمصلحة الثورة الفلسطينية سعيداً بخلاصه وخلاص الثلّة التي تحيط به، بينما المقاتل «الأشكنازي» السابق في صفوف «البالماخ»، وصاحب أوامر تكسير عظام المتظاهرين الفلسطينيين، ورئيس حكومة النظام الصهيوني الذي وصل إلى رئاسة الحكومة عبر صناديق الاقتراع - خلافاً لعرفات ومن حوله -، كان «يُسقِطُ واجباً»، أو ربّما كان يفكر في ما سيتعيّن عليه فعله لإقناع «الكنيست» والجمهور الصهيوني بخطواته، كي يمضي مشروع اليسار الصهيوني في تصفية القضية الفلسطينية قدُماً. كان ذلك حفلَ التوقيع على «إعلان المبادئ بشأن ترتيبات الحكم الذاتي المؤقت» - الذي وضع كلّ من محمود عباس (أبو مازن) وشمعون بيرس إمضاءه عليه -، أو المشهد العلني الأوّل في ملهاة اليسار الصهيوني واليمين الفلسطيني.

«امضِ يا ابن الكلبا»

بعد ثمانية أشهر من ذلك، أقيم في القاهرة حفل باذخ للتوقيع على ما تفاوضت عليه ثلّة عرفات مع ممثلي النظام الصهيوني، وهو التدابير الأمنية على المعابر، وحركة التنقل بين غزة وأريحا، وخرائط لمساحة الأرض التي ستكون فيها لعرفات شرطة وسلطة، تفاجأ عرفات بأن رابين لم يفِ بوعده بإرفاق رسالة مفادها أن الخرائط ليست نهائية، وأنها موضوع مفاوضات، وعندما حاول استخدام حيله المعروفة، نهره حسني مبارك، ديكتاتور مصر العسكري الصارم، أمام رابين والحضور على الهواء مباشرةً قائلاً: «امضِ يا ابن الكلب»، فمضى «القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية»، قبل أن يتوجّه إلى قطاع غزة ليقابل جماهير شعبه المضلَّلة المخدوعة، والتي كانت «تحسب أن تحت القبّة شيخاً» - كما يقول المثل الفلسطيني تعبيراً عن الظنّ قبيل خيبته -. ولم تكن تعلم أن قدوم أبي عمار كان لأنه قدّم اعترافاً تامّاً بإسرائيل، و«حق إسرائيل في الوجود والأمن والسلام»، وأنه قرّط بحق العودة.

اليسار الفلسطيني: آخر أيام الفلفل المخروط

لم يتوقّف اليسار الفلسطيني، بشقّيه الانتهازي - ممثّلاً في «الجبهة الديموقراطية» صاحبة برنامج النقاط العشر، وأحزاب المنظمات غير الحكومية - وغير الانتهازي، عن التنديد بـ«اتفاق أوسلو» ومخاطره التي تضع حق العودة في مهبّ الريح، والتي تختصر فلسطين في ما هو أقلّ من كامل الضفة وغزة... إلخ. الفصل الوحيد الذي قام بمبادرة ملموسة حينها للاحتجاج على الاتفاق، كان «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، التي نظّمت مسيرة محمولة على السيارات والحافلات وكلّ أنواع المركبات طولها 47 كيلومتراً، من بيت حانون شمال قطاع غزة وصولاً إلى رفح في جنوبه؛ زمرٌ وأبواقٌ وجلبةٌ وضوضاءُ وزِحامٌ فحسب، هي ربما الحرارة «الغَزّاوية» التي تعزّوها الأساطير الشعبوية إلى الأكثار من أكل الفلفل المخروط، أي الفلفل الأحمر المهروس مع زيت الزيتون. لم تتفتّق القريحة النضالية لمن تبقّى من كوادر الجبهة خارج السجون عمّا هو أكثر من ذلك، على برنامج مثمر مثلاً يضع الأمور في نصابها. على كلّ حال، لم يكن ذلك ممكناً، إذ أصبح أكثر أفراد الصفوف الأولى من الجبهة موظفين في «السلطة الوطنية الفلسطينية»، فساد الإحباط صفوف الأعضاء الذين راحوا يهجرون «الجبهة» أفواجاً، قبل أن تتحوّل «الشعبية» إلى يسار مؤسسات غير حكومية.

أياكم والمزاجية عندما يكون الابتذال ممكناً

أمام الآف الفلسطينيين الذين غصّت بهم ساحة الجندي المجهول في مدينة غزة، أحيا عرفات مهرجاناً يكثر من الشعارات الشعبوية، بعدما أمعن حراسه في العربدة وهم يبعدون الناس عن سيارته «المرسيدس» الفارهة، مهدّدين إياهم بالسلاح. قال عرفات حرفياً ما يلي: «الاتفاق اللي عملناه مش على مزاج البعض فيكم! ومش على مزاجي كمان! ولكن، ولكن، هو احسن ما يمكن في ظل أسوء الظروف العربية والدولية». منذ الـ1970، وعرفات يحاول الاتصال بالصهاينة، عبر ذراعه الأيمن محمود عباس وغيره. كانت الظروف الدولية أفضل، لكن الإدارة الأميركية والمنظومة الصهيونية لم تكونا راغبتَين، لإدراكهما أن الفلسطينيين في حركة قتالية. ومنعاً لجعل فلسطين بؤرة استقطاب مستمرة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، فرضت إدارة جورج بوش الأب على حكومة اليمين الصهيوني برئاسة إسحق شامير الذهاب إلى مؤتمر مدريد في عام 1991 رغم أنفها، والقت بثقلها لدعم مشروع اليسار الصهيوني بقيادة رابين الذي وصل إلى الحكم عام 1993.

تحدّث عرفات عن المزاج، ولا ندري على مزاج من مُنع إجراء انتخابات لـ«المجلس الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية» منذ تأسيسها عام 1964. نعلم أن مزاج جمال عبد الناصر كان حاسماً في إعطاء حركة «فتح» نصيب الأسد في المنظمة، لكننا لا ندري على مزاج من لم تُطرح بنود «اتفاق إعلان المبادئ» - التي صيغت بشكل لئيم التفّ حول تطبيق حق العودة وتنازل عن الأرض الفلسطينية المحتلة عام 1948 - على الاستفتاء الشعبي ليقول الشعب كلمته، مثلما قال الصهاينة ذلك بمباركة «الكنيست». ولا ندري على مزاج مَن تمّ تجاهل آراء الأطقم الفنية الفلسطينية المكونة من مختصّين في كلّ المواضيع ذات الصلة، وخاصةً أن تلك الأطقم قاطبةً حذرت من ذلك النص، وأوصت بعدم قبوله، وأكدت أن الصياغة التي تقول بتسوية «على أساس» القرارات الدولية لا تعني تطبيقها بالكامل بل تطبيق ما تريده إسرائيل منها، وأن القول بترك قضية اللاجئين للحل النهائي يعني تنصلاً إسرائيلياً من الأمر كله. في الواقع، لو قرأ أيّ مبرّر لما فعله عرفات وزمرتهُ نصوص الاتفاقات وملاحقها، لأدرك أي نكبةٍ ارتُكبت مع سبق الإصرار والترصد. كما لا ندري بأيّ مزاج كان أبو عمار عندما قال لطاقم شؤون المرأة: «أذهبُ إلى المطبخ»، وطردهن من الوفد المفاوض. ولسنا ندري بأيّ مزاج سيُقر عرفات سلطته التي كانت مَضرب المثل في الفساد والترهّل وأخذ الإتاوات من الناس.

الثورة بين النصر... وآخر الشهر

لم يضع عرفات أموال «منظمة التحرير» في جيبه قطّ، وتلك حقيقةٌ لا ينكرها إلّا مفترٍ. لكن المال كان في يده وحده؛ يشتري به ذمّة هذا وموقف ذاك، يستخدم به هذا الشخص ويستعمل ذلك الحزب أو الفصيل. بهذه العقلية التي امتزجت في شخصه خفيف الظلّ والجذاب، بنى عرفات حوله عصابةً من الطفيليين الذين تحولوا إلى برجوازيةٍ من مُحدثي النعمة. احتلّت تلك البرجوازيةُ، التي اغتنت من مال الشعب الفلسطيني ودم شهدائه، مكاتب «مرتف» ودوائر صنع القرار فيها، ورفعت شعار «ثورة حتى آخر الشهر»، أي إنها تعمل من أجل الراتب وما معه من مصاريف ونثريات وعلاوات وبدلات، لا من أجل الشعب والعودة والحرية.

ليست المشكلة في شخص عرفات، ولو أن منصبه وما فعله يُحظلانه مسؤوليةً متناسبة، بل في الطبقة التي يمثّلها

لقد اختار عرفات بنفسه بطانة السوء تلك، فهي ما تَلزمه لتنفيذ ما يريد من دون رقيب أو حسيب. وكثرٌ هم من رووا في غزة كيف كان عرفات يرمي حذاءه في وجه كثير من القيادات المركزية في حركة «فتح» وفي اللجنة التنفيذية لـ«منظمة التحرير»، مرفقاً إياه بأقذع السباب. لا يحتاج عرفات إلى ثوريين أنقياء ولا إلى وطنيين أوفياء ولا إلى مهنيين شرفاء، لن يحتملوا هذه المعاملة، ولن يسمحوا بالمقامرة بقضية شعبهم. وفي هذا السياق، ثمة علامات استفهام خطيرة حول تصفية كوادر «فتحاوية» كانت رافضةً لمسار التسوية و«اتفاق أوسلو»، أبرزها أسعد الصفطاوي الذي اغتيل في سيارته في منطقة شمال مدينة غزة، أصبحت تُعرف منذ قيام السلطة الفلسطينية باسم: «الصفطاوي».

تقول المعزوفة «الفتحاوية» العرفاتية إنه لم يكن بالإمكان أفضل ممّا كان، وهذا منطقي إذا ما عرفنا أن موارد «مرتف» المالية قد شحّت، وأن الثورة لم تعد ممكنةً حتى آخر الشهر، وإذا ما عرفنا أن «اتفاق أوسلو» كان رشوةً بالمليارات للبرجوازية الطفيلية الفلسطينية التي ارتفع منسوب رفاهيتها عندما توجهت إلى غزة حيث رفعت شعار «كلنا محمود عباس»، الذي بنى من العدم - في تحدٍ مدهش لقوانين الفيزياء وربما الاقتصاد - «فيلّا» فارهة في حي الرمال الجنوبي في منطقة كانت فارغة، وربطها بشارع إسفلتي يصل حتى مجمع «أنصار» الذي كان سجناً إسرائيلياً - قبل أن يتحوّل إلى مراكز تدريب لقوات أمن السلطة - يتاخم مقرّ إقامة عرفات.

تُكرّر المعزوفة أن الظروف كانت مجافية، ولكن متى كانت الظروف مواتية؟ أخلال النكبة؟ أم قبلها؟ أم ربما بعدها؟ مَن المتحذلق الذي يحسب أن تحرير البلاد نزهة قصيرة الأمد؟ أولسنا نقارع المشروع الاستعماري الإحلالي الصهيوني لفكر وراي سديد بأن يؤخذ به؟ أوَسمحت للكادحين الذين شكلوا ويشكلون وسيشكلون وقود الثورة وسراج النصر بأن يمسكوا بزمام المسؤولية؟ أوليس ذلك القول الفاسد اعترافاً ضمنياً بعقم تفكير الطغمة وعجزها عن اجتراح المأثر؟ أوليست الديموقراطية حبل نجاتنا؟ إن انتظار شيء من الطغمة، كتحقيق «الوحدة الوطنية» أو «إنهاء الانقسام» مضيعةٌ للوقت. وإن استمرار البرجوازية في تحويل حركة التحرر الفلسطينية إلى كيان وظيفي لدى الاستعمار الصهيوني، ثمّ انقسامها واستمرار شقّيها في أداء الدور نفسه بصورتين مختلفتين لقاء سلطتين طفيليتين، دليلُ مرضٍ داخلي علاجهُ حزبٌ ثوريٌ يمثل الشعب الكادح الملحون المعنيّ بالتحرير، ويكنس السلطتين ويناضل بأدواتٍ جديدةٍ واستراتيجيةٍ مسؤولة. وذلك حديثٌ آخر.

«تيتي تيتي رحتي زي ما جيتي»

هو مثلٌ شعبيٌ معروفٌ في بعض البلاد العربية، ومعناه يعادل العودة بخُفَّي حنين رغم الطبل والزمر. كان ياسر عرفات يتنقّل بلا كلل أو ملل بين عواصم المنطقة والعالم. وبين عامي 1995 و1999، أُجريت جولات أو «أوسلو 2»، وشهدت القاعة الكبرى في «مركز رشاد الشوا للمؤتمرات» في مدينة غزة اجتماعاً لـ«المجلس الوطني» غير المنتخب للتصديق على ما التزم به عرفات من حذف كلّ المواد المتعلّقة بالتعبئة الوطنية والقومية ومناهضة الصهيونية والتعريف بها وبالدعوة إلى الكفاح المسلح، وذلك بحضور رئيس الولايات المتحدة، بيل كلينتون، الذي جاء ليتأكد بنفسه من تلك السابقة، إذ لم يشهد التاريخ قيام حركة تحرر بتصفية نفسها قبل أن تحقق أيّ هدف من أهداف مشروعها الوطني، وقبل أن تحصل على أيّ مكسب، وقبل أن تُطلق رصاصة واحدة على العدو.

يوم أسّس «نفق الحرية» للحظة الاشتباك

موسى جرادات

في السادس من أيلول قبل عامين، ومع ساعات الفجر الأولى، كانت فلسطين على موعد مع الحرية. ستة شبان انتزعوا حريّتهم من السجن الحصين، الذي غادروه هذه المرة بملء إرادتهم، بعد تسعة أشهر تناوبوا في خلالها على حفر النفق بأدوات بدائية خبّأوها عن أعين السجان. عامان مضيا على ذكرى «نفق الحرية»، وما زالت أصداء الحدث تفعل فعلها في طول البلاد وعرضها، وتبثّ في ثناياها معاني التضحية والفداء؛ فما بعد الحدث «المُعجِزة» ليس كما قبله. لم تعُد البلاد «وديعة» كما أراد لها المحتل، ولم يعُد الاحتلال بلا أثمان، فيما العمليات الفدائية تطارده في كل مدينة وحارة وزقاق.

بذلك، عادت فلسطين تشبه نفسها كما كانت؛ عصيّةً على الموت والانكسار. بدءاً من يوم النفق وحتى الآن، تتمدّد كتائب المقاومة طولاً وعرضاً في كل البلاد، فيما الاحتلال يبني الجدُر في كل مكان؛ يخاف غزة فيبني جداراً حولها، ويستمر في بناء الجدار حول الضفة، وينهي الجدار على الحدود مع مصر، ويخاف الجنوب اللبناني فيزيد من التحصينات بمحاذاته، ليعلنَ قبل أيام عن نيّته بناء جدار على حدود الأردن. وحول السجون أيضاً، يبني ويبني. هو احتلال يخاف أهل البلاد، ولا يريد رؤيتهم، فيبني الجدُر ظناً منه أنها تأتي بالحل، فيما يحفر الأسرى الأرض ليخرجوا من تحتها.

مقاومة النفق مستمرة

قد يظنّ البعض أن حادثة النفق انتهت باعتقال الشبان الستة، لكن مفاعيل هذا الحادث لا تزال ماثلة للعيان. الاحتلال يصعّد ضدّ الأسرى، يهاجم السجون والأقسام وينقلهم من سجن إلى آخر، ويبني العوازل بين أقسام السجون، ويريد أن يحرم الأسرى زيارة الأهل. كلّها إجراءات يحاول من خلالها «خنق» الأسرى، وإضعاف قدرتهم على المقاومة، قبل أن تنقلب تحضيرات لمعركة هؤلاء، وفلسطين كلّها من خلفهم، ضدّ السجّان. لقد شكّل «نفق الحرية» «تسونامي زلزل قلب الكيان الصهيوني وأصابه في مقتل»، كما يصفه الشيخ خالد جرادات، أحد أبرز مؤسسي حركة «الجهاد الإسلامي» في الضفة، لافتاً إلى أن مفاعيله «ما زالت تعصف وتصفع وجه العدو، كاشفةً ضعفه أمام إرادة شعبنا». ويقول جرادات في الذكرى الثانية لعملية الأسرى الستة، محمود ومحمد العارضة ومناضل انفيعات ويعقوب قادري وأيهم كممجي وزكريا الزبيدي، إن «هؤلاء الأبطال والأقمار والشموس أثبتوا أن الإرادة لا يقف أمامها أي شيء»، مشيراً إلى أن إرادتهم «تجعل من المعلقة أداة فتاكة تصنع المستحيل، فلا مستحيل يستطيع أن يقف أمام إرادة المقاتل الفلسطيني». وهنا، يستحضر كلمات مهندس العملية القائد محمود العارضة، والتي لا تزال «تدقّ في آذاننا»، وفق قوله: «لا تخافوا من الكيان، إنه وهم من غبار».

في السجن يتجدّد العهد

بعد «نفق الحرية» مباشرة، كانت فلسطين مع صولة جديدة للمقاومة، ولم يكُن أحد يدري التأثير المباشر لقادة الأسرى، وعلى رأسهم محمود العارضة، على قادة الفعل المقاوم في جنين وريفها. العلاقة التي أقامها محمود مع هؤلاء القادة ظهرت بعد الإفراج عن جميل العموري وعبد الله الحصري وتامر النشرتي ونعيم الزبيدي ونضال خازم وغيرهم، إذ عادوا محمّلين بما تجاوز الوصية، بتوجيهات القائد محمود التي احتضنوها لدى عودتهم، لتبدأ بعدها لحظة الاشتباك وتشكيل نواة المقاومة المسلّحة في جنين وريفها ومخيمها، والتي ارتقوا شهداء من بعدها. عن تلك التأثيرات، يتحدّث جرادات أيضاً، معتبراً أنها حظيت بـ«الدور الأكبر» في «نهضة الوعي الثوري والجهادي في الضفة الغربية وقطاع غزة والخارج»، لافتاً إلى مفاعيلها في «تحفيز الشباب الفلسطينيين ليفعلوا كلّ ما باستطاعتهم». ويقول: «بدأ جميل العموري ورفاقه مشوارهم المقاوم عندما علّموا جميعاً بأن الأسرى لم يستسلموا، ومن سجنهم واصلوا بناء العمل المقاوم، وأضافوا عليه محاولتهم التحرر من الأسر». وعلى الرغم من أن الاحتلال استطاع اعتقالهم مرة أخرى، إلّا أنهم «استطاعوا أيضاً بثّ رسالتهم وهي المقاومة لانتزاع حريتهم وحرية شعبهم»، كما يضيف. ويؤكد أن الاحتلال «ما زال حتى هذا الوقت يخشى أسرى الجهاد الإسلامي، ولذلك يضع على غرف أسرى الجهاد علامات حمراء، في إشارة منه إلى أن هؤلاء الأشخاص خطيرون جداً»، مضيفاً إن «عشرات من أسرى الجهاد الإسلامي مكتوب في ملفّ كلّ منهم ممنوع أن يستقرّ في سجن معيّن أكثر من 6 أشهر، ويجب أن ينتقل إلى آخر حتى لا يفكر في الخروج من السجن».

بعد «نفق الحرية» مباشرة، كانت فلسطين مع صولة جديدة للمقاومة

عامان على نفق جلبوع

في سجن حصين في سهل بيسان شمال فلسطين، يقع سجن جلبوع، وهو امتداد لسجن شطة الذي بناه الاحتلال البريطاني قبل قرن من الزمن، حيث اعتقل فيه المقاومين الفلسطينيين، ليرثه الاحتلال الصهيوني ويرث معه سلوك المحتلّ الأول. وفي جلبوع، التي وردت في الكتاب المقدس في عهدَيه القديم والجديد بمعنى النبع الفوار والمتدفق، احتُجز أسرى «نفق الحرية» مع مئات من إخوتهم الأسرى، في ظلال السجن الحصين، الذي تمكّنوا من اختراق جدرانه عبر نفق امتدّ بطول 25 متراً خارج أسوار السجن. وفيما استغرقت مدة حفر النفق 9 أشهر باستخدام الملعقة وبعض الأدوات التي استطاعوا الحصول عليها خلسةً عن أعين السجان، قام الأسرى بتصريف التراب في دورة المياه، من تحت بلاطة مساحتها 60 سنتيمتراً في مراحيض غرفة «رقم 2» في «القسم 5» في سجن «جلبوع» الذي بني عام 2004، ليتمكّنوا فجر يوم الاثنين، 6 أيلول 2021، من انتزاع حريّتهم. ومع كلّ هذا الوقت في التخطيط والتنفيذ، لم تلاحظهم كلّ أجهزة الأمن التابعة للاحتلال، سواء البشرية أو تلك التقنية، في معادلة استخدم فيها الأسرى أدوات بدائية في مواجهة أحدث التقنيات والأجهزة الحديثة، فكان الانتصار لإرادتهم.

الأخبار
al-akhbar
السبت 9 أيلول 2023 العدد 5006

رسالة البندقية

«بريسيلا» تخلع ملك الروك عن عرشه

البندقية ـ **شفيق طبارة**

«لا، لم أصنع فيلماً لمحبّي الفيس بريسلي» قالتها المخرجة صوفيا كوبولا بحزم خلال المؤتمر الصحافي بعد عرض فيلمها «بريسيلا» الذي يشارك في المسابقة الرسمية لـ «مهرجان البندقية السينمائي» الذي يُختتم اليوم. لم تكن تحتاج لرفع صوتها لتقول إنّه ليس فيلماً عن بريسلي، فعنوانه واضح يتناول الجانب الثاني من القصة، ذلك الجانب الأكثر إيلاماً وفظاعةً على الرغم من أنه معروف ولكنه عادة ما يُنسى... هو جانب بريسيلا بريسلي، التي ربطتها بملك الروك قصة حب عميقة. «بريسيلا» ليس «الفيس» الفيلم المتفجّر المفعم بموسيقى المغني الأسطوري، الذي قدمه باز لورمان السنة الماضية، بل هو شظايا انفجار الفيس. تلك القصة الحميمية، الحب والزواج ولكن من وجهة نظر بريسيلا. الفيلم مقتبس عن كتاب «الفيس وأنا»، الذي نشرته بريسيلا بريسلي عام 1985. أُذهلت كوبولا بالكتاب على حد تعبيرها، وقامت بتعديله ليصبح مقسماً إلى جزأين: الأول يضيء على الصداقة مع بريسلي ثم الحب العذري غير المستقرّ، والثاني على العزلة في غريسلاند والزواج. قدمته كوبولا للسينما على أنه ليس فيلم سيرة، بل «قصة إنسانية» حسب قولها.

يخبرنا الفيلم قصة بريسيلا من البداية حتى الطلاق. تلتقي ابنة الضابط العسكري الأميركي بريسيلا آن واغنر (كايلي سبيني) البالغة 14 عاماً فقط، بالفيس بريسلي (جاكوب إيلوردي) الجندي في ألمانيا الغربية حينذاك. هنا بدأت العلاقة العذرية الحميمة بطريقة غير عادية: صغيرتنا مفتونة وبداخلها شعور متفجّر. يجد الفيس فيها كتفاً حنوناً قادراً على تخفيف وحدته العميقة، مع سيطرة قوية على دوافعه الجنسية. تبقى العلاقة لسنوات يعود فيها الفيس إلى الولايات المتحدة وإلى عمله وهي في المدرسة. تزوره في بيته في العطلة الصيفية، إلى أن تنتقل إلى غريسلاند أخيراً. هنا تبدأ الخطوبة الطويلة غير المعلنة، ثم الزواج، الجنس، العنف، الحبوب، الأدوية. تعيش بريسيلا حلم الحب الذي يستحيل سجناً. ومن البراءة إلى النضج، ومثل كل بطلات صوفيا المحاصرات، تراقب بريسيلا، تجمع المعلومات، تنتفض، تتحرر، وتنطلق بنفسها. يعتمد فيلم كوبولا على كتاب بريسيلا بريسلي، لكنه يركز على الإحساس الداخلي للصغيرة، يعرّي القصص من دون التركيز على القضايا التي أثارت معظم القيل والقال، لأنّ الشعور بالوحدة والعزلة لدى الفتيات، اللواتي تتسم حياتهن بطغيان الزوج، أو غياب الآباء، هو ما تحبّ كوبولا أن تعكسه في أفلامها. لذلك، تنضم بريسيلا إلى النساء الحزينات اللواتي يرغبن في فتح القفص الذهبي الذي بناه الآخرون لهن، حالمات بالعثور على الحب. في النهاية، «بريسيلا» صورة واضحة عن الشعور بالغربة، صورة امرأة تطالب بالحرية في سجنها غير العادي.

بعد الجزء الأول الحميم من القصة، يتسارع الفيلم في غريسلاند، ليصبح فيلم سيرة عادي، لكن ما يميز فيلم كوبولا هو تلك اللمسة الانطباعية، تلك المشاهد التي تبلغ مدتها دقيقة وتلخص الكثير من المشاعر. لغة المخرجة الانطباعية، تنجح دوماً في إغوائنا. «بريسيلا» يذهلنا بكآبته في البداية، لكن الحساسية الرائعة التي تتمتع بها كوبولا تبدو زائدة عن الحاجة هنا، فالكآبة تتحول إلى إزعاج يستمر طويلاً ويصبح أكثر وضوحاً مع مرور الفيلم، لكن من دون أن يؤثر على الأحداث أو أن يأخذ الفيلم إلى مكان آخر.

«بريسيلا» فيلم جيد الصنع، مُغر، قدمت فيه كوبولا قصة بريسيلا بكثير من الصدق والأمانة. لم تحاول الحكم على أفعال بريسلي، فهذا ليس مهماً، الأهم هو شعور بريسيلا في كل ثانية، هذه قصتها وهي ترويها كيفما تشاء، وكوبولا نقلتها إلى الشاشة الكبيرة من دون تقديم وجهة نظرها، فالفيلم هو وجهة نظر بريسيلا الخالصة، كما يقول العنوان.

سياحة داخلية

عين زبدة تحتفل بـ «يوم المزارع»

رضا صوايا

حفل الصيف بشتى أنواع الأنشطة والمهرجانات التي غلب عليها الطابع الترفيهي. لكن قليلة هي المبادرات التي اهتمت بتشجيع قطاعات محددة، وخصوصاً تلك التي تعاني تاريخياً من صعوبات، على رأسها الزراعة. قطاع لم تغفل عنه عين زبدة، تلك القرية الصغيرة الجميلة في البقاع الغربي، المتّكئة على محمية أرز الشوف والواقعة في النطاق الحيوي الذي يربط ما بينها وبين محمية حرمون. اهتمامات البلدية نابعة من معرفتها بهوية القرية ومحيطها ومكامن تميّزها التي تسعى للإضاءة عليها، ودمج السياحة والترفيه بالتنمية المستدامة. ومن هنا، كان قرار تنظيم «يوم المزارع»، الأوّل من نوعه في البقاع الغربي والهادف إلى «دعم المزارعين وتطوير خبراتهم ومعرفتهم ومساعدتهم على تسويق إنتاجهم بأفضل طريقة ممكنة، بالإضافة إلى توفير المنتج الأفضل للمستهلك، وخصوصاً أنّنا نشتهر بالتفاح والبصل والدراق والزيتون» وفق ما يقول رئيس بلدية عين زبدة شربل نهرا لـ «الأخبار».

الحدث الذي يُقام بعد ظهر اليوم، لا يقتصر على مزارعي عين زبدة كما قد يوحي الاسم، بل «يشمل كلّ المزارعين في البلدات المجاورة»، وفقاً لنهرا الذي يشير إلى أنّ «النشاط سيتضمّن عرضاً للخضار والفاكهة والمونة البلدية والأعمال الحرفية من البلدة ومحيطها، ولا سيّما صغبين وخربة قنافار ومشغرة وعين عطا وعانا والخيارة. وهدفنا الأكبر يكمن في إنماء البقاع الغربي والحفاظ على أهله وتشجيعهم على التمسك بأرضهم، إلى جانب تحويل عين زبدة إلى صلة وصل بين المزارع والمستهلك في المنطقة». في هذا السياق، يشير نهرا إلى أنّ قلق البعض من قرب البلدة من بحيرة القرعون الملوّثة لا داعي له لكون الخضار والفاكهة تروى من ينابيع البلدة والتي تفحصها البلدية دورياً للتأكّد من أنّها صالحة للشرب فما بالك بالريّ».

يبدأ الحدث عند الساعة الرابعة والنصف من بعد الظهر بالمشي في عين زبدة، والتجوّل في أرجاء طبيعتها وأحيائها التراثية، وصولاً إلى مكان الحدث الذي يختتم مساء بحفلة فنية.

ولأنّ الحفاظ على الإنسان في أرضه ودعم الزراعة والمزارعين لا يمكن أن ينجحا من دون بيئة سليمة، حرصت البلدية على دعوة جمعيات تعنى بحماية الحيوانات والتصدي للصيد الجائر للمشاركة في النشاط والمساهمة في التوعية إزاء هذا الموضوع.

ومن بين الجهات المدعوّة جمعية Bekaa Rescue And Shelter Lebanon الناشطة في مجال رعاية الكلاب الشاردة والمعنّفة في منطقة البقاع حصراً. وتكشف مديرة الجمعية، روعة ماضي، أنّ «الجمعية تأوي حالياً 200 كلب تقريباً، غالبيتها وضعها صعب بسبب تعرّضها لإطلاق نار». ورغم تأكيدها أنّ بعض حالات التعرّض للكلاب الشاردة تكون ناجمة عن خوف، إلا أنّها توضح أنّ «حالات عدّة تظهر تصرّفات إجرامية ممنهجة وعقلية سادية مضطربة ووحشية». وتشيد ماضي في هذا الإطار بتعاون القوى الأمنية والنيابة العامة البيئية في البقاع، الذي أدى إلى توقيف 90 في المئة من المرتكبين، ولو أن العقوبات «اقتصرت على توقيع تعهدات ومصادرة أسلحة، وفي أقصى الحالات توقيف لمدة لا تزيد عن 24 ساعة». وتكشف ماضي أن «الوضع في البقاع سيّئ، والقدرات محدودة، وخصوصاً أنّنا كجمعية نتّكل على التبرّعات، الشخصية في معظمها. وبالتالي، فهي غير منتظمة وقابلة للتوقف في أي لحظة»، مؤكدةً أنّ هناك حلولاً عدة للتعامل مع الكلاب الشاردة، منها ما يفرضه القانون على البلديات لناحية تأمين منطقة مسيّجة في مشاعاتها لإيوائها، ومنها ما نقوم به كجمعية من خلال خصي الكلاب الشاردة، ما يسمح بالحد من أعدادها بشكل كبير».

«يوم المزارع في عين زبدة»: اليوم السبت ـ الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ـ عين زبدة (البقاع الغربي).

فيمَ نتحدث حين نتحدث عن الرياضة

بول مخلوف

بالرغم من انتهاء حقبة استثنائية في تاريخ كرة القدم تكرست في المواجهة الندّية المثيرة التي جمعت كلّاً من ليونيل ميسي وكريستيانو رونالدو، تاركةً وراءها أثراً لا يُمحى، إلا أن «تاريخ» كرة القدم لم ينتهِ، ولو أن تاريخ أهم المعلقين الرياضيين الذين رافقوا تلك الحقبة مثل رؤوف خليف الذي أُحيل إلى التقاعد، قد انتهى. لقد عاد موسم كرة القدم وانطلقت الدوريات مجدداً. عودة المباريات الرياضية على شاشات البث وتصدّرها للأحاديث لا ينحصر في كرة القدم فحسب، بل يطاول العديد من الأنواع الرياضية، كرة السلّة مثالاً أو حتى سباق الفورمولا وان. ونحن غالباً ما نتماهى مع الرياضة التي نتابعها، ومع أبطالها، نعلق في مواقف وأفكار وحالاتٍ، نتشاركها بالأحاديث مع بعضنا تارةً أو نفكر فيها لوحدنا طوراً. على الرغم من التسلية والإثارة التي تخلّفهما الرياضة وراءها، إلا أنها تمثّل مصنعاً يجترّ نفسه ويكرر صناعته في دورة إنتاجية لا تنتهي ولا تتوقف. داخل هذا المصنع تُحاك قصص، وهناك حبكة، يوجد بداية وهناك نهاية. والعالق في أفكاره ومواقفه وحالاته سيتساءل عن ذلك المصنع، عن صنّاعه، وصنعته، ومشهديّته.

في هذا العدد من «إنما» والذي استقينا عنوانه من المجموعة القصصية للأميركي رايموند كارفر «فيمَ نتحدث حين نتحدث عن الحب» نكتب عن الأوجه المتعددة للرياضة: إن كان ذاك الذي ينعكس في اللذة، والسعادة والحنين، أو الوجه الآخر، ذاك الأكثر ضراوة وجنوناً، الذي يتجلّى في اعتبارها أسطورة من أساطير المجتمع الحديث، أو كونها رواية نزقة شبيهة بماكبيث، مليئة بالصخب والعنف، ويكتبها مجنون.

لقراءة ملحق «إنما»

تصميم هاشم رسلان

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 666314 /01 ـ 828381 / 03
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 9 أيلول 2023
العدد 5006 السنة الثامنة عشرة
Samedi 9 Septembre 2023 nº 5006 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

غلاف الكتاب

فريدريش ديش
في جحيم النازية

لندن ـ **سعيد محمد**

في قلب «جامعة أيست أنجليا» البريطانية (شمال شرقي لندن) المشهورة بالدراسات الإبداعية والنقديّة، يقع مقرّ ناشر من نوع مختلف. إنّه «بويلر هاوس للكتب» الذي يقوده عدد من النقاد الأدبيين، ويتولى متمهّلاً نشر أعمال من النَخب الأول، روايةً وشعراً ونقداً أدبيّاً وبحثاً، وتقديمها للجمهور العام في إخراج جذاب وحداثيّ يثير الشهيّة للقراءة، ويجدد الحنين للكتاب المطبوع.

الثيمة التي تجمع الأعمال التي صدرت عن «بويلر هاوس»، على تنوع أجناسها الأدبيّة، أنّها جميعها تكسر القوالب الأدبيّة المؤسسة، وتحلّق في فضاءات الجدل بين الناقد والمبدع، وتصل بالأفكار التي تتحدى المألوف والتقليدي والمكرّس إلى القارئ العاديّ غير المتخصص، بأسعار تبدو كأنها تعود إلى قرن ماض. كأننا نستعيد الأيّام الذهبيّة لسلاسل كتب مصر المرحلة الناصرية التي كانت تصل إلى أرجاء العالم العربي بأسعار زهيدة. الكتاب هنا في جوهره، فكرة مغلّفة، والنشر مهمته إيصال الأفكار إلى الناس كي يبدأ التغيير.

«كتب مستعادة» أكثر مشاريع «بويلر هاوس» شعبيّةً، تتضمن إعادة نشر أعمال روائيّة منسيّة من مراحل سابقة، تحمل في نصوصها تجارب عابرة للحظة وذات صلة بأشواق الإنسان المعاصر، لكنّها لأسباب متفاوتة لم تعد متوافرة للقراء أو لم تنشر سابقاً بالإنكليزية، فتقدّمها كأنّها طازجة نديّة لجيل جديد. و«مفتشو الأفكار» The Sanity Inspectors رواية الكاتب الألمانيّ فريدريش ديش هي أحدث ما تمت استعادته من غياهب النسيان.

الرواية الصادرة عام 1955، روت سيرة الدكتور روبرت فوسمينغ طبيب النفس الألمانيّ الذي يعيش تناقض الإخلاص لقسمه المهنيّ، لحظة بدأ النظام النازي حملته لتخليص الشعب الآريّ من «غير المرغوب فيهم»: المجانين والضعفاء، والمتخلفون عقلياً، والشيوعيون، واليهود. أُجبر وقت الحرب على الالتحاق بسلاح الجو الألمانيّ كضابط طبيب، وهناك يقاوم النّظام من داخله في حملة رجل واحد عبر منح الطيارين المترددين في أداء الخدمة العسكريّة أعذاراً زائفة للتسريح من السلاح. ويتبادل فوسمينغ أثناء ذلك مراسلات مع قس لوثري حول أزمة ضميره، والعواقب المحتملة لخياراته الأخلاقيّة، وشكوكه في معنى العقل الفردي في مواجهة الجنون الجماعيّ، ليصل في النهاية إلى موقع يتحتّم فيه الاختيار بين العيش الذليل ومعتقداته، ما يؤدي إلى اعتقاله، والحكم عليه بالإعدام.

الرواية وكاتبها طبيب بالفعل، اسمه الحقيقي فريدريش فيرين (ولد في عام 1907 ويبلغ الآن 116 عاماً)، خدم خلال الحرب العالميّة الثانية في سلاح الجو الألمانيّ كضابط طبيّ، تطرح من خلال شخوصها وأحداثها مجموعة من الجدليّات، التي تظل راهنة حول معنى التمسك بالحقيقة في عالم متخم بالأكاذيب حين يصعب تحديد الصواب من الخطأ، والخير من الشر، والواجب من الجريمة، وماهية التعقل عندما يصاب القوم من حولك بالجنون، وكيف يمكن لإنسان صادق مع نفسه أن يستمر بالحياة في منظومة يتعرّض فيها الجميع للقهر والإفساد الممنهج.

ترجمة «مفتشو الأفكار» من الألمانية إلى الإنكليزية ضمن «كتب مستعادة» أولى من نوعها، تولّاها روبرت كيي، فيما قدّم لها سنكلير مكاي الكاتب البريطاني المهتم بشؤون ألمانيا، وكتب لها خاتمة كريس مالوني وهو طبيب وكاتب متخصص في دراسة الصحة العقليّة في المجتمعات المعاصرة.

حوار

الطاهر لبيب: بيروت في نهاية الأمر... فكرة!

لئن كانت بيروت لا تكف عن إغراء الغرباء، كما يكتب عالم الاجتماع التونسي الطاهر لبيب (1942) في روايته «في انتظار خبر إنّ» الصادرة حديثاً عن «دار محمد علي» و«دار منتدى المعارف»، فليس الأسمر القادم من أرض الزيتون والياسمين بغريب عن مدينة اللعنات الجميلة، بشوارعها المتداخلة بالثقافة، وخبزها المختلط بالشعر، وبحرها المحتار بين مبتدأ الحكاية وخبرها الغائب في انفجار: الدكتور في علم الاجتماع من جامعة السوربون في باريس عن أطروحته «سوسيولوجيا الأدب العربي» (1974)، والحاصل على درجة الأستاذية في اللغة والآداب العربية من الجامعة نفسها، لطالما رصد بيروت بعين العاشق والمثقف، منذ انتقل إليها لإدارة «المنظمة العربية للترجمة» لسنوات وتأسيس «الجمعية العربية لعلم الاجتماع». رصد تصبح فيه بيروت أشبه بأنثى لا تعولّ على حبٍ لا تكون قبله وبعده ومعه وفيه، حبّ أقل ما يقال فيه عن سحرها وعن نبض الحياة وخفّة الرّوح فيها بأنّه «تعبير عن تجلّيات فكرتها في الحواسّ الخمس». وجد «الغرامشي التائه» ضالّته في الرواية هذه المرة، ليبوح للمدينة المعشوقة المتمنّعة بحب عضوي لا تخلو فيه جمالية السرد وسيولته من المثاقفة وتذويب الحمولة المعرفية الكبيرة في لغة رشيقة يفهمها الجميع: «ولأنها لا تنفصل عن صورها القديمة فالتعلّق بها هو كالتعلّق بفكرةٍ ثابتة. لها رأس مال رمزي، كما يقال، يجعلك تراها -مهما كانت حالها- مدينةً معطاء، تعطيك ما تملك وما لم تعد تملك». عن روايته الجديدة وبيروت والثقافة والأدب كان هذا الحوار مع الطاهر لبيب

حوار وتقديم **محمد ناصر الدين**

■ هل «في انتظار خبر إنّ» رواية أو سيرة ذاتية أو سيرة ثقافية لمدينة كما يراها مثقف؟

- هذا سؤال يجيب عنه النقّاد والعارفون بأصناف السّرد. إذا اعتمدت ما كُتب عن النصّ، حتى الآن، فهو رواية. الاختلاف هو حول ما يتقاطع فيها بين الواقعي والمتخيَّل، وأظنّ أنّ استعمال ضمير المتكلّم ساند، بدرجات متفاوتة، ميلَ البعض إلى الحديث عن «سيرة ذاتيّة» أو «سيرة روائيّة» أو «ما يشبه السيرة الذاتية». قد يكون الأقرب إلى النصّ هو «التخييل الذاتي»، في معنى «الأوتوفيكسيون»، كما رأى بعضهم. ومهما يكن، فلم يخطر في بالي أن أكتب سيرة ذاتية أو غيريّة. الأمكنة والأزمنة وبعض الأحداث الكبرى كالحرب والثورة -وهي موصوفة بتصرّف- هي لتأطير التخيّل بشيء من الواقعيّة. وللمناسبة، فإنّ السّيرة الذاتية، هذا النوع من كتابة الذات، تبدو لي من أصعب ما يُقدم كاتب على كتابته. من منا يكتب، بجمالية عالية، سيرة حياة فيها من الثّراء النادر ما يشدّ اهتمام الناس؟ من منا سارتر ليكتب «الكلمات» أو غارسيا ماركيز ليكتب «عشت لأروي»؟ وأما بيروت فلك أن تكتب تاريخها أو أن تجعلها فضاءً لسردك أو أن تكتب فيها مذكراتك ولكن لا أحد يكتب سيرتها.

■ تحوّلت من عالم اجتماع، من صاحب «سوسيولوجيا الغزل العربي» إلى روائي. من الواضح في الرواية أنك انتقلت بمقاربة سوسيولوجية للظواهر التي تصفها. كيف ترى، إجمالاً، علاقة الرواية بالمعرفة؟

- لا أتصوّر روائيّاً جيداً من دون رصيد معرفي يعمّق نظرته إلى عناصر روايته. الرّوائي، من دون رصيد معرفي، حكواتي. أقول هذا بوصفي قارئاً تشدّه الرواية إليها بما يتراءى له فيها من «خلفية معرفيّة»، وراء متعة ما يقرأ. أقول: يتراءى لأن الرواية لا تستعرض معارف صاحبها وإنما تضمرها. القول بالتّبسيط، بدءاً بتبسيط اللّغة كي يفهمها الجمهور، هو، في أغلب حالاته، بحث عن الأسهل، ثمّ إن هذا الجمهور يستهلك من المبسَّط ما يكفي قوته اليومي. المستهدفون هم القراء لا الجمهور.

■ «لستُ إلا واحداً ممن يمدّ بهم الريف المدينة، فلا هم، حقاً، في هذه ولا هم في ذاك». هل لازمك هذا الشعور بالـ «بيْن بيْن» من طفولة الريف إلى المدن التي عمّقت القلق، من دون الوصول إلى «خبر إنّ»؟

ـ هذا الـ«بيْن بيْن» ظاهرة عامة تحدّدها طبيعة العلاقة بين الريف والمدينة في مرحلة تاريخيّة معيّنة. يحضرني ما كتب غرامشي، ابن سردينيا الفقيرة، عن استقطاب رأسمالية الشمال الإيطالي لمثقّفي جنوبها، ولكنّ الفرق هو أنّي لم أنشأ، فكريّاً، في «كتلة» مثقفين ريفيين، لغياب ما يسمح بذلك، بدءاً بانعدام المدارس. تكوّن هذه الكتلة في تونس ظاهرة حديثة، نسبيّاً، مرتبطة بتكاثر المتعلمين وأصحاب الشهادات العاطلين عن العمل الذين أصبحوا قوى احتجاجية في المناطق المحرومة. لم يكن، مسار التكوين، إذاً، يتيح ارتباطاً عضويّاً بفضاء النشأة فبقيت العلاقة به علاقة وجدانية، ويلازمني، إلى اليوم، شعور بالتقصير وبالعجز على ردّ الجميل لهذا الفضاء الذي جئت منه... وأما المدينة فلم أتّخذ فيها مسلك حراكٍ خارج مسالك المهنة. بقيتُ فيها «آفاقيّاً»، كما يقال. فكُّ الارتباط العضوي حوّل الـ «بيْن بيْن» إلى ترحال. فكريّاً، لا أتحمّل حصار الاختصاص وأرتاح في مناطق التداخل، وفي هذه المناطق كُتبت الرواية.

■ «صورة بيروت أغلبها من الشعراء»، وهي «لا تكفّ عن إغراء الغرباء». هي «في خيالي تطير». لماذا تمتلك بيروت هذه السّطوة على المثقفين والكتّاب والشعراء؟

ـ غرباء بيروت من أهل الفكر والسياسة كانوا فيها بين ملاذٍ وإغراء، وفي الحالتين لم تخلُ بيروت من حميميّة، بعيداً عن سطوة مدن أخرى. الشعراء أوضح مثال: لا أعرف مدينةً عربيةً تغزّل بها الشعراء، من غير أهلها، مثلما تغزّلوا ببيروت. أقول: تغزّلوا ولا أقول مدحوا فمدح المدن، في الأغلب، مدح لحكّامها. تنافس الشعراء في التعبير عن حبهم لبيروت ولا أحد منهم ادّعى أنها أحبّته! بيروت معشوقة متمنّعة. لاحظ أنها، رغم وجود الكثير من شوارعها بلا أسماء، لا تحمل أسماء من أحبّوها من الشعراء، ومنهم قامات عالية. بيروت، في نهاية الأمر، فكرة أكثر مما هي مدينة. ولأنها لا تنفصل عن صورها القديمة، فالتعلّق بها هو كالتعلّق بفكرةٍ ثابتة. لها رأس مال رمزي، كما يقال، يجعلك تراها - مهما كانت حالها- مدينةً معطاء، تعطيك ما تملك وما لم تعد تملك. هي، بالنسبة إلى الشعراء، مدينة تجيد التلقين، تمدّهم بكلمة البدء. سألتُ، مرّةً، محمود درويش، وكنّا في إحدى المدن العربيّة، إن كان يكتب شعراً، فقال إن هناك مدناً لا يُكتب الشعرُ فيها وإنه حالما يكون في بيروت سيكتب.

■ «المكان الذي تحبّه تدلّك إليه امرأة». بدت هذه الجملة مفتاحيّة لتتماهى بيروت مع المرأة التي ستسكن الرواية في فصول لاحقة. هل هذا الانطباع صحيح؟

ـ الحبّ يلوّن المكان ويثبّته. هو، في الرواية، ينسج نسخةً ملوّنة من بيروت، هي بيروت أخرى غير بيروت الخرائط. لا ينفصل الحبّ عن أمكنته، لذلك نزورها بذكرياته حين ينقطع. ولكثرة ما كرّر المحبّون هذا، أصبح للحبّ أماكن شهيرة. بعض المدن تسمّى مدن الحبّ. لبيروت شيء من هذا، وقد كانت، إلى عهد قريب، أكثر المدن العربيّة إعلاناً عن الحب وعن رسائله فيها. بيروت، في الرواية، مثنّى: هي هما. هناك تماهٍ بينها وبين المحبوبة، حتّى لا واحدة من دون الأخرى. أن تكون امرأةٌ مفتاح مدينة، فهذا يعني أن ما لك أو عليك أن تراه من المدينة هو ما ينفتح لك منها وأنت في حال حبٍّ فتراه كما لم تره من قبل، وقد لا ترى غيره. أراغون يذهب إلى أبعد من هذا في قولٍ تصعب ترجمته: «لا باريس لي إلّا من إلسا».

■ ولكن هذا الحب، رغم قوّته، هزّه تأويلٌ خاطئٌ لمصادفة...

. نحن في عالم تفشّى فيه اللامعنى وانفصلت فيه المعاني عن أشيائها

حركات الإسلام السياسي أفرزت «مثقفاً تقليديّاً» سيتبيّن أنه أكثر عضويّةً من المثقف العضوي

حرب تموز أوجدت نصراً رادعاً هو بمثابة رأس مال رمزي قرأه اللبنانيون قراءات متنوّعة واختلفوا في تقدير ثمنه

أجاد العرب غزلهم في فترات مدّهم الحضاري. في قرون تراجعهم، تراجع الغزل

أو الأشياء عن معانيها. كثر اللّغو في المشترك من الكلام في لا شيء. فقدان المعنى أو فساده ينفتح فراغه على العبثيّة، في معناها الفلسفي الوجودي. الحب، كقيمة إنسانية وكفعل علائقي هو لمواجهة هذه العبثيّة، ومن ورائها بشاعة العالم. قد يهتزّ، كما هزّته، في آخر الرواية، عبثيّة صدفة هي نفسها من تجليّات سياق عبثي أوسع. مشاهد العبث العربي التي أصفها لها بعدُ تراجيدو-كوميدي يوحي بالسعادة. هي مشاهد، وبخاصة السياسية منها، تجعل كامو على حقّ حين افترض أن يكون سيزيف سعيداً. سيزيف العرب سعيد، دائماً. نعم، لقد أصبح علينا، حتّى في الحبّ، أن نبحث عن المعنى حيث لا معنى. الفيلسوف كوستارياديس رأى مرحلتنا مرحلة «صعود اللّامعنى»، وليس من المصادفة أن يعنْون كونديرا آخر رواياته «حفل اللامعنى».

■ «البحث عن معنى، ذلك الذي يصعد بك الحبّ إليه». وأما الرغبة «فهي على قارعة الطريق، أفقيّةٌ، لا تحتاج إلى صعود». لو وضّحت لنا أكثر هذا القول؟

. الحبّ، في معناه الواسع، أو المحبّة، يضفي على موضوعه، أي المحبوب، معنىً يصعد به إلى حيث يراه كما يتمثّله وكما يريده أن يكون. وأما الرّغبة فكلّ ما تتطلّبه تحويلُ الموضوع القابل للرغبة إلى مرغوب فيه، فعلاً. العلاقة بين الحبّ والرّغبة هي علاقة اختلاف وتقاطع، وقد تكون علاقة تطابق، كما يريدها من يتشكّى فيقول، مثلاً: أرغب ولكن لا أحب أو أحب ولكن لا أرغب. إنها علاقة صعب على التحليل النفسي البتّ فيها، وإن اشتهرت بعض مقولاته، ومنها قول فرويد: «حيث يحبّون هم لا يرغبون، وحيث يرغبون لا يستطيعون أن يحبّوا». المقاربة السوسيولوجيّة، وهي مختلفة، يهمّها الفصل الحادّ، في المجتمع العربي، بين الحب والرغبة. فصل هو، عمليّاً، لصالح الجنس وضدّ الحبّ. هناك، عمليّاً، إباحة للجنس ومنع للحبّ. الجنس مراقب كما تراقب أي سلعة في مجتمع استهلاكي، وأما الحبّ فممنوعٌ لخروجه عن الرقابة.

■ «قد أرتاح في كل هذه الحالات ما عدا واحدة: أن أكون كلَّ النّساء في امرأة. في هذا من الذكوريّة المضمرة أكثر مما فيه من الإعجاب بامرأة. هل سمعت امرأة تقول لرجل: أنا كلّ الرجال في رجل؟». هكذا علّقت الحبيبة على أوصافها في النصّ. في «سوسيولوجيا الغزل العربي» إعجابٌ ضمني بغزلٍ يعبّر عن رؤية جماعيّة للعالم. كيف تراجع هذا الغزل؟

. أجاد العرب غزلهم في فترات مدّهم الحضاري. في قرون تراجعهم، تراجع الغزل وتحوّل من الشّعر إلى النّثر في المصنّفات، ثم إلى التقليد والتكرار. مع ما سمّي نهضة عربيّة، عاد الغزل إلى الشّعر، منمّقاً، قبل أن ينبض في ما اعتُبِر شعراً حديثاً، بدءاً من الخمسينيات، حيث اعتمد الغزل لغةً وإيقاعاً وصوراً جديدة وطغت ظاهرة نزار قباني. وازى هذا بروز أسماء نسائية مهمّة، شعراً ونثراً. ففي العدد الأول من «مجلة شعر» (1957) شاعرتان. وفي عام 1958 صدرت رواية «أنا أحيا» لليلى بعلبكي. في فترات لاحقة، تغزّل الشعراء بالأوطان والزعماء. لست مؤرخ أدب ولكنّ انطباعي بأن العقود الأخيرة أعادت الغزل إلى النّثر. وإذا صحّ أننا في زمن الرواية -وأفضّل القول بأننا في زمن السّرد، والرواية نوع منه- فإن هذه العودة أنتجت ما يمكن تسميته الغزل الروائي. وسواء كان الغزل شعراً أو نثراً، فهو يواجه، اليوم، رقابة بعضها لم يكن موجوداً، كما يواجه لغواً من نوع تواصلي لا رادّ له. وراء الغزل حبٌّ يبدو أنه يحتاج إلى «إعادة اختراع»، كما نادى بذلك رامبو وردّد، بعده، آخرون.

■ «نحن اللبنانيون نحبّ بلادنا قتلاً ونقتلها حباً». «نحن نُرقّص الموت». هذا ما قالته الفتاة ذات «الفراشة بجناح واحد». ما رأيك في جدلية الحبّ والموت هذه؟

ـ لو تعسّفنا على فرويد ونقلنا، من الفردي إلى الجماعي، أسطورتَي ايروس وثاناتوس اللتين استثمرهما في تحليله، لقلنا إنّ بيروت تستبطن صراع نزعتَي الحب والموت، لا أدري منذ متى. قد يصح هذا على كلّ المدن كما يصح على كلّ الأفراد، ولكن العلاقة بين النّزعتين، في بيروت وفي لبنان عموماً، تبدو بلا وسائط فاصلة، لا سياسيّة ولا قانونية ولا حتى دينيّة أخلاقية لأن الطوائف نفسها طرف في الصراع. لهذا لا يُستغرب أن يقال إن اللبناني يحب بلده قتلاً ويقتله حبّاً. لكأنّ هناك تواطؤاً بين الحب والموت، كما هو، إجمالاً، بين الحبّ والكره، ولكنّ شغف الحياة يضع على أوجه الموت أقنعة. تحويل الدمار إلى مادّة فنيّة أو الفرح العابر في سهرات مار مخايل، مثلاً، هما من هذه الأقنعة.

■ وصفتَ بعين السوسيولوجي المتفحّص الكثير من دقائق الوضع الطائفي والسياسي اللبناني: «إن عرفتَ قاتلاً أشار إلى قاتل»، «لا تستبعدْ أن تحمل الطوائف، يوماً، ساعاتٍ أوقاتُها مختلفة». هل كانت نهضة بيروت نهضة صالونات وكتب، بينما كان الواقع ينتج النقيض؟

ـ النهضة، في فكرنا العربي، نهضة فكريّة، أساسيّاً، في حين أنها، في الواقع التاريخي، نهضات متوازية في مجالات مختلفة، تتساند وتتكامل في مجتمع ينهض، حقّاً. النهضة في مجتمع متقدم تحوّل الأفكار الكبيرة إلى قوّة تغييريّة فاعلة. هي أوسع وأشمل مما نراه من تحديثٍ بلا حداثة. المشكلة في العالم العربي، ومنه لبنان، ليس في غياب الأفكار والمشاريع النهضويّة المصاغة، فكريّاً، وإنما هي أن تكون هذه الأفكار والمشاريع محاصرة في ثقافة ترفض، بتبريرات متنوّعة، أبعاداً وظواهر ملازمة، عادةً، لنهضة شاملة، وفي الوقت نفسه هي ثقافة غير قادرة، حتى الآن، على إنتاج بديل نهضوي قابل للحياة. وأما بيروت فقد أنتجت أفكاراً كبيرة، لها ولغيرها، ولها خميرة نهضةٍ كامنة فيها، ولكن بعض عراقيل نهضتها أكثر تعقيداً مما هي عليه في مدن عربية أخرى.

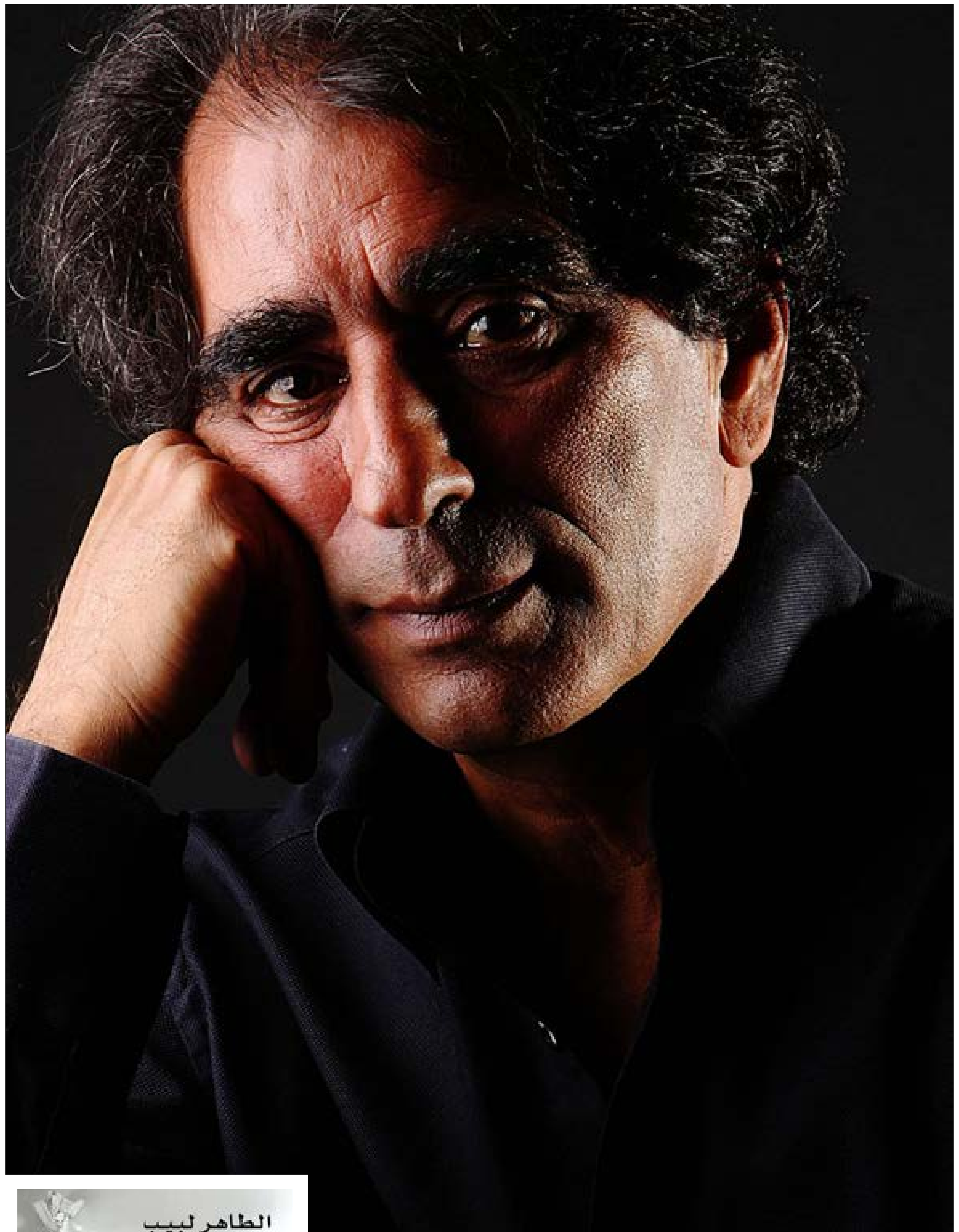

الطاهر لبيب: الفيلسوف كوستارياديس رأى أنّ مرحلتنا هي مرحلة «صعود اللّامعنى»

■ من الندوة المملّة التي تستعملها كمنطلق للفلاشباك في النص، إلى قصّة الذبابة الشّبيهة بالمفهوم والقاموس الانتهازي للأحزاب الحاكمة وغيرها، يبدو من عرّفنا بغرامشي وركّز على مفهوم «المثقف العضوي» قانطاً من السياسة وخطاباتها وآفاقها في واقع العرب إلى حد السّأم...

ـ الجواب في السؤال. أنا من جيل سرديّات كبرى تلاشت في واقع لئيم. وبما أنك ذكرت غرامشي، سأتّخذه مثالاً لما يصيب الأفكار الكبرى في الواقع العربي. إجمالاً، ومن دون الدخول في التفاصيل، ظهر غرامشي في الخطاب العربي، بعد هزيمة 67، في صورتَي «مناضل» في المشرق و «مثقّف» في المغرب العربي، وفي الحالتين كانت عضوية المثقف مركز التفكير في السبعينيات. لم نتنبّه، بما يكفي، إلى أن حركات الإسلام السياسي كانت تفرز «مثقفاً تقليديّاً» سيتبيّن أنه أكثر عضويّةً من المثقف العضوي. في الثمانينيات، كان الاهتمام بالمجتمع المدني. نظرتنا الثقافية إليه فصلته عن المجتمع السياسي. لم نتنبّه إلى أن من يبقى نشاطهم في مستوى المجتمع المدني، من دون نشاط سياسي، يبقون تابعين أو «سوبالتارْن»، كما يقول غرامشي. الاستنجاد بغرامشي، عندما حدث ما حدث في الربيع العربي بفصوله القاسية، كان، بصورة خاصة، لمعرفة ما يمنع الشرائح الاجتماعية التابعة أو «السوبالترْن» من مواصلة ما بدأته من تحرّك، بقطع النظر عن تسميته. القنوط أمام ظواهر مماثلة يمكن أن يفضي، في نهاية الأمر، إلى سؤال أوسع: ما الذي يجعل شعباً يعيد إنتاج اضطهاده، ولو في انتخابات يقال له إنّها «نزيهة وشفّافة»؟

■ وصفتَ حرب تموز وانقسام اللبنانيين حولها. من أي زاوية قرأتها، وهل تبدو المسافة إلى فلسطين، من بعدها، أقرب أو أبعد؟

ـ اعتاد عرب الأزمنة الأخيرة أن لا ينتصر العربي إلّا على «شقيق»، وأما السّلم فلاستبطان الهزيمة. حرب تموز أوجدت نصراً رادعاً هو بمثابة رأس مال رمزي قرأه اللبنانيون قراءات متنوّعة واختلفوا في تقدير ثمنه، بحكم تركيبة المجتمع اللبناني المعقدة. في الحرب الأهلية، انتصر الجميع ولم ينتصر أحد أو انهزم الجميع ولم ينهزم أحد. في حرب تموز، لم يتساوَ الجميع في توزيع نصرها وثمنها. خارج لبنان، في البلدان العربية الأخرى، وبقطع النظر عن مواقف الأنظمة السياسيّة، فاجأت الحرب عامّةَ الناس بتلبية حاجتهم الدّفينة إلى نصر على إسرائيل. وأما في فلسطين، فَمن الطبيعي أن تستثمر المقاومة هذا النصر، في وقت أصبح فيه «الصراع العربي الإسرائيلي» «صراعاً فلسطينيّاً إسرائيليّاً» وتعدّدت فيه وتعرّجت المسافات العربية إلى فلسطين، واستنزفت الأنظمة السياسيّة «القضية» في مصالحها، مدّعيةً أنّها «قضيّتنا الكبرى». لا أتصوّر أنّ رجلاً سياسيّاً عربيّاً واحداً لا يدرك، بوصفه إنساناً، وبقطع النظر عن الانتماء، أن هناك احتلالاً يرتكب الجرائم في فلسطين، ولذلك، ومهما كانت دوافع الخذلان، لا أرى قضيّةً جرّدت السياسة العربية من النّزعة الإنسانيّة والأخلاقيّة أكثر مما جرّدتها منها القضية الفلسطينيّة.

■ «الثورة كالحب، لا يكفي أن نشعلها. يجب أن نعرف كيف نحافظ عليها». أين صارت الثورة في تونس؟

ـ ما حدث في تونس ثورة، وهكذا سمّاها فاعلوها. هذه الثورة واجهت، منذ بدايتها، مفارقات الثورة، وخصوصاً تلك التي تفرزها المجتمعات العربية الإسلاميّة. الثورة التي هي تغيير يحدث قطيعة استقطبتها ماضويّتان، واحدة سياسيّة والأخرى دينيّة. وكما يحدث في الثورات أيضاً، أفرز المجتمع أنبل ما فيه وكذلك أسوأ ما فيه، وهي معادلة صعبة، لولاها لنجحت كلّ الثورات: من جهة، خلّص المواطن الكلمة، وبالتالي المعنى، من ملكيّة السلطة الحصريّة، ومن جهة أخرى ارتباكٌ وخيبة انتظارات. ورغم هذا، فالمحصّلة هي تحريك التاريخ، كما يقال. ومن حسن حظّ تونس أن القوى المعرقلة لهذا التحريك محدودة نسبيّاً، على الأقل في الداخل، مقارنةً ببلدان عربيّة أخرى، كما أنّ للمجتمع المدني تاريخاً وحيويّة. قد يتباطأ إيقاع التغيير ولكنّ أيّ انتكاسة لا أراها إلا عابرة. هناك انطباع، أحياناً، بأننا قمنا بثورة لم نعرف ما نفعل بها، حتّى الآن، لكنّي أميل، حدساً أو أملاً، إلى اعتبار أنّ ما جعل الثورة ممكنة في تونس يمكن أن يفعّلها، في مدى أطول.

■ في الرواية شاعران، أحدهما في تونس والآخر في شارع الحمرا في بيروت تعود إليهما مراراً في السرد، استئناساً بآرائهما في قضايا الكتابة والحب وغيرها. هل الشاعر هو القابض على المعنى في المدينة؟

ـ في دراساته السوسيوأدبيّة يميّز لوسيان غولدمان، انطلاقاً من ماركس ولوكاتش، بين الوعي التجريبي والوعي الممكن. كان هذا التمييز حاضراً في ذهني. الوعي التجريبي هو ما تحيل إليه، في الرواية، مشاهد عبثيّة كثيرة، فاقدة للمعنى، ذات آفاق مسدودة، بلا حلول أو ذات حلول زائفة، ومع ذلك يتكيّف معها أو يستسلم لها الأفراد والجماعات. هو، إذاً، وعي مرتبط بالواقع ولكنه بلا قدرة على التجاوز. الشاعر يرمز إلى هذه القدرة التجاوزيّة المفقودة. له حدس الممكن والقدرة على إضفاء الجمال على ما ليس بعدُ. في تونس، يشتمّ الشاعر رائحة ثورة آتية كما تُشتمّ رائحة مطر ينزل في أرض عطشى بعيدة، وفي بيروت يشدّ الشاعر بيروت إلى ممكناتها، فيراها «تعود»، رغم يأس كثيرين منها. بيروته «حتى في الموت لا تموت».

■ هل من كلمة أخيرة؟

ـ الكلمة الأخيرة هي الأولى في الرواية، وهي لكونفوشيوس: «لو كان لي الحكم لبدأتُ بإعادة المعنى إلى الكلمات».

ترجمة

جان دورميسون*: الفراغ يَجرحُ

ترجمة **هدى حمودة (الجزائر)**

1- العزلة

قبلَ بَدء الزمن وبدايَة البدَاية، إنْ أمكننا القَول، كان الكائن وَحيداً في الفراغ. لم يكن هناك شيء. ومع أن شيئاً ما كان مَوجوداً، لا يَستطيع أحد قَولهُ لأنّ القوانين التي تَحكمنا لم تُوجد بَعدُ، لأنه لم يكن هناك مكان ولا زمان، ولم يَكن هناك سَبب ولا نَتيجَة، لا حَتميّة، لا صُدفة. في الفراغ كان هناك شيء من العَتمة واحتمال مُضيء، يَمتزج به وباي شيء، ولأننا لا نَملكُ بَديلاً، نُمنحُ اسمَ الكائن، كان بمُنتهَى القُدرة ولم يَكن يُؤدي شيئاً. كان بمُنتهَى القُدرة لكنه لم يَكن يَفعل شيئاً. وكلّ ما سَيَحدث إلى آخر الزمَن كان بالأصل فيه: الطعام الأول، الطحالب الخضراء والزرقاء، الديبلودوكس، إنسان النياندرتال، النار، الزراعة، المدن والكتابة، تَوسعات الإسكندر وأولى خطوات أرمسترونغ والدرين على القمر. لكنّ كُل شيء كان ما زال مَخفياً وعلى شكل احتمال، لم يَكن الكُل سوى احتمال. كان الإله كُلي القُدرة وكل شيء كان مُحتملاً. لم تَكن قوانين الكَون قَد سُنّت بَعدُ، والزّمن لم يكن هنا ليُوجَد ما سيتقَسم. لا شيء كان يَجري بَعد في الوُجود ولا في التّعاقب.

كل شيء كان يَجتمعُ في الكائن الذي كان وحيداً في العدم، ويَمتزجُ بذاته.

2- الحب

مَهمَا يَكن، فإن غُبور المُحتمل إلى الحَقيقي يَتطلب شيئاً ما يُشبه اللغز. يمكننا تَخيّلهُ لغزَ الحب. كل ولادة تُحدث بدافع نسَميه الحب. كذلك يَخرج الكُل من العَدم غير مَنفذ الحب ويفَائض الحب. وحيدٌ هو الكائن وضَجرٌ، لا يستطيع أن يُحب ذاته ويَرغب في أن يُحبَّ الآخرين ويُحبوه. بدَافع الحب، يُخرجُ الكل من العَدَم والزّمن من الأبدية. إنّ كان الكائن لا يُحب الكل، فلن يتمكن الكلّ من الانفصَال عن العَدم. هو شيء من الحُب ما يُوحّد العالم ويَقتلِعُه من العدم. الواحد، الصالح، الشمس، الإله، الكائن الأعلى، الضرورة، القانون، هي أسماء متعاقبة مَنحَها الشُّعراء أو الفلاسفة لنبع وحَارس وحِدّة العَالم الذي يُعجزه أبَدية لن يَتَشظّى. هناك تُعلّقُ مُتبادل بين الجُزء والكُل في كل لَحظة يمنع الكون من الانفجَار. الحُب إسمَنتُ العالم، هو يُدير الشّمس وباقي النُّجوم. يَصدُّ موتَ العالم. يسدّد الكُلّ ولا يَتوقّف أبداً عن خَلقه.

3- الكلّ والفراغ

قبل الكلّ، لم يَكن هناك شيء. قد يصعب تَخيله، بخرائطه المُتعاقبة وطبَاته اللانهائية، وحُقول خَشخاشه؛ فزسم الفَراغ مهمّة مستَحيلة. عن الغياب الخَالص، لا نستطيع الكَلام، أي راحة؛ أي نعيم! في كل واحد منا وفي صمت الأعماق، شيء من الحَنين إلى الفراغ ما زال يَطفو. قبل أن يبدأ البَدءُ بالبدء، كان الفراغ كل شيء. لم يكن هناك مكان ولا حتى فراغ: كل فراغ يَستحضر امتلاءً. لم يكن هناك ضوء ولا شيء مُطلقاً وأقل من ذلك، لم يَكن هناك زَمن. ما منح - لكن كيف نفعل خَلاف ذلك؟- استخدام كلمة قَبْل التي لا مَعنى لها إلا في الزمن. لم تَكن هناك كائنات، بل كائنٌ لأنه ما كان مُنذ الأزل وإلى الأبَد. كائنٌ مُطلق وأبَدي يَختلط بالفراغ ومِنْ ثم بالكُل.

الكَائنات داخل الزّمن لا يَحق لها أن تتكلم عن هذا الكائن الخارج عن الزّمن، عن المكان والزّمن. لنصغي سريعاً ولنبسّط الأمور يُمكننا أن نُسميه إلهاً. في أبَدية وفي مُطلق حبس الكائنات داخل الزّمن إلى الأبَد، الإلهُ هو الاسم الأكثرُ مُلاءمة للفراغ وللكُل. يَتجاوزنا الفَراغ والكل أبعَد من أنْ نَستطيع الكلام عنهم. لا نُتحدثُ عن الإله ونَحن مُندفعون في الزّمن. يمكننا أن نُكلم الإله، لا أن نَتكلم عنه. وأن نحبه في صَمت ونتضرّع له بلا جَدوى.

لا يُمكننا التحدث عَنه لأنّه غير موجود ويَختلط بالكُل الذي يَختلط بالفَراغ. في المَكان والزّمن، ليس هناك غير الكائنات ولا وُجود للإله لأنه أبَدي.

وَحدهَا الأبَديّة، في الفراغ الذي كان كُلّ شيء، كان يوسعها البَقاء إنْ لم يَكن دائماً، فإلى الأبَد. ليس هناك لَغزٌ غير لَغز الجُذور. لا أحد - ولا حتى أنا الذي أملك الجَسارة لادخلكم تَاريخ الكُل الطَّويل - يستطيع أن يَعرف لم انبثق الزّمن عن الأبديّة ولا لم يَتحوّل الفراغ إلى الكُل.

في لَحظات مَجدنا أو يَأسنا، لا نُفكر بغير أن الكُلّ ما هُو إلّا فَراغ. هو ما يَتبقّى في كُلّنا من آثار هذا الفراغ الذي يَخرج منه. «خلقَ الإله العَالم من الفراغ، كتَب بول فاليري، لكن الفراغ يَجرحُ». أكثر امتلاءً بالفرح والشّقاء، بالمُعاناة، بالأمَل. كُلّنا وَمع أنهُ ما نَحيا فيه كُلّ أيام حَياتنا، فقد خرج من الفراغ. لَمّا خَلّفَ الارتبَاك الأوّل الاختِلاف بينَ الفراغ والكُل.

إلام ننتَمي كُلّنا، أنتَ، أنا، الشمس، والقمر، والنّجوم في السّماء والأرضُ وسُكانها، أفكارنا وشغَفنا؟ ننتمي إلى الكُل. وفي كُلّنا على الأقل، الفراغ لا شيء، لأنه غيرُ موجود: الكائن موجود؛ الفراغ لا. هو هذا العُبور من الكائن إلى الكائنات ومن الفراغ إلى الكُل ما يَطوي اللّغز الفريد. لِمَ هُناك شيء ما مكان الفراغ؟ لا يمكن أن نَشرحه. نحن -أنت و أنا - من نَنتمي إلى المكان وإلى الزّمن، وليس لنا الحقّ في الإفلات منهمَا. ولا يمكننا أن نَعرف شيئاً، عن الفراغ الأبدي والكائن المُطلق.

4- السِّر

مَحبوسُون في الزّمن، في التَّاريخ، في حَياتنا، في العالم، لنا الحقّ، مع الشّك وفي الغُموض، بتَخيل ما كان من قَبلُ وما سيكون من بعدُ. ولا يُمكننا التّحدث عنه بوضُوح ولا بإثبَات. بالنسبة إلينا نحن النّائهُون، يبدُو الكَون، الزّمن، التاريخ، ومعنى حياتنا كَسِرّ.

كل سِر يحتَمل حقيقة مُخباة وخَفيّة. وَريثة لقوى سحرية كثيرة، ومِنْ ثَمّ لِحشد الهَة وإله من سُلالة مُعقّدة.

لزَمن طويل كان الإلهُ مَالك هذه الحقيقة الخَفية وكَفيلها. لكن الكثير يتساءل، ومنذُ قرن أو اثنين - وحتى قبلَ، على الأقل بعدد كبير- إن كان موجوداً. يؤكد الكثير بلى.

مَساسٌ بالإله أن تَشهدَ على سِرّ في الكَون.

* جان دورميسون (1925- 2017) كاتب، إعلامي وأكاديمي فرنسي ولد في باريس لعائلة معروفة شغلت مناصب دبلوماسية وإدارية مرموقة. درس التاريخ والفلسفة واللغة اليونانية القديمة نشرت أعماله ضمن سلسلة «لابلياد» La Pléiade الخالدة التي تصدرها «دار غاليمار». تتميز كتاباته ببعدها الفلسفي، فهو يقترب من سؤال الوجود الجوهري ليأخذه في كل الاتجاهات محاولاً طرح الأسئلة أكثر من البحث عن أجوبة، مع اهتمام عميق باللغة التي تحمل بحد ذاتها فلسفتها الخاصة كما اعتبر. لا يُقرأ دورميسون دُفعةً واحدةً لكثافة المعنى وعمق اللغة. شكل علامة مميزة في الأدب الفرنسي الحديث، وبإصداراته الغزيرة التي قاربت الأربعين من بينها: «الحب متعة» (1956)، «أقول رغم كل شيء أن هذه الحياة جميلة» (2016)، «اليهودي التائه» (1991) . النصوص المتُرجمة مستلّة من كتابيه «تقريباً كل شيء عن لا شيء» (1996) و«دليل الضالين» (2016).

قصائد

لا وجه لي

مفتاح العلواني*

1- مقاومة

لستُ برِفقتك..
يقول الوقتُ.. ثم يخلفني وراءهُ
مثل ساعةٍ متأخرة.
لستُ هنا..
يقول المكانُ.. ثم يتركُني
مثل فضاءٍ شاسع.

أنت عالقٌ..
تقولُ الحياة ثم تُواصل قطعَ
ما تشابك من أيامي.

من هنا..
تهمسُ السبيل في كل مرة..
ثم يغادرني وحيداً مثل بائعاتِ
الهوى.

التفت قليلاً..
تصرخُ النداءاتُ البعيدة
بذاكرتي
ولا أرى أحداً.

نم..
يقولُ الليل.. ثم أغطّ في
سهرٍ عميق.

اركض..
تردّد النهاياتُ القريبة.. ثم
تستحيلُ
أفقاً آخر.

لن أسقط..
قلتُ وتوسّدتُ رمحي..
أتأمل عيونَ كل الذين ينتظرون
بلْعابٍ غزير.

2- خارج النص

أريد أن أبكي داخل
النص..
اكتب دموعاً كثيرةً
تحجب الطريق..
اكتب أبيضاً غصةً يابسةً
وصراخاً مالحاً..
ويدين تحاولان القبض
على الحزن برعشةٍ
قديمة..
اكتب ركضاً لا يتوقف
وأوجاعاً تشبه كل شيءٍ قبيح
ولا تشبهني..
وأزقةً ضيقةً للهروب مني
أملأ السطر بدماء لم تتحثّر
منذ زمن..
وكلاماً بهت لونه
قبل أن يُقال..
اكتب شفاهاً خائفةً من
حرفٍ حاد..
وأياماً لا أعرف كيف
سقطت من جراب العمر
وابتعدت وهي تنبح..
ومواعيد لم أتأخر عنها لكنني
لم أجد أحداً..
وحشرجةً تسدّ فم الروح عن
تنهيدةٍ يافعة..
أن أصرخ فيخرج متعفناً..
أركب على ظهر الليالي الطويلة
مثل
طفل... وتوقعني بقوة عند
أقدام الصباحات..
أريد أن أبكي داخل
النص أرجوكم..
لكنني لا أعرف.. لا أعرف سوى
البكاء خارج النص.

3- بلا قصد.

أنا لا أقصد..
أقولها كثيراً ثم أرتكب
أثاماً بقصد مبالغٍ
فيه..
أنا لا أقصد
أصرخ بها... ثم أدهس
الوقت بقدم لا تفرق بين
يوم جديدٍ وآخر سيء..

لا اقصد حقاً
أقولها كلما وصلتُ متأخراً..
وفي كل مرة يشدني
ظلي من ياقتي كي لا أصل.

لا أقصد شيئاً
أنا فقط أمرّن القلب على حمل
أوزان ثقيلةٍ من الأيام..
والركض بين شوارع الفكرة
العتيقة..
أحاول مسح ظهر الحزن
المسعور
كي لا يعضني..
أسحب الكلام من داخلي قبل
أن أصرخ فيخرج متعفناً..
أركب على ظهر الليالي الطويلة
مثل
طفل... وتوقعني بقوة عند
أقدام الصباحات..
وربما تكلمتُ كثيراً فقط
لأجد مخرج طوارئ صوب
صمت طويل..
يشبه الأمر ركضاً متواصلاً
لتنجو..

لا أقصد..
تخرج مني لزجةً تلتصق
بفمي..
لكنني أقذفها بقصد
كاعتذار عن سوء فهمي للفرح
وهو يحاول مواساتي بفمٍ
أدرد..

إنني فقط
أحاول إعادة الأشياء
لأماكنها فتهرب في كل مرة
مذعورةً من صراخي.

البرابيك ايكبيترسوت ــ «غريب» (اكريليك وقحم على ورق ــ 44,5 × 31,8 سنتم ــ 2023)

4- أصل

أنا طينة الجواب
اليابسة..
تبللني الحياة بمائها
الآسن..
وتلوكني الأفواه الفارغة
من الكلام..
تمنحني الأيام
للسائلين والمتشككين
والمليئين بالظن..
يخزنونني في ذاكرة الأطفال
مثل أناشيد الوطن..
ويضيعونني بين أزقة
الحوارات العقيمة..
أنا طينة الأجوبة الهشة..
يحولني الفرقى لقشةٍ
على الشاطئ..
ويحملني الدراويش على
ظهورهم الحدباء كنبوءات..
ويسعلني الخائفون من
تخمةِ القلب..
أقف على أطراف الألسن
وأرجع برعشة..
ألمع مثل لؤلؤة في
بحر الذاكرة الهائجة..
أنا طينة الجواب
الغاضبة..
أغلقُ باب الروح عن الصائلين
وأوقفُ الأسئلة القميئة
عند حدّها..
لا وجه لي..
لكنني أمنح الكلام ألف وجه
وأنير دربَ التائهين في
البلاد الغريبة.

* ليبيا

قلبي الهش كبرتقالة المغيب

رنيم ضاهر*

1-ليدي ديانا

قلبي كصوتك مكسور
كلما سرنا
في حديقة القصر
تلاحقنا أشباح عرجاء
عدساتٌ خبيثة
وألسن تحيك المؤامرات
بلكنة إنكليزية ركيكة

تمثالُك تثاءب
من شدّة الظهور
ولأنه لا يُجيد الهرب
بكعب عال
وتنورة ضيّقة
التهمك البئر قبلي

ديانا

لا أملك البشرة المنشاة
بل النظرة الهاربة
وموعدٌ مع حادث موت
قريب ومُدبر
أميرة القلوب
الحجر الذي أعاق سيرك
هو نفسه اعترض طريقي
ولأنه قُدر لي أن أكتب الشعر
سبقتك إلى الجنة

2- أخيرا أمي

أين صورتي الشمسية بالأبيض
والأسود
بشعر مشدود وأذنين بارزتين
كأرنب يشم الخضار؟
أين معطفك الأزرق الذي تسبح
فيه الأسماك؟
أين أبي لأخبره أنني كنت أغار
منه
حين تذهبان لتسوق أشياء لا
تعنّيني
كنت أبكي ولكن الجدران كانت
حمقاء
كنت أشم الوسادة ولا أنام
أين الحذاء الأحمر العالي
الذي كنت أقيسه بنظراتي
وأتسلقه لأصل إلى عطرك؟
أين أنا؟ أين خطواتي على الثلج؟
وبكائي في المرآة السوداء ذات
المساحيق الغريبة؟
أين قرينك المختبئ خلف
الأبواب؟
أين لونك الغامق كليلة مثلجة؟
كيف أصفه وأنا تائهة في زقاق
ستحتسيه النافذة حين يرشقها
شبان الحي
بنظرات شبقة وعطور رخيصة

3-المرأة الثالثة

أكتب لأصير امرأة ثالثة
قلبها أضعف من عطري
تسند الباب حين يسعل بقوة
تضع أوتاداً للغربان
كي تشبه الحياة
وتخيط لغرفتها ثياباً لا تصدأ
أمرن الثانية على الانحناء
للمراكب
ومكانس الليل الرمادية
الأولى أتركها تُخطئ
متخطية ساعات الرمل ورائحة الأب
حين تنتحر شاعرة
كل كلمة في هذا النص
ستتشتت كبحيرة باتجاهات
عديدة
لتبتلع ما أمكن من الحبوب
المهدئة

4- العالم بالبيجاما

لا أستطيع أن أرى العالم
إلّا من ثقب إبرة
يرتدي بيجاما
ليشاهد الأقمار الاصطناعية
يحضر مكونات التارت
بينما نظراته تقطف التوت
البريّ
من الحديقة
تُطعم البط الجائع
وعلى طريقها تُخلص
ثوباً عالقاً في الفخ
تورم عقله من سرعة الأحلام
التي تُنتجها كاميرات المؤثرين
لا يستطيع احتساء ضوء القمر
أو التعري في خزانته
يا إلهي لماذا تركتني وحيدة
الحياة تافهة جداً
أستطيع تسديد طابة البيسبول
في عينها
دون أن تلتفت للفاعل
أستطيع الوصول إلى قلبها في
دقائق
والخروج من خلال عملية
قيصرية معقدة

5- La bohème

طاف رأسي بالخمور الرخيصة
للبوهيميين
وإسعاداتهم الضعيفة عن
تصدع العالم
داخل لفافة حشيش
مشيدة كالسموات السبع

غرفتي لا تسع أغراضهم
وصوتك
المائدة تتحرك تلقائياً
كجزء من خربشة لفيلم ثلاثي
الأبعاد
الشراشف غدت ممراً لمضمون
دون جسد
الشرفة تود لو تطل على
هواماتهم
مغيّرة موقعها تبعاً
لحالة الجدران المُسترخية
وقلبي الهش
كبرتقالة المغيب
وحدس الأطفال بالحب المجرد
يود أن تأخذه الموسيقى في
إجازة
إلى حيث لا مكان
ولا جدران تحدد الأفق
نحو نعاس مبلل باليوغا
وقادر على ابتلاع الفن
كحبوب الهلوسة

* لبنان

باتريك دومارشوليبيه ــ «الأميرة ديانا» (طباعة فضية من الجيلاتين بلون السيلينيوم ــ 61 × 50,8 سنتم ــ لندن عام 1990)

سيرة

عفاف محفوظ: أحوال مصر السياسية في القرن العشرين

أحمد فوزي

تحتل كتابة السير الذاتية مكانةً خاصة في الأدب العربي والأجنبي، ربما لأنها في إطار الحكي عن شخص ما وحياته، حيث تتداعى وتتشابك الأفكار مع آخرين عاصروه أو تعامل معهم، أو يحدث أن يعلّق صاحب المذكرات على أحداث محددة. ليجد القارئ نفسه أمام خلاصة عصور عدة، وشذرات من الآراء حول هذا أو ذاك. في دولة مثل مصر، تكون هذه السير الذاتية بمثابة الضوء الذي يجعلنا ننظر إلى الخلف بشكل أوضح، حيث ينير ويكشف ما هو ليس دائماً محلاً للمعرفة.

يقدم كتاب «من الخوف إلى الحرية... رحلة امرأة مصرية من الصعيد إلى ما وراء المحيط» (الكتب خان ـ القاهرة)، سيرة المحللة النفسية المصرية عفاف محفوظ (1938 ـ 2023) التي هاجرت من مصر، ودرست في باريس وعملت في نيويورك لسنوات طويلة، حتى انتقلت إلى فلوريدا وتوفيت هناك قبل أشهر.

حكت عفاف قصتها في جلسات منتظمة استغرقت عامين مع خالد منصور، الكاتب والروائي المصري، كما يحكي هو ذاته في نهاية العمل الذي تولّى تحريره. ورغم أن منصور يقول إنّ الكتاب بعيد عن أن يكون «عن تاريخ مصر أو البلدان التي عاشت فيها (عفاف محفوظ)... وما جرى من تطورات سياسية واجتماعية»، إلا أنه شكّل إطلالةً -وإن لم تكن معمقة- على مصر في مصر»، كما تستطرد منصور في حديثها عن فترة انتقالها إلى فرنسا قرابة عام 1959، عقب العدوان الثلاثي بسنوات (1956). فترة شهدت تحرر عفاف محفوظ الفكري وتعرفها إلى ثقافات أخرى أثرت كثيراً في حياتها، شخصيات بارزة في تاريخ مصر، كانوا زملاء لها أو تقاطعت حياتها معهم في باريس وواشنطن ونيويورك.

تستعرض السيرة وجهاً خفياً لكبار رجال مصر، فابن عم والد عفاف محفوظ هو حسين سري (1894-1960) رئيس وزراء مصر في ما بعد، والزميل الذي كان يأخذ درساً للرياضيات عند مدرّسها في المنيا عبد الحكيم عامر صديق عبد الناصر وأحد أسباب هزيمة مصر في 1967، ثم يمر في حياة محفوظ مشاهير آخرون، أمثال صوفي أبو طالب الذي تولى رئاسة الجمهورية لأيام عدة بعد مقتل السادات، وأحمد فتحي سرور مستشار مصر الثقافي في فرنسا وأشهر رئيس لبرلمانات حسني مبارك، والكاتب الراحل أحمد بهاء الدين، وبطرس غالي، الأمين العام السابق للأمم المتحدة، الذي عرض على الراحلة أن تصبح وزيرة للإعلام، وحين رفضت قال لها: «أنتم اليساريون كده تنتقدوا وتنتقدوا بس لما نقول لكم تعالوا ترفضوا».

مشاعر الفقد والقهر والمقاومة تملأ الكتاب، فقد جربتها عفاف محفوظ صغيرة: «ذقت معنى الفقد والموت حيث توفي شقيقي عادل عقب أشهر من مولده، ولم تعش شقيقتي هنا سوى عامين فقط». حين سافرت إلى فرنسا في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، تم تسجيلها في الجامعة باسم عفاف الشقيري أي عائلة زوجها. حتى ممارسة «لم تكن سارية قانونية في مصر»، كما تستطرد منصور في حديثها عن فترة انتقالها إلى فرنسا قرابة عام 1959، عقب العدوان الثلاثي بسنوات (1956). فترة شهدت تحرر عفاف محفوظ الفكري وتعرفها إلى ثقافات أخرى أثرت كثيراً في حياتها، ومقاومتها لأشياء كثيرة لسنوات هناك حتى إعدادها رسالة دكتوراه عن النظام السياسي المصري وقتها، وقدرتها على دراسة التحليل النفسي في أحد معاهده الشهيرة في نيويورك وبصعوبة بالغة.

منذ البداية، يأخذك الكتاب إلى وضع المرأة المصرية ما قبل ولادة بطلة السيرة وبعدها، فلا تكمل النساء تعليمهن بسهولة، كما يمكن أن يضيع ميراثهن أيضاً (أمر ما زال شائعاً حتى الآن)، وإنجابهن خارج إطار الزواج وخصوصاً الخادمات، وسط أجواء محافظة ومتزمّتة تمنع حتى إطلاق اسم «ليلى» على بطلة هذه السيرة خشية من الربط بينها واسم الممثلة والمطربة ليلى مراد!

طوال قراءة الكتاب، تنقلنا سطوره إلى كيفية تأثير الأحداث السياسية على المجتمع من خلال حياة عفاف محفوظ فتقول منصور في الفصل الثاني من الكتاب بعنوان «سنوات الإسكندرية» حيث انتقلت (1953) للدراسة في جامعة الإسكندرية: «في المنيا، حيث البيئة محافظة أكثر، كنت متمردة فكرياً». وفي الإسكندرية الأكثر انفتاحاً، صرت محافظة دينية». وهنا تعرّج السيرة على تأثيرات جماعة الإخوان المسلمين على المجتمع المصري المنفتح في ذلك الوقت، حيث صارت النساء بسببهم يبتعدن عن ارتداء التنانير القصيرة والذهاب إلى الصالات السينمائية وزاد ارتداء الحجاب والامتناع عن ارتياد البحر إلا في أوقات بعينها، ثم الرقابة المستمرة من الرجال على السيدات.

وعبرت السيرة الذاتية لمحفوظ عن حالة المصريين تجاه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فتنتقد عفاف سياساته لكنها تحزن على وفاته، وتعيش الحداد عليه «لأنه كان أول مصري يحكم بلادنا بعد قرون طويلة»، وقد رفضت محفوظ العمل في «الأهرام» مفضلة التدريس في جامعة حلوان، ثم عملت في السلك الدبلوماسي وصاحبت جيهان السادات في جولاتها في واشنطن حيث كان يسافر السادات كثيراً.

يقدم خالد منصور -الذي اختار بعناية عناوين فصول الكتاب- شهادات من سيدات مصريات حول كتاب «من الخوف إلى الحرية» مثل الطبيبة النفسية، عايدة سيف الدولة، والأكاديمية في جامعة القاهرة، هدى الصدة، وآخريات، علّقن على المذكرات أو تحدّثن عن علاقتهن ببطلة السيرة.

يجيب الكتاب ككل عن سؤال يأتي على لسان عفاف محفوظ منذ البداية «لا أعرف: هل تستحق حياتي أن أكتب عنها كتاباً أم لا؟ حياتي عادية، فلماذا أكتب عنها كتاباً؟». لو لم تقرر محفوظ أن تحكي لخالد منصور مشوارها من صعيد مصر وحتى نيويورك وشواطئ فلوريدا لكان القارئ قد خسر كثيراً.

تعرّج على تأثيرات الإخوان على المجتمع المنفتح في ذلك الوقت

رواية

بيتر هاندكه مشرّحاً فقدان الأمّ

فدوى العبود

ينشغل الروائي النمسوي بيتر هاندكه (1942)، الحائز «نوبل للآداب» 2019 في مجمل أعماله بتفحّص خصوصيّة التجربة الأدبيّة في علاقتها بالذاكرة. ينشغلُ مؤلّف «عن التعب» و«خوف حارس المرمى من ضربة الجزاء»؛ بتشريح الفقد الذي سبّبه موت والدته.

في روايته «حزن غير محتمل» (دار العربي- القاهرة) التي عرّبتها هبة شريف، يتحوّل الفزع إلى صورة بصرية: «لم أكن أكتب عن التجربة نفسها كما عشتها، وإنّما كانت التجربة تتغير من خلال كتابتي عنها»، متمثّلاً شاتوبريان الذي يعتقد أننا «إذا لم نسجل في المساء أحداث الصباح، لن يكون لنا وقت لتدارك ما فاتنا». سيقوم ـ بعد ستة أسابيع ـ باستعادة صورة الأم من خلال تصوير المخاوف التي أثارها انتحارها بجرعةٍ من الحبوب المنوّمة وبتحويل عالم شبابها إلى صور مرئيّة، مُمتحِناً المسافة بين اللغة وما تعكسه، بدوْن الشذرات والرسائل القصيرة التي كانت تكتبها لأخيها في الجبهة، وتعليقاتها على حياتها، لاكتشاف العالم الذي شكّل وعي الأم، فيما يستغرق في الثلث الأوّل من الرواية، بتفسير المخاوف التي سبّبها غيابها، لشرح أولى مراحل هذا التبدّد العاطفيّ؛ الذي ظهر عبر ردود فعل الجسد إزاء المحنة (نوبات البرد غير المفهومة التي يشعر بها، نسيانُ الأشياء في يده، تساقطُ الأغراض أحياناً أخرى، الملل تجنب التحدث عنها والرغبة بإسكات الآخرين؛ فراغ الوعي والمه).

يتحوّل هذا التبدّد إلى رغبة في الكتابة ووعي بالعجز في آن «والاحتياج لأن أعبّر عن هذا العجز». لذلك يبحث هاندكه، عن المفردة والعبارة المثلى للإمساك بهذه الحياة المفقودة؛ وأثناء ذلك يعبّر عن مخاوفه من أن يمسّ بواقعيّة غيابها ويجعله مجرّد خيال: «كان يوماً مشمساً، شربنا في ذلك اليوم حساء الكبد، في ذلك اليوم بدأ كل شيء. أصبح كل شيء مجرّد قصة خيالية بحتة». هكذا تتكشف عند صاحب «رسالة قصيرة للوداع» كل الانفعالات البشرية، وتتبلور في سلوك أو حركة جسدية أو رد فعل بسيط كتحريك يد أو إيماءة؛ تجعل القارئ يبحث في ما تتركه هذه الصور من معنى. بذكّرنا هذا بأسلوب الروائية الفرنسية نتالي ساروت التي تقدم انفعالات الشخصيّات باعتبارها دالّة على الداخل، بينما يدفع هاندكه بالأسلوب خطوةً إلى الأمام ليصبح الانفعال الفرديّ مؤشراً إلى العالم الموضوعيّ خارج الذات وداخلها.

يصور الأم، تلك الريفية الطامحة والشغوفة بالحياة، التي تنتمي إلى أسرة فقيرة وعصاميّة عرفت معنى التملك بعد إلغاء العبودية. لكن الرغبة بالاستقلال والحرية تعني المزيد من التملك، وهذا يعني المزيد من الادخار. هذا الشعور الذي انتقل من الجدّ لأولاده، يعني ألا تكون لهم رغبات.

في هذه الظروف عاشت والدته، وشهدت في شبابها الحرب العالمية الثانية، وغزو النمسا للنمسا، وفقدان المدخرات: «أن تولد امرأة في هذه الظروف، يعني أنه محكوم عليها بالموت منذ البداية». وسط كل ذلك، تبرز صورة الأم الشابة بفساتين براقة وقصيرة، احتفالات، ورقص، بهجة الشباب، الزوج، والمسؤوليات، الأولاد ورعب صفارات الإنذار، الخجل من الضحك الذي كانت تُلام عليه وهي طفلة: «هكذا حياة الإنسان منّا، يشعر أنّه حر، إلا أنه لم يكن يستطيع الخروج بهذا الشعور للعالم». وهناك عنف الزوج، واعتقادها بأنّه ليس من حقّها الاستمتاع بشيء: «كانت تأكل بقايا الحلوى من يد الأطفال». ارتعاشة القرف في ذقنها وخدّيها حين تحكي عن بؤسها متجسّداً في طاسة «للتبول والأكل في آن». لعله سرّ الانكسار الذي لازمها، كأنه يبحث خلف يديها التي تحتضن حبوب المنوّم (عن الشقاء والحرمان والرغبات المهدورة) في وسطٍ تُوقعُ الجماعة فيه بالفرد أشدّ الضرر ثم يتولى الآخير إيقاع الأذى على نفسه.

في المراحل الأخيرة في حياة الأم، يتطور المرض العصبي ويتحول إلى سلوك قهري «تمشي حتى الغياب، ثم تجلس لوقت طويل صامتة فوق مقعد».

إنّ العقبة التي واجهت صاحب «عن التعب» على مدى الرواية تتمثل في «أن صياغة الحقائق يجعلنا نتماثل معها «الرسولة»، فرمى بأبطاله بين حقولها ووديانها، وسرد حكايات القرى ودواوينها بين سطور روايته، ولوْن تارة فاراً من مصح عقلي، طوراً لاجئاً إلى السمكة السوداء»، و«وهم الأنا» و«أسمر»، اختار الكاتب أبطاله من رحم المدينة: من أزقّة الشياح، وزواريب بيروت، ومقاهي الحمرا وصفاً وسرداً، بينما تأتي «الرسولة» من دروب القرية، بالقتل إن لم يعترف بمكان محفظة النقود، ليستيقظ في منزل ساعي البريد وبمحاذاته كيس رسائل ودرّاجة سوداء، يركب مقعد الدراجة كطفل وجد لعبة مسلّية، فينزلق في غضون أيام معدودة في حفرة الحبّ والتيه، بين حقول «تل العنبر».

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّه في رواياته السابقة «ذاكرة هافانا»، و«يوري عالم النبوؤات. يغطي رأسها وجذعها وشاح أحمر لا يتبين منه شعرها بسواده الأبنوسي إلا في خصلات قليلة. وتتجلى أمام ناظريك «وسن» كما وصفها الكاتب بين سطور روايته بكل غجريتها وعفويتها، الأنثى التي تعتنق العزلة، وتزاول مهنة صناعة الأجبان والألبان وبيعها وتسويقها بسيارتها «البيك آب» إلى مطاعم «تل العنبر» والقرى المجاورة نهاراً، لتعود ليلاً إلى منزلها، فتشعل نيران موقدها وترمي البخور في فضاء الغرفة من أجل ممارسة السحر وقراءة الطالع وكشف المستور، تلك الصنعة التي ورثتها عن والدتها بعدما توارثتها العائلة جيلاً إثر جيل. تلفتك أيضاً في البدايات استثنائيّة الإهداء من رمزيته السيميائيّة، حيث مرّ الكاتب بقلمه على قبور العظماء وأجمل ما سطرت أقلامهم، فألقى التحية بحبر مفتون بعبق البخور المشتعل فوق أضرحتهم، من دون أن ينسى الكاتبة اللبنانية ليلى بعلبكي التي أحيا سيرتها ورمزيّة أدبها «المرجوم»، بين سطوره في مدوّنات تقريريّة كتبها عن معاناتها والإساءة التي تعرّضت لها، ما أدّى بها إلى اعتزال الكتابة.

بانتقالك بين فصول الرواية، تقف في بعض المعينة لئوان قليلة، لتعيد القراءة مرّات ومرّات متأملاً الميثولوجيا النفسيّة والاجتماعيّة التي تتضمّنها الأحداث، وقد تعترضك بعض التساؤلات: هل الرواية مجرد أحلام وسنيّة، أم أنّها سبك للواقع ببعض الغرائبيّة، أم مراجعات نفسيّة تغوص في مستنقعات النفس البشريّة وتناقضاتها؟.

في النصف الأوّل نبحر في متاهات «أسمر»، فنجده هارباً من نفسه ليعيش طوال الأحداث باحثاً عن آناء القائمة، إلى منزل شقيق صهره المهاجر إلى النروج، ليخبّئ بين جدران منزله من تلك العصابة التي قتلت زوجته أمام عينيه بطلقتين في دماغها، وهددته بالقتل إن لم يعترف بمكان محفظة النقود، ليستيقظ في منزل ساعي البريد وبمحاذاته كيس رسائل ودرّاجة سوداء، يركب مقعد الدراجة كطفل وجد لعبة مسلّية، فينزلق في غضون أيام معدودة في حفرة الحبّ والتيه، بين حقول «تل العنبر».

يتحوّل الفزع هنا إلى صورة بصرية

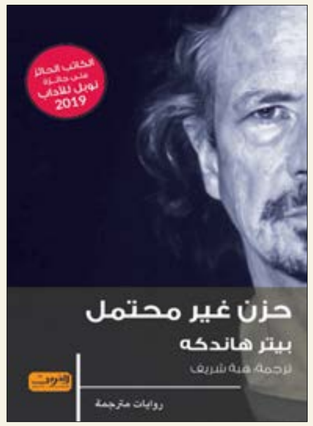

لمحات

اوليفييه روا

يُؤكد الكاتب والمفكر الفرنسي أوليفييه روا في كتابه «تسطيح العالم... أزمة الثقافة وسطوة القواعد والمعايير» (2022) الصادر حديثاً عن «دار الساقي» (ترجمة بديعة بولبلة) أنّ العولمة والنيوليبرالية والفردية والتكنولوجيا الحديثة تُشكّل خطراً على مفهوم الثقافة نفسه. يعتقد الباحث أنّ العديد من المواضيع ترتبط ببعضها في عالمنا المعاصر، فنجد مثلاً مفهوم الهويّات المحلية مقابل النزعة الكونية، والجندرة مقابل الجنس، والجمهورية مقابل الجماعوية، والعنصرية مقابل التسامح، والنسوية مقابل النزعة الذكورية، والهجرة مقابل التمركز المحلي. تحمل هذه المواضيع تأثيرات سياسية قوية، لكن روا يُشكّك في فكرة وجود حرب ثقافية أو صراع قيَم. من وجهة نظره، ما يعانيه العالم اليوم هو تضييق مفهوم الثقافة نفسه، و اختزاله بمجموعة من الرموز المعينة التي تستولي على المدارس والجامعات والمطابخ، وتتسلل إلى معارك الهويّات والديانات، وتصبح حتى مشاعرنا محدودة برموز تعبيرية. يقدّم روا تحليلاً شاملاً لمسألة التجريد الثقافي العالمي، مستعرضاً آلياته وتأثيراته المتضاربة.

حنين الصايغ

تُحاول حنين الصايغ في روايتها «ميثاق النساء» (دار الآداب) الغوص في المجتمع الدرزي المعاصر وتفكيكه اجتماعياً ودينياً وأسطورياً. تعيش بطلة الرواية أمل بو نمر حياة محدودة بين أسوار الخوف والعجز، في قريتها الدرزية الساكنة على سفوح جبال لبنان، وتتهرب من واقعها المُملّ والسطحي من خلال توجهها نحو التدين والعزلة. يُسمك الأب، الذي يمثل فئة المشايخ ويُزاول حرفة الحدادة ببراعة، بزمام الأمور داخل دائرة الأسرة، حيث تتحوّل مطرقته إلى وسيلة لتشكيل مستقبل بناته الأربع وتوجيه خياراتهن وفقاً لخيوط عالمه المحدود. يتعارض التزام والدَي أمل بالعقائد الدينية مع رغبتها في إكمال دراستها والحصول على شهادة في الجامعة الأميركية في بيروت. هنا، تنبثق تساؤلات حياتية معقدة ومتشابكة، تحتاج أمل إلى مواجهتها بشجاعة واتخاذ القرار المناسب. «ميثاق النساء» رواية عن الحرية بمعناها الأكبر، وعن الأمومة كورطة وفرصة، وعن الحبّ الذي يتخطّى الحدود الجغرافية والدينية والثقافية.

عبد الحسن الحسيني

يتناول عبد الحسن الحسيني في الجزء الأول من كتابه «مستقبل البشرية» (الدار العربية للعلوم ناشرون) موضوع نشأة الوجود وظهور الحياة الإنسانية. يشرح الباحث اللبناني بإسهاب عن ماضي البشرية وتاريخ تطورها وصولاً إلى المستقبل. يقول إنّ البشرية نشأت من العدم عبر مسار طويل ملي، بالألغاز والقوانين الفيزيائية والتفاعلات الكيميائية، أدّى إلى تشكيل الكون والمادة والطاقة والزمن، ومهّد لانبثاق ظروف حياة مناسبة للإنسان على الأرض. مع الوقت، تغيّرت الحياة وتطوّرت الهياكل العضوية والعقل، وتشكّلت تجمعات بشرية. يتحدث الكاتب أيضاً عن صراعات البشرية منذ بدء الخليقة بين الخير والشر، والتطورات الثقافية والدينية والسياسية. ويُشدّد على ضرورة استخدام العقل لتوجيه الاعتقادات والأفكار لخدمة الإنسانية بعيداً من العنصرية والتعصب الأعمى. وأخيراً، يُؤكد أنّ تطلعات الإنسان نحو العظمة وتجاوز القيود والسعي للحصول على قدرات استثنائية بواسطة الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الحديثة قد تُهدّد البشرية بأجمعها.

نجاة عبد الصمد

تنغمس رواية «خيط البندول» (دار هاشيت نوفل) للكاتبة السورية نجاة عبد الصمد إلى ثلاثة أجزاء تُغطي فترات زمنية مختلفة. تبدأ الرواية بتقديم الشخصيات، حيث يتخرج أسامة كطبيب بتشجيع من زوجته نداء، ويعيشان حياة هادئة ومستقرة في بلدة زعفران السورية. لكن لا تلبث أن تتدهور أوضاعهما بعد عودة أسامة من الخدمة العسكرية واكتشاف نداء أنها لا تستطيع الإنجاب. وهنا تبدأ رحلة نداء في سبيل الحصول على الحمل عبر طرق طبية حديثة لتحقيق حلمها بالأمومة من دون جدوى. تُضيء الرواية أيضاً على مجموعة أخرى من الشخصيات الجانبية، مثل أدهم وفريدة ووردة وترصد تجاربهم المختلفة وتأثيرهم على حياة الشخصيات الرئيسية. تدمج الكاتبة موضوعات الطب والحب والحياة اليومية في قالب واحد، ما يعكس تعددية الأوجه في الحياة وتعقيداتها المختلفة. «خيط البندول» تبحث في مفهوم الحياة والموت، وتُوغل في تفاصيل المجتمع السوري، بارتكازها إلى حبكة سردية تبيّن الفروقات الاجتماعية بين الطبقات في سوريا منذ التسعينيات حتى أيامنا هذه.

أريج السويلم

لا تزال السعادة غاية الإنسان مهما امتد الزمن، والحنين إلى السعادة التي عاشها آدم وحواء، في الجنة قبل أن يتناولا من الشجرة المحرمة ويهبطا إلى الأرض لا يزال حاضراً في مخيلة البشر. منذ تلك اللحظة التي لا تُنسى، أصبح السعي للحياة السعيدة جزءاً لا يتجزأ من الوجود اليومي للإنسان. من هنا أتت دراسة الكاتبة والأكاديمية السعودية أريج السويلم «السعادة في المُتخيّل الأدبي» الصادرة عن «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» لتسائل مفهوم السعادة، في محاولة لاستشفاف تصوّر للهناء والسرور في المتخيّل الأدبي، وضبط أصوله وأسسه؛ لفهم الآليات والمُضمرات والرموز ووظائفها، فقد اهتم بتحليل النصوص المختلفة سواء كانت نثرية أم شعرية، بهدف تبيان صورة البطل والكشف عن مكنوناتها. يتضمن الكتاب مقدمة، ومدخلاً، وفصلين موسَّعين، وخاتمة. يتناول المدخل تحديد مصطلحات البحث حول أدب الأطفال عامّة وأدب الأطفال في الداخل الفلسطيني واتجاهاته. تختم الباحثة دراستها بالنتائج التي توصلت إليها، ومن أهمها الدور الذي تلعبه قصة الأطفال في تنمية وتثبيت الانتماء الوطني، وتعميق الهوية السياسية المقاومة لدى الطفل.

وصولاً إلى الكيفيّة التي تعمل بها هذه النصوص في تكوين السعادة، قيمة ومعنى ورمزاً. تلجأ الباحثة إلى تفكيك خطاب السعادة في نماذج من النثر العربي القديم، والنظر في خصائص ذلك الخطاب وكيفية تشكّله، وتحليل اللغة الواصفة التي يُبلورها خطاب السعادة، رموزاً وأيقونات، والبحث في المنطق الذي يحكم العيش السعيد.

وفاء شاهر داري

يهدف «صورة البطل في قصص أطفال فلسطين» للناقدة والأكاديمية الفلسطينية وفاء شاهر داري (مؤسسة شمس للنشر والإعلام) إلى إلقاء الضوء على النِتاج الأدبي الذي خطَّته أقلام الكُتّاب الفلسطينيين ممن كتبوا عن أدب الطفل، وصوَّروا حياة الطفل الفلسطيني في الهجرة والتشرد، ومعاناته تحت الاحتلال، والآثار المترتبة عن ذلك من سجن وشهادة وفقر وحرمان. تبحث هذه الدراسة في جانبين: نظري وتطبيقي، فالنظري تناول تطور أدب الأطفال العربي في السنوات الأخيرة، أما التطبيقي

عبد الحليم حمّود يغوص في عتمة النفس البشرية

هبة قطيش

يستكمل عبد الحليم حمّود في روايته التاسعة «الرسولة» (دار زمكان) غوصه في أعماق الذات الإنسانيّة، نحو أبعد النّقاط المعتمة في النّفس، من دون التورّط في الشرح البرّاني، أو الاتكاء على المصطلحات التي تجعل من فصول الرواية عنابر مصحات نفسيّة. تنطلق الحكاية من «أسر» الزوج المسلوب القرار والإرادة، الغائب عن وعي ذاته المتشظية، وصولاً إلى «جبران الحرشي» ساعي البريد الذي حُرم من الحبّ، فوقع أسير أحقاده التي أفرغها من خلال إخفاء الرسائل عن أصحابها وسرقة محتوياتها المادّيّة والعاطفيّة، مروراً بـ «فرح» الفنانة المسرحيّة المتسلطة في علاقتها مع زوجها «الدكتور» الأكاديمي الخبير بعلم اللسان ولغة التواصل بين البشر، مع التوقف في محطات سريعة عند شخصيات مثل مالك، شقيق الدكتور الذي يعيش حياة مملة بحكم شخصيّته المتوازنة، وهي في النّص نقيضة، حسب تقييم الشقيق الأصغر. أمّا «الرسولة»، فهي نقطة ارتكاز الرواية وحبكتها، متسلّحة بخبراتها في قراءة الطالع، وعلم الفراسة، والأهم هو معرفتها بأسرار جميع سكان «تل العنبر» الذين يبوحون لها بخباياهم وخفاياهم، لتعيد توظيف تلك الأخبار في تعزيز هالتها المعرفيّة، مولّدةً الدهشة من بصيرتها وحكمتها.

تلفتك لوحة الغلاف بمدى تألقها في جميع الوانها مع عنوان الرواية ومضمونها، فترى «الرسولة» امرأةً ناعمة الجيد، لها وجه دائري حنطي يزينه فمها الياقوتي، وفوق شفتيها يستقرّ أنفها متوسط الحجم، وفوقه عينان مغمضتان تستقيان الرؤيا من بريشته كلمات الرواية بعبق الرياحين، فتجدك تحكّ جلدك إثر لسعة عقرب نهشت فخذ أسر، أو تتنشّق البنفسج والزهور في حقولها، أو تتعفّر بالتراب الأبيض الذي ميّز هذه القرية عن باقي القرى بترابها الأحمر، متوقفاً عند مدى قدرة الكاتب على دمج التسجيلي بالمتخيّل.

هل استطاع عبد الحليم حمود كسر المحظور عندما أطلق لقب «الرسولة» على البطلة الأنثى في روايته؟ خلال لجوئه إلى «تل العنبر»، يكتشف الدكتور أسر أسراراً، ويروي حكايات على السنة الحلاق، وجارة ساعي البريد، ينبش الذكريات، وينقب في رؤوسنا عن سبب اختفاء ابنة ساعي البريد، فاين هي تلك الفتاة من كل الرواية؟

يرمي الرسائل من كيس الخيش، يصنع من النشاء والخل الأبيض مادةً لاصقة يرمم بها ثقوب الماضي، يرتق بدبقها المراوغ حنيناً مشرداً في دروب الضياع، ليأتي صوت «وسن» منشرح الأسارير، تخاطب حبيبها وزوجها، ورجلها المجنون: «ليس على المجنون حرج، وأنت مجنون رسمي. سأجاريك في لعبتك يا أسر، سوف أطبخ النشاء ولنرَ النتيجة» (ص153).

تربكك «الرسولة» في الربع الأخير، تجعلك مشدوهاً حين يأتي صوتها من خلف السطور واثقاً، ذا نبرة تتكئ على الزهو، لتكتشف أنّها مجرد شتات. ومع كل صفحة من صفحات الرواية، تؤرقك الأسئلة التي لا تتوقف عن التوالد في رأسك: أين أنا؟ من هي وسن؟ ما هي النهاية التي سترمينا في دهاليز أمراضنا المختبئة تحت مسامات جلودنا؟ هل ستنجح «الرسولة» في الاختباء خلف سرب البجع الأبيض من خلال أبنوسها الأسود الليلي؟

احيا سيرة ليلى بعلبكي ورمزيّة أدبها «المرجوم»

أوراق

الوقائع الغريبة في اختفاء إدوارد سعيد [1]

عبد الرحيم الشيخ *

في «مذكرات يهودي غاضب»، يقول شلومو رايخ: «يحق للفلسطينيين، الآن، أن يصوتوا في الأردن، وأن يسكنوا في «إسرائيل»، وهم بين السماء والأرض. بقيت مشكلة صغيرة: أين سيُدفَنون؟». لم يكن رايخ متخصصاً في سياسات الحياة والموت، لكنه كان يتندَّر على عبثية الحلول السياسية غير المستندة إلى الحقوق السياسية للشعب الفلسطيني. ولعل في انتباهته إلى «مشكلة الدفن» ما يغري بقراءة مصير النقد السياسي الذي مارسه إدوارد سعيد، الذي عاش ومات ودُفن «خارج المكان»... النقد الذي مارسه عشر سنوات، على الأقل، منذ إعلان موت المشروع الوطني الفلسطيني في أوسلو في 13 أيلول 1993 وحتى إعلان موته هو في نيويورك في 25 أيلول 2003. سيختفي هذا النقد في حفلة التذكُّر التنكُّرية التي سيدعو كثير من الفلسطينيين في أيلول أنفسهم إليها، لمواصلة دفن إدوارد سعيد وهم يقولون: «لا تبعد».

فالموت، على ما يبدو وعلى الرغم من سوء توقيته، هو الشخصية المعنوية الوحيدة التي تصدق وعدها للفلسطيني. وباستثناء الشهداء المحتجزة جثامينهم في ثلاجات العدو ومقابر الأرقام والمقابر التي برسم الهدم أو القصف، لأنها تقع ضمن «بنك الأهداف» في حروب إسبارطة الجديدة علينا... يتأهل الفلسطيني لدخول جغرافيا الموت ولديه وعد مضمر ألا يطرده أحد منها، وألا يفقد منزله الضيق فيها، وألا تتغير صفته القانونية على أرضها. وإن حظي بقبر وشاهدة، خرج من حيّز الوجود بالقوة في الحياة المضنية، إلى حيِّز الوجود بالفعل في الموت المريح.

وبهذا المعنى، كان إدوارد سعيد أكثر حظاً من رفيقيه محمود درويش وإبراهيم أبو لغد، وأقل حظوة لدى «القائد العام» للثورة، ولربما الأصح أنّ «القائد العام» كان أقل حظوة لديه. «اختار» إدوارد سعيد لبنان مكاناً لرقاده الأخير. كان أكثر جذرية من محمود درويش وأقلّ برغماتية من إبراهيم أبو لغد ليعزّي نفسه بالقول: «جئت ولم أصل، ورجعت ولم أعد». قبل رحيله بقليل، وقف في القدس على مقربة من مسقط رأسه في الطالبية ولم يشأ «أن يواجه الخسارة وجهاً لوجه»، فقفل راجعاً. لم يقتنع بتحقيق العودة بالموت إلى طالبية القدس ليدفن في «مقبرة صهيون»، كما فعل صديقه إبراهيم أبو لغد حين عاد بالموت إلى عجمي يافا ونال قبراً في «الكازخانة» يطل على «بيت بيرس للسلام» والبحر. ولم يقتنع كما فعل صديقه محمود درويش حين رجع إلى رام الله ولم يعد إلى بروة عكا، ونال قبراً في «حديقة البروة» في رام الله التي لا بحر فيها إلا الوهم، يطل على «قصر الثقافة» و«جريدة الأيام» و«وزارة الخارجية والمغتربين» و«الأمن الوطني» و«مركز الإحصاء» و«الاستخبارات» و«المخابرات»... فيما تقطع وحوش الإسمنت يوماً بعد آخر الطريق على مرمى نظره إلى مكتبه الذي في «مركز خليل السكاكيني».

طلب ان يدفن في ارض عربية، واي ارض اقرب من لبنان إلى «جبال الجليل»؟

كان «خيار» إدوارد سعيد، ولربما قراره، أن يكون مثواه في لبنان - لئلّا يزعج رقادَه لو دُفن في القدس «يهودي غاضب» - من نوع آخر: يحسن قتل الشواهد بعد أن فرغ من قتل الشهود، ولئلا يسلّع قبره لو دفن في رام الله «فلسطيني» آخر: يحسن الرثاء ويلعن المَرثيَّ لأنه يذكِّره بمالك بن الريب. طلب إدوارد سعيد أن يدفن في أرض عربية، وأي أرض أقرب من لبنان إلى «جبال الجليل»؟ وعلى الرغم مما في لبنان، «الذي لم نفهمه، ولن نفهمه» كما كتب محمود درويش مرةً بيقين مريب، من صراع على الحياة والموت، حظي سعيد بقبر أنيق، يصلح مثالاً شارحاً لمقولة رفيقه الأوروبي عن «تشاؤم العقل وتفاؤل الإرادة». قبره يشبه قبر طفل تُداني مساحة ذهابه إلى عالم الموت مسافة إيابه من عالم الحياة، ضمَّ ما تبقى من رماد رفاته وقد طار من حافة النهر الذي في مانهاتن نيويورك إلى حافة الجبل الذي في برمَّانا المتن.

في ربيع 2016، وفي بيته الذي على حافة النهر، كانت «سدوم الجديدة» على حالها، لكنه لم يكن هناك. كانت حروبه ضد سدوم والسرطان في آن معاً قد أودت بـ«البطل الملحمي الأخير الذي يدافع عن حق طروادة في اقتسام الرواية». هناك، علمت من زوجته مريم سعيد بعض تفاصيل رحيله، ونقل رماد رفاته إلى مدفن عائلتها في لبنان. لم أسجل أياً منها رغم يقيني بأنني سأحتاجها لاحقاً، فالاشتغال بالموت قد لا يميت في الأكاديمي رغبة الاحتماء بمجاز الشاعر. وفي صيف 2018، وإثر إكمال جولة تصوير وبحث ميدانية في مقابر المخيمات والتجمعات الفلسطينية في لبنان، سألت أحد من رافقوني إلى مدافن الفلسطينيين، وبخاصة في مناطق الجنوب وبيروت، عن قبر إدوارد سعيد. فرد بسؤال استنكاري: «هذا الشاعر؟ ما بعرف إنه مدفون هون!». ذكَّرني بأحد سدنة المقابر في حيفا، قبل ثلاث سنوات، حين سألته عن قبر إميل حبيبي، وكنت وإياه على بعد خطوات قليلة من الشاهدة الشهيرة «باق في حيفا»، فرد أيضاً بسؤال استنكاري: «هذا عضو «الكنيست» اللي عملت له البلدية «كيكار» [ميدان]؟ ما بعرف إنه مدفون هون!» كنت أعرف أين يقع قبر إدوارد سعيد، لكنني أردت معرفة مزيد من التفاصيل من دليلي «الرسمي» الذي لم يكن يعرف أنه كان عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني، شأنه في ذلك شأن كثيرين هنا ممن لا يعرفون، حيث لم تعمل البلدية «كيكار» لسعيد في رام الله السعيدة، بل أطلقت اسمه على شارع، باتجاه واحد، ثم غيَّرته!

في حينه، أخبرني الروائي إلياس خوري، أن قبر إدوارد سعيد موجود في «مدافن جمعية الأصحاب-كويكرز» في برمَّانا، المتن. ذهبت إليه منفرداً، بلا دليل. كان ذلك في 20 حزيران 2018، وكان آخر يوم في الزيارة، وبقدر ما كانت مشهدية الصعود إلى مرقد إدوارد سعيد في برمَّانا تملأ رئتيك بالحياة، بقدر ما كان قلبك مقبوضاً على أخبار قمع المسيرة الاحتجاجية التي خرجت للمطالبة برفع العقوبات عن غزة، والطواقم الصحافية التي ذهبت لتغطيتها، أمام سفارة فلسطين في بيروت. كان من سوء الحظ أن يحتل هذا المشهد مخيلتك وأنت ذاهب لزيارة إدوارد سعيد، وكان من حسن الحظ أن لديك ما «تبشره» به عن صدق نبوءاته إن سألك عن الوضع، وإن عضّك ضميرك على نقل أخبار الشؤم. كانت المقبرة التي على يمين الشارع مغلقة، والكنيسة مغلقة، وكان الحل الوحيد هو الذهاب إلى مخفر الشرطة لطلب النجدة! لكن ذلك كان وصفة سحرية للعودة بخفَّي حنين. وفي هكذا حالة، تسعفك خبرتك، التي تكتنفها المغامرة والمخاطرة، في التسلل إلى من تحب في عوالم الموت. وعلى الرغم من انخفاض أرضية المقبرة عن الشارع قرابة ستة أمتار، إلا أن السياج على الجهة الشمالية-الشرقية للمقبرة كان أفضل نقطة للعبور.

كانت المقبرة رقعة صغيرة تخفيها أو تكاد أشجار السرو التي قدَّمت درساً في التسامح مع وجود بعض أشجار الزيتون في ظلها. صغيرة المقبرة بأضرحتها الرخامية البيضاء المستوية، وقبر إدوارد سعيد المتفرِّد بشاهدته السوداء وقاعدته الرمادية، أو التي صارت كذلك. قاعدة رمادية تحمل عبء الاسم المشرقي بخط الثلث: «إدوارد وديع سعيد»، وتاريخ ولادته وموته بخط الرقعة والأرقام المشرقية «١ تشرين الثاني ١٩٣٥- ٢٥ أيلول ٢٠٠٣». وأما الشاهدة السوداء، فتحمل عبء الاسم «الغربي» بالإنكليزية: Edward W. Said، وتاريخ ولادته وموته كذلك «Nov 1، 1935 Sept-25، 2003». ماذا يمكن أن يمر في ذهن زائر، متسلل و«على قلق»، حين يقف أمام إدوارد سعيد في رقاده الأخير؟ عبء الشاهدة على القاعدة، أم ثبات القاعدة في خدمة الشاهدة؟ أم عناق القاعدة والشاهدة كنص أخير في مديح المنفى؟ وما قيمة السيميائيات كلها ما دامت الشاهدة والقاعدة لا تحملان إلا اسمه وتاريخ ولادته وموته، وشَرطةً بينهما تختزل حياة فلسطيني شهدت صرخة ميلاده قابلة يهودية، ولم يشهد صمت رقاده إلا «المثقف اليهودي الأخير» الذي كانه؟ شَرطةٌ تشبه الواو بين «هنا» و«هناك» والتي كادت تحسم جدلاً صاخباً عن العودة بين ديكين كبيرين، أحدهما محمود درويش والآخر إميل حبيبي، فيما لم يكن لها أي داعٍ مع إبراهيم أبو لغد الذي كانت عُدّته «طريق العودة هي طريق المعرفة»، بلا واو ولا شَرطة.

حاول إدوارد سعيد الشعر وحاوره، ولم «يرمه في سلَّة المهملات» مثلما فعل بالرواية. ولكن شاهدته كانت وفيَّة لطباق مكتمل الملامح بين الشاعر والمفكر والروائي. فالشاهدة والقاعدة تقولان الكثير، وترددان مرثية محمود درويش لمفكر كبير «لن تنجب فلسطين مثله حتى إشعار آخر»: «أنا من هناك. أنا من هنا. ولستُ هناك، ولستُ هنا. لي اسمان يلتقيان ويفترقان. ولي لغتان، نسيت بأيِّهما كنتُ أحلم. لي لغة إنكليزية للكتابة، طيِّعةُ المفردات. ولي لغة من حوار السماء مع القدس، فضيَّةُ النَّبْر، لكنها لا تُطيعُ مخيِّلتي!».

... لم يكن دليل المقابر مخطئاً حين وصف إدوارد سعيد بـ«الشاعر»! ولكنه كان الشاعر الذي لم يُمِتْ اشتغاله بالحياة رغبته في الاحتماء بمجاز المفكر. كان شاعراً كبيراً في إهاب مفكر كبير شغله راهن الفكر عن قادم الشعر لأنه يتحدث عن الحنين بيقين فرضيَّة المفكر: «حنيني صراعٌ على حاضرٍ يمسك الغد من خصيتيه!». ويبشِّر «بالمستحيل» الذي «على بُعد جيل». وعلى الرغم من ابتذال صفة «الكبير» في مواسم النعي والعزاء في فلسطين الجديدة، إلا أن إدوارد سعيد كان كبيراً بمنطق رفيقه محمود درويش، إذ «... الكبير من يجعلني صغيراً حين أكتب، وكبيراً حين أقرأ»، أو هكذا قال.

* شاعر وناقد من القدس

Samedi 9 Septembre 2023 no78
السبت 9 أيلول 2023 العدد 78

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

فبركات «خبير الإرهاب»

[6_7]

سلامة الـ«أوتوكار» أوّلاً

[2_3]

(هيثم الموسوي)

سين جيم

الأصول القانونية لوسائل نقل تلامذة المدارس
سلامة الـ«أوتوكار» أوّلاً

بعد اقل من شهر تفتح المدارس ابوابها، وسيواجه الاهل مشكلة تتعلق بنقل اولادهم من المدارس واليها، إذ باتَ يُخشى من الإهمال في النقل بعد الأزمة الاقتصادية والمالية التي اصابت كل القطاعات، وتخفيف المدارس او الافراد النفقات على صيانة وسيلة النقل او على الإشراف على الباص. وقد تلجأ المدارس او اصحاب الباصات، بداعي التوفير، الى حشوها بالطلاب خلافاً للاصول، ما يقضي بضرورة مراعاة الاصول القانونية لوسائل النقل المعدّة لنقل تلامذة المدارس الرسمية والخاصة من قبل مالكي الباصات، مع متابعة وزارة التربية للتذكير بها والتأكد من تطبيقها. علماً ان اهم ما ينص عليه القانون هو وجود مراقب مع التلامذة تحت طائلة غرامة تُراوح قيمتها بين قيمة الحد الادنى الرسمي للاجور وضعفيها، اي بين 9 ملايين و18 مليون ليرة. فهل ذلك رادع كاف؟

(هيثم الموسوي)

صادق علوية

ما هو عدد التلامذة المسموح نقله في الباص؟

يحدد عدد التلامذة وفق رخصة المركبة الآلية الصادرة عن هيئة إدارة السير والآليات والمركبات تبعاً لمواصفات المصنّع، ويمنع منعاً باتاً زيادة العدد أو وضع كراس إضافية في وسيلة النقل. كما يقتضي أن يبقى الممر الوسطي مفتوحاً لدخول التلامذة وخروجهم من دون أي عائق.

هل وجود مراقب في الباص إلزامي؟

فرض القانون اللبناني وجود مراقب في كل وسيلة نقل مكلّف من قبل إدارة المدرسة في الحالة التي تملك فيها المدرسة هذه الوسيلة، أو من قبل مالك وسيلة النقل في الحالات الأخرى، ويمنع منعاً باتاً نقل تلامذة المدارس الرسمية والخاصة في كل مراحل التعليم قبل الجامعي من البيت إلى المدرسة وبالعكس أو إلى أي مكان آخر بمختلف وسائل النقل المعدة من قبل المدرسة لهذا الغرض، من دون وجود هذا المراقب المسؤول، وهو نص صريح أوردته المادة الأولى من القانون 1996/551 المتعلق بـ«وسائل النقل المعدّة لنقل تلامذة المدارس الرسمية والخاصة».

يتوجب على قوى الامن التأكد من وجود مراقب في كل باص ينقل طلاب المدارس

أما في حال غياب المراقب، فيقتضي تكليف بديل عنه يتولى المهام المطلوبة.

ما هي الشروط التي يقتضي توفرها في المراقب؟

لم يحدّد القانون 1996/551 ولا المرسوم التطبيقي، الشروط التفصيلية التي يقتضي توافرها في مراقب وسيلة النقل سوى:

1. أن يكون المراقب من ذوي السيرة الحسنة.
2. أن يتجاوز عمره 21 سنة.
3. إلمام المراقب باستعمال مطفأة الحريق وعلبة الإسعافات الأولية.
4. أن يكون ملماً بالقراءة والكتابة كون أحد مهامه تسجيل عناوين سكن الطلاب.

ما هي مهام مراقب وسيلة النقل؟

حدّدت مهام المراقب في وسائل النقل المعدة لنقل تلامذة المدارس الرسمية والخاصة وعدد التلامذة بموجب المرسوم التطبيقي للقانون، أي المرسوم الرقم 4018 تاريخ 2010/5/12، كالآتي:

- الوجود في الحافلة قبل دخول التلامذ وعدم مغادرتها حتى نزول آخر طالب.
- المشاركة بوضع خريطة الرحلة بالتعاون مع سائق الحافلة.
- تنظيم لائحة بأسماء الطلاب المسجلين أو المنتسبين في الحافلة مع عناوينهم، وأرقام الهاتف.
- منع التحدث مع سائق الحافلة إلا عند الضرورة.
- الاتصال بمسؤول النقل في المدرسة بحال وقوع أي حادث.
- تسليم تلاميذ الروضات وتلامذة الحلقة الأولى إلى أهاليهم أو من ينوب عنهم.
- ضبط النظام في الحافلة خاصة عند وقوع حوادث أو عطل وعدم السماح بخروج التلامذة منها إلا في حالات الخطر وتحت إشرافه.

من المسؤول جزائياً ومدنياً عن سلامة الطلاب؟

يتحمّل السائق ومالك وسيلة النقل وإدارة المدرسة، في حال كانت تملك وسيلة النقل أو تستأجرها، بالتكافل والتضامن بينهم وفق القوانين اللبنانية، المسؤولية المدنية عن كل ضرر يلحق بالتلامذة أثناء عملية النقل، ويكون السائق والمراقب مسؤولين جزائياً عن أي إهمال في موجباتهما.

تجدر الإشارة إلى أن القانون الرقم 96/551 ربط المسؤولية بالسائق والمالك ولم يربطها بالحارس كما نصّت المادة 131 من قانون الموجبات والعقود، إذ حمّل المسؤولية لكل من سائق وسيلة النقل ومالكها وإدارة المدرسة إذا كانت تملك هذه الوسيلة (المادة 3)، ما يعني أنه رتّب مسؤولية حكمية على وجه التكافل والتضامن لمجرد توفر الشروط المنصوص عليها.

من المسؤول عن الحادث؟

قبل عام 2003 تعرضت طالبة لبنانية في إحدى مدارس الشمال لحادث أثناء نقلها في باص المدرسة أدى إلى بتر ساقها، فأصدرت محكمة الاستئناف المدنية في لبنان الشمالي حكمها بتاريخ 2005/6/2 الذي استند إلى القانون الرقم 96/551 المتعلق بوسائل النقل المعدّة لنقل تلامذة المدارس الرسمية والخاصة، وعدّ القرار المطعون فيه المدرسة مسؤولة عن الحادث بالتكافل والتضامن مع السائق كون الحافلة مسجلة على اسم (المدرسة)، وقضى بإلزام المدرسة بدفع تعويض للمتضررين (الطالبة ووالديها) بمبلغ 395 مليون ليرة. وفي عام 2006 أصدرت محكمة التمييز المدنية الحكم الرقم: 117، تاريخ: 2006/11/29 الذي قضى بتصديق حكم محكمة الاستئناف.

هل يمكن توقيع عقد تأمين لوسيلة النقل؟

فرض القانون على مالك وسيلة النقل أو مستأجرها إجراء عقد تأمين لوسيلة النقل المستخدمة لنقل التلامذة، على أن يغطي التأمين جميع الأضرار التي قد تنتج من حوادث السير وخلافها أثناء النقل.

ماذا لو لم تعيّن المدرسة او مالك الباص مراقباً؟

في حال إهمال تعيين مراقب في كل وسيلة نقل من قبل الجهة المعنية بذلك، يحكم عليها بغرامة تُراوح بين قيمة الحد الأدنى الرسمي للأجور وضعفيها، وذلك بالاستناد إلى محضر ضبط منظّم من قبل القوى المولجة بتطبيق قوانين السير، وتُراوح الغرامة حالياً بين 9 ملايين و18 مليوناً.

في هذه الحالة، وضع القانون مسؤولية إثبات عدم تعيين مراقب في وسيلة النقل على عاتق قوى الأمن الداخلي، ما يعني أنه يتوجب على قوى الأمن التأكد من وجود مراقب في كل باص ينقل طلاب المدارس، فهل سيقومون بذلك؟

هل هناك شروط إضافية في قوانين اخرى تتعلق بالباصات؟

كان قانون السير الجديد واضحاً في أنه يُحظّر على سائقي الباصات التلهي بالحديث مع أي كان أو الأكل أو التدخين خلال نقلهم للركاب. وبالإضافة إلى الشروط العامة، يجب أن تتوفر في الباصات الشروط الآتية:

أ- أن يكون لكل باص بابان على الأقل من جهة اليمين، على أن تبقى الباصات المُسجلة حالياً خلافاً لهذا النص في السير طالما هي صالحة لذلك وعلى اسم صاحبها، وفقاً للقوانين المرعية الإجراء.

ب- أن يكون لكل باص عدد كافٍ من النوافذ والسالم سهلة الاستعمال وغير بارزة عن هيكل الباص، ويجوز أن تزوّد النوافذ بستائر.

ج- أن تكون المقاعد مثبّتة بارضية الباص بقوائم وبطريقة محكمة.

د- لا يجوز إحداث أي تغيير أو تعديل في جسم السيارة أو جهاز القيادة أو المقاعد بشكل مخالف لمواصفات الشركة المصنّعة.

ه- أن توضع إشارات وإرشادات واضحة داخل الباصات تطلب من جميع الركاب عدم التحدث مع السائق خلال قيادته للمركبة حرصاً على تركيزه على مهمة القيادة.

و- أن تزوّد هذه الباصات بإنارة كافية من الداخل.

ز- أن يزود كل باص بأجهزة إطفاء كافية لا تقل عن جهازين وتكون صالحة دائماً للاستعمال على أن تكون إحداها في متناول السائق.

ح- أن يكون لكل باص صندوق يحتوي على المواد اللازمة للإسعافات الأولية.

ط- أن يثبّت الملصق التعريفي على السيارة وفق قرار صادر عن وزيري الأشغال العامة والنقل والداخلية والبلديات بهذا الشأن.

دكّاش: حذار الـ«توكّ توكّ»

يتحدث رئيس جمعية «لاسا»، اللجنة اللبنانية للوقاية من الحوادث المدرسية (LASSA)، جو دكاش لـ«القوس» عن عدم وجود أرقام رسمية في الوقت الحالي لعدد الحوادث والضحايا المتعلقة بـ«باص المدرسة». ويعود ذلك إلى لجوء العديد من التلاميذ لاستخدام وسائل نقل بديلة عن الحافلات التابعة للمدارس بسبب الأزمة الاقتصادية وارتفاع تعرفة النقل (راجع «القوس»، 6 آب 2022، «حرية التنقل... على دولابين»). لكن، يُقدّر العدد الإجمالي للضحايا في عام 2022 بحوالي 150 ضحية (بين قتيل وجريح). كما سقط العشرات من التلاميذ، خلال الشهرين الأخيرين من العام الدراسي الماضي (2022 - 2023)، ضحايا لحوادث الحافلات المدرسية ليصل العدد إلى حوالي 100 ضحية (بين قتيل وجريح)، وتعود هذه الأرقام لرصد تجريه «لاسا» بالتعاون مع «يازا».

شدد دكاش على خطورة بدائل حافلات المدارس، التي ترتكز على الـ«توك توك» و«الموتوسيكل» و«الفان» غير المخصص لنقل الطلاب، والسير على الأقدام. داعياً لإيجاد حلول جذرية وملاحقة كل من يقلّ أطفالاً على متن تلك البدائل. كما يقترح دكاش على البلديات التعاون لتأمين وسائل نقل آمنة ومجهزة لطلاب المدارس. ونبّه من خطورة سير الطلاب على الأقدام خلال توجههم من وإلى مدارسهم لعدم وجود أرصفة ملائمة وآمنة يسلكونها.

نذكر بعض حوادث السير المتعلقة بوسائل نقل طلاب المدارس:

- بتاريخ 2019/03/15، وقع حادث بين باص مدرسة وآلية تابعة لقوات الطوارئ على طريق عام حولا، أسفر عن إصابة طالبين بجروح.
- بتاريخ 2019/04/16، سقطت طالبة وهي تستقل باصاً خاصاً لنقل الطلاب، وأدى ذلك إلى إصابتها بجروح.
- بتاريخ 2022/10/07، اصطدم باص مدرسي بعمود كهرباء، أدى إلى جرح عدد كبير من الأطفال داخله.
- بتاريخ 2022/10/27، وفاة طفلة نتيجة إغلاق باب الحافلة المدرسية التي كانت تقلّها من دار الحضانة على رأسها.

تحت القوس

الأولاد يسألون..

عمر نشابة

«بابا، مين فجّر المرفأ؟»
لا نعرف.
من يعرف؟
لا أحد يعرف، لأن التحقيق لم ينتهِ.
أخبرني صديقي أنه سمع أهله يقولون أن السياسيين الفاسدين «هِنّي فجّروا المرفأ».
«ما بعرف يا بابا. لازم ننطر لينتهي التحقيق».
متى سنعرف؟ ولماذا لم ينتهِ التحقيق؟

■■■

«بابا ليش فايت عكس السير؟»
هيدي الطريق كل الناس بتمرق فيها عكس السير.
كل الناس يا بابا؟ والبوليس؟
والبوليس كمان.
كيف يعني البوليس عكس السير؟

■■■

«بابا ليش في واحد حامل فرد؟»
ما بعرف يا بابا، ممكن يكون عسكري.
ليش مش لابس بدلة عسكرية؟
لأن يمكن عم يفتش عن الحرامي ولازم ما حدا يعرف إنو هو عسكري.
وإذا الناس فكّروا إنو هو الحرامي؟ شو بيعملوا؟

■■■

تشق السيارة طريقها إلى قلب العاصمة..
يراقب الطفل الحركة في الشارع:
بابا، ليش في ولاد صغار حافيين بالشارع عم يشحدوا مصاري؟
مين هول؟ وين إمهن وأبوهن؟
ما بعرف يا بابا.. هؤلاء سوريون هربوا من الحرب في بلدهم إلى لبنان.
ليش ما بيروحوا عالمدرسة؟
في ولاد لبنانيين كمان ما بيروحوا عالمدرسة.
ليش يا بابا؟
لأن أهلهم ما معن مصاري ليدفعوا للمدرسة.
يعني يمكن الأولاد اللي عم يشحدوا يكونوا لبنانيين. ليش قلت لي إنهم سوريون يا بابا؟

■■■

تُصغي أخته الأكبر منه سناً إلى مذيعة نشرة الأخبار عبر الراديو وتطرح أسئلة أكثر تعقيداً:
بابا، إنت قلت إنو الأميركاني آموس هوكشتاين هو أصلاً «إسرائيلي»، طيب كيف يعني هو صديق للبنان؟
مش على أساس «إسرائيل» عدوّ؟
هكذا هي السياسة يا بابا..
يعني السياسة كذب؟

■■■

بابا إنت قلت لنا إنو في لبنانيين تعاملوا مع العدو الإسرائيلي. صح؟
صح.
وقلت إنو من بينهم من تدرّب مع جيش الاحتلال الإسرائيلي وجاب سلاح منهم. صح؟
صح.
طيب كيف ما فاتوا عالحبس؟
مبلا فاتوا عالحبس وخلّصوا مدة العقوبة وطلعوا.
يعني خلص، ما بقى يتعاملوا مع العدو الإسرائيلي يا بابا؟

■■■

«بابا، ليش ما في رئيس بلبنان؟»
مين قال ما في رئيس؟ في كتير رؤساء يا بابا.
قصدي ليش ما في رئيس جمهورية متل غير دول.
لأن ما اتفقوا على مين بدو يكون الرئيس.
ليش لازم يكون الرئيس مسيحي؟
لأن اتفقوا إنو رئيس الجمهورية مسيحي ورئيسي الحكومة ومجلس النواب إسلام.
يعني اتفقوا يا بابا.. طيب ليش ما في رئيس جمهورية؟

(انجلا بوليفان - المكسيك)

في الواجهة

ارتفاع مستمر لأسعار المواد الغذائية
قانون تحديد هامش الأرباح.. «تفنيصة»

«الدولار عم ينزل ليش بعدكم عم تغلّوا؟» جملة يكررها كثيرون عند دخولهم المحال التجارية بحثاً عن سلع غذائية بأسعار «معقولة». إذ رغم انخفاض سعر صرف الدولار وثباته، يستمر ارتفاع أسعار السلع والخدمات بشكل شبه يومي. فما سبب هذا الارتفاع العشوائي وما دور مصلحة حماية المستهلك في ظل هذه الأزمة؟ وهل القوانين المطبّقة اليوم كافية لضمان حق المستهلك؟ ماذا يقول رئيس مصلحة حماية المستهلك زهير برو؟

أحمد مدلج

يظن البعض أن القوانين التالية: تحديد نسب الأرباح التجارية، وحماية المستهلك وآخرها قانون المنافسة الذي أقرّ عام 2019 بهدف تعزيز حرية المنافسة ومكافحة الممارسات الاحتكارية، كفيلة لضبط الأسعار لمختلف المنتجات وحماية المستهلكين، لكن الواقع يبدو معاكساً تماماً. الأسعار في ارتفاع مستمر رغم استقرار سعر صرف الدولار في الآونة الأخيرة، وحتى مع انخفاضه. إذ يُلاحظ وفق آخر تقرير أسبوعي لسلّة الأسعار أعدّته وزارة الاقتصاد أن أسعار بعض السلع ارتفع من تاريخ 2023/08/07 إلى 2023/08/14، مثل: ارتفاع سعر ضمة النعنع 6%، وسعر كيلو الباذنجان 14%، وسعر كيلو الملفوف 31%، وسعر كيلو الموز البلدي 11%، وسعر الفروج الكامل 11%.

وتبقى الأسئلة تدور في بال المستهلكين، الذين لا تلقى أصوات استنكارهم العالية آذاناً صاغية، مع كل ما تشهده السلع من ارتفاع مستمر، «أين دور الدولة في حمايتنا؟ ولماذا لا تطبّق القوانين؟». «ما عاد في ولا مؤسسة واقفة على إجريها» يقول رئيس جمعية حماية المستهلك، زهير برو، في حديثه لـ«القوس» عن انهيار الدولة الذي طاول جميع مؤسساتها وبات يشكّل خطراً على حقوق المستهلك، ويضيف يشير برو إلى أن لبنان يُعدّ، منذ قبل الانهيار والأزمة، من أغلى دول المنطقة، وفق تصنيف الاتحاد الأوروبي وصندوق النقد الدولي. إضافة إلى «جشع التجار الذي لا حدود له، نحن دولة تجّار». لافتاً أن لا داعي للاستغراب، لأن الإنتاج قد تراجع في لبنان منذ نهاية الحرب الأهلية «نحن اليوم نستورد فقط، وبحاجة لرؤية شاملة وسياسات اقتصادية شاملة لحلّ أي مشكلة. الحديث عن ارتفاع الأسعار هي نتيجة طبيعية في ظل سياساتنا الاقتصادية الحالية».

وفي حديث مع «القوس» حول ماهية الاقتصاد الحر ومفهومه والتدخل في تحديد السعر في ظل أنظمة الاقتصاد الحر، يقول أستاذ كلية الاقتصاد في الجامعة الأميركية في بيروت، علي عبود، إن لبنان يعدّ من دول الاقتصاد الحر، وذلك منصوص في مقدمة الدستور اللبناني، الفقرة (و): «النظام الاقتصادي حر يكفل المبادرة الفردية والملكية الخاصة»، ويشمل الملكية الفردية وعمليات التبادل في الأسواق ما يؤدي إلى تحديد السعر. ويضيف: «يتضمّن السوق نظرياً العرض والطلب اللذين بدورهما يحددان السعر. فكلما زاد الطلب ارتفع السعر وكلما نقص الطلب انخفض السعر. لكن ما هو أهم في الاقتصاد الحر هو وجود التنافس، الذي يؤدي إلى فعالية وزيادة الإنتاج وبالتالي خفض الأسعار وخفض هوامش الأرباح».

كذلك يؤكد برو أهمية تطبيق قانون المنافسة في لبنان، إذ يمكن تأمين السلع باقل كلفة، شرط توفر التنافسية. لأن وجود الاحتكار هو الذي يؤدي إلى التحكم بالأسعار وإلحاق الضرر بالمستهلك، «لكن حتى يومنا هذا لم تصدر المراسيم التطبيقية، والقانون وحده غير كافٍ».

هل تدخّل الدولة يعرقل الاقتصاد الحر؟ يجيب عبود: «إذا ذهبنا إلى الولايات المتحدة الأميركية أو إلى أوروبا، أي إلى الدول التي تقدّم نفسها على أنها دول رأسمالية ذات

> **برو: قرار الوزير بدولرة الأسعار ليس مخالفاً للقانون فقط بل يساهم بارتفاع اسعار المنتجات على انواعها**

اقتصاد حر، نرى أن هناك تدخلات عديدة للدولة في الأسواق وحتى بتحديد المعايير، وكذلك في لبنان أو في أي دولة تعدّ نفسها رأسمالية ذات اقتصاد حر».

وبالنسبة لمرسوم تحديد هامش الأرباح يقول برو إن القانون «تفنيصة»، وإنه «اختراع لبناني لنقول إنو الدولة عم تدّخل». فالمطلوب سياسات وقوانين جادّة وفعّالة لتحسين الاقتصاد في البلاد، وأن تضع وزارة الاقتصاد رؤية اقتصادية شاملة وألّا تكتفي بمراقبة الأسعار وملاحقة المخالفين.

ماهي الـ Antitrust authorities؟

قسم مكافحة الاحتكار، هو قسم يتبع لوزارة العدل الأميركية منوط بإنفاذ قوانين مكافحة الاحتكار والعمل كمدافع عن المنافسة، وتعزيز المنافسة في قطاعات الاقتصاد التي تخضع أو قد تخضع للتنظيم الحكومي وتشمل هذه القطاعات:

- الصناعات الخاضعة للتنظيم الفيدرالي، مثل الاتصالات والخدمات المصرفية والزراعة والأوراق المالية والنقل والطاقة والتجارة الدولية.
- الصناعات الخاضعة للتنظيم الحكومي أو المحلي، مثل التأمين والإسكان والرعاية الصحية والمرافق العامة والتراخيص المهنية والمهنية وجوانب معيّنة من الخدمات المصرفية والعقارات.

كما يشارك القسم في صنع السياسات التابعة للسلطة التنفيذية، وإعداد الشهادات حول المبادرات التشريعية، ونشر تقارير عن أداء الصناعة المنظمة، والتدخل في إجراءات الوكالة التنظيمية.

ويقاضي القسم انتهاكات قوانين مكافحة الاحتكار من خلال رفع دعاوى جنائية وتتراوح العقوبة بين غرامات والسجن.

كما يمكن للقسم رفع دعوى مدنية لاستحصال أمر من المحكمة يمنع الانتهاكات المستقبلية ويتطلب اتخاذ خطوات لمعالجة الآثار الضارة بالمنافسة الناجمة عن الانتهاكات السابقة.

(هيلم الموسوي)

مراقبة الاسعار لا تُجدي نفعاً

أما بالنسبة لدور جمعية حماية المستهلك يقول برو إن هناك إصراراً اليوم في الجمعية، في كل نقاشاتها، بأن مراقبة الأسعار «والركض وراها» لا يُجدي نفعاً. ويدعو الجميع للنظر إلى الأسباب التي أوصلتنا إلى هذه الحال وليس إلى النتيجة. كما تدعو الجمعية الوسائل الإعلامية إلى عدم الالتفاف والتركيز فقط على ارتفاع الأسعار الناتجة عن سياسات اقتصادية مدمّرة وجشع التجار، فالتركيز فقط على الأسعار لا يقدّم حلاً بل يساعد في المشاركة بطمس مسائلة المسؤولين الحقيقيين. ويضيف: «من يضع الأسعار اليوم؟ تُحدّد الأسعار بعناصر معيّنة أوّلها وجود منافسة، ثم وجود قطاعات إنتاجية، وأخيراً استقرار الدولة وقطاعاتها. ومع غياب كل تلك العناصر كيف يمكن ضبط الأسعار؟ إنه أمر في غاية الصعوبة».

يلفت برو إلى أن الأسعار مرتبطة بالقطاع الإنتاجي الذي يساهم هو الآخر في تخفيضها «إن ارتفاع الأسعار، في دولة مثل لبنان لا تنتج بل تستورد، أمر طبيعي. فالتاجر الذي يستورد هو الذي يتحكم بالسوق وبالأسعار مع غياب قطاع إنتاجي ينافسه» إضافة إلى غياب ملاحقة المخالفين قانونياً، لأن القضاء معطل.

ويشير برو إلى توقّف الجمعية عن نشر أسعار السلع، إذ إن آخر تقرير أسبوعي نشر بتاريخ 2023/08/14، لماذا؟ «ليس فقط لأننا مَلَلْنا، بل أيضاً بسبب الإعلام الذي يسارع لنشر الأرقام والتركيز عليها فقط». مضيفاً: «وقّفنا هيدا الموضوع قصداً. لأنه بالنسبة إلينا المطلوب من الجميع النظر بمشكلات البلد الحقيقية والبحث عن حلول».

بدأت الجمعية بأهداف محددة وفق برو فـ«مراقبة الأسعار ليست ضمن أدوارنا، بل يكمن دورنا في إحداث وعي اقتصادي اجتماعي ودفع الدولة لإقامة واجباتها عبر تشريع القوانين وتحسين الخدمات الأساسية وتقديم اقتراحات لتحسين الاقتصاد».

مخالفات عديدة

يستذكر برو قرار «دولرة» الأسعار المخالف للمادة 5 من قانون حماية المستهلك ويقول إنه «قرار سياسي خطير ومن المفترض إقامة نقاش واسع يضم مختلف الجهات المعنية. لكن قرار الوزير اتّخذ بجة تحسين أوضاع المستهلك. نحن حذّرنا من هذا الموضوع ولمّحنا إلى بعض النقاط الرئيسية للنتائج السلبية له، كارتفاع الأسعار من مواد وخدمات وصعوبة ضبط الأسعار ومراقبتها. ففي الجولة الأخيرة التي قمنا بها لاحظنا ارتفاعاً في سعر الخضروات والفواكه بنسبة 120% وارتفاع سعر الأجبان والألبان بنسبة تُقارب الـ100%».

كما صرّح برو أن رغم نص الفقرة (ج) من المادة 128 لقانون حماية المستهلك على توزيع الغرامات وثمن البضاعة المحكوم بها بنسبة 10% لجمعيات المستهلك العاملة في لبنان، لم تحصل الجمعية على أيّ مبلغ حتى اليوم «ما شفنا منهم شي، من الـ2005، السنة يلي طلع فيها القانون لليوم ما دفعوا ولا قرش». كما لم تصدر المراسيم التطبيقية والتنظيمية لقانون حماية المستهلك والأمور «متروكة لمزاجية الوزارة».

لمصلحة تابعة لوزارة العدل

يدلي برو أن هناك اجتماعات في اللجنة النيابية الخاصة لتعديل قانون حماية المستهلك «لقد تقدّمنا بورقة للجنة النيابية بعد أن قرأنا المسودة التي وصلت إلينا، التي تتضمّن إعطاء صلاحيات إضافية لوزير الاقتصاد. فالمستهلك اليوم غير محمي. نحن الجهة المعنية في هذا الموضوع ونحن من نمثل قانوناً المستهلك وليس الوزير أو أي جهة أخرى. ومن المفترض أن نقوم نحن بالترافع أمام المحاكم باسم المستهلك». ويضيف: «تقدّمنا باقتراح منذ 2008 ندعو فيه ألا تكون مرجعية حماية المستهلكين لنفس جهة مرجعية التجار». فكيف يمكن حماية المستهلك وحماية المسؤول بالإلحاق الضرر بالمستهلكين في آن واحد؟ «طلبنا أن تخرج المصلحة من وزارة الاقتصاد. وقدّمنا مشروع قانون للجنة النيابية فكان الرد سلبياً». ويشير برو إلى أن مسألة حماية المستهلك تعود للدولة وللوزارات المعنية وليس للجمعية، فالأخيرة هي للدفاع عن المستهلك، أمّا القانون فلحمايته.

يقترح عبود إنشاء «مصلحة لحماية المستهلك تكون تابعة لوزارة العدل لا وزارة الاقتصاد. كمصلحة الـAntitrust authorities في الولايات المتحدة الأميركية التابعة لوزارة العدل، إذ يمكن دورها كجهة ادّعاء، أي مدّع عام للشؤون التنافسية لملاحقة السياسات الاحتكارية».

التقارير الاسبوعية لسلّة الاسعار 2023

في العمق

معنّفو الأطفال: ماذا بعد القرار الظني؟

(أرشيف ـ الأخبار)

شكلت قضية حضانة Garderêve وقضية مقتل الطفلة لين صدمة للمجتمع اللبناني، نتيجة العنف الوحشي تجاه أطفال لم يرتكبوا أيّ ذنب سوى أنهم وُجدوا في المكان الخطأ مع أشباه بشر وأنهم لا قدرة لهم ولا قوة للدفاع عن أنفسهم بمواجهة أشخاص من المفترض أنهم مصدر للأمان والرعاية. من يطّلع على تفاصيل القرارين الظنيّين الصادرين في القضيتين يدرك مدى البشاعة التي وصل إليها المجتمع. ولا سيّما في قضية الطفلة لين، من دون التقليل من خطورة الجريمة المرتكبة بحق أطفال الحضانة. فالإمعان في ارتكاب الجريمة وإخفائها ومحاولة طمس الحقائق واشتراك الأمّ والجدّة والجدّ بالتستّر على المجرم، وصولاً إلى وفاة الطفلة بسبب الامتناع عن إسعافها أمر لا يتصوّره عقل ولا منطق

نائلة نحلة

أصدرت قاضية التحقيق في جبل لبنان رانيا يحفوفي قرارها الظني بملف حادثة حضانة Garderêve في وقت يعدّ قياسياً في ظل العطلة القضائية وما يعانيه السلك القضائي من تأخر في الإجراءات بشكل عام. وورد في الفقرة الحكمية الآتي:

«نحن قاضي التحقيق في جبل لبنان، نقرر وفقاً لمطالعة النيابة العامة وخلافاً لها:

1- اعتبار فعل المدعى عليها دجيني بشارة الخوري من قبيل الجناية المنصوص عليها في المادة 547/201 من قانون العقوبات والظنّ بها بمقتضى الجنحة المنصوص عليها في المادة 554/559/257 من قانون العقوبات.

● الظنّ بالمدّعى عليه طوني طوني مهنا بمقتضى الجنحة المنصوص عليها في المادة المشار إليها أعلاه من قانون العقوبات.

● الظنّ بالمدّعى عليها جومانا بو سعيد بمقتضى الجنحة المنصوص عليها في المادة 567/ عقوبات ومنع المحاكمة عنها بقية الجرائم المسندة إليها لعدم تحقّق عناصر بحقها، وإتباع الجنحتين بالجناية للتلازم.

2. تخلية سبيل المدّعى عليها جومانا بو سعيد بالنظر إلى ماهية الجرم ومدة التوقيف، وردّ طلب تخلية سبيل المدعى عليه طوني مهنا، كما ردّ طلب تعيين طبيب شرعي للمدّعى عليها دجيني الخوري.

3- إيجاب محاكمتهن أمام محكمة الجنايات في جبل لبنان، وتدريكهن الرسوم والنفقات».

رغم اعتراض أهالي الأطفال وامتعاضهم من الفقرة الحكمية الثانية التي قضت بإخلاء سبيل المدّعى عليها جومانا بو سعيد لأنهم يعدّون التقاطها للمقاطع وسكوتها لأكثر من ستة أشهر عن جريمة تُرتكب بحق أطفالهم مشاركة بالجرم وليس مجرد تستّر، إلا أنه لا يمكن إنكار أن هذا القرار جاء في موقعه إن كان لناحية السرعة في إصداره أو لناحية المواد التي ظنّ بها في حق المدّعى عليهن، ولا سيّما قرار رد طلب تعيين طبيب شرعي للمدّعى عليها دجيني الخوري، الذي قطع الطريق أمام محاولة استفادة الأخيرة من عذر تخفيفي بعد الإيحاء بأنها تعاني مشاكل نفسية.

تداولت وسائل إعلامية أخيراً خبر صدور قرارين عن الهيئة الاتهامية في جبل لبنان برئاسة القاضي كمال نصّار، في ما يتعلق بقضية الحضانة، قضى الأوّل بفسخ قرار قاضية التحقيق في جبل لبنان رانيا يحفوفي السالف الذكر لجهة إخلاء سبيل جومانا بو سعيد، وبالتالي إبقائها موقوفة. وقضى الثاني بتصديق قرار عدم إخلاء سبيل صاحبة الحضانة وإبقائها موقوفة أيضاً.

تشكل هذه القرارات، من حيث مضمونها والمدة التي صدرت فيها، بارقة أمل في ظل التأخر في الإجراءات في ملفات أخرى. ويعوّل أن يستمر العمل على هذا المنحى أثناء السير في المحاكمة، وصولاً إلى إصدار حكم مبرم يكون رادعاً لكل من تسوّل له نفسه من العاملين في هذه القطاعات الحساسة ارتكاب أي جرم مماثل أو حتى ارتكاب أي مخالفة مهما صغر حجمها. كما يكون محفّزاً لأصحاب هذه المراكز والقيّمين عليها للتقيّد بالإجراءات القانونية المفروضة عليهم والتدقيق في مراقبة العاملين لديهم واختيارهم وفق معايير تناسب الفئات المستهدفة. كذلك بشكل صافرة إنذار في وجه المسؤولين والمؤسسات الحكومية المرتبطة بشكل مباشر كوزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة الصحة وغيرها لضرورة التنسيق وتشديد الإجراءات الرقابية على هذه المؤسسات للتأكد من توفر الشروط اللوجستية والبشرية والصحية عند التأسيس وخلال فترة العمل من خلال الرقابة الدورية المفاجئة بشكل مستمر.

كما نأمل أن يُعتمد هذا النهج في جميع الملفات المطروحة على القضاء وألّا تكون الإجراءات الحاسمة والسريعة محصورة بالملفات التي يسلّط الضوء عليها إعلامياً.

«يُعاقب بالإعدام»

شكّل القرار الظنّي الذي أصدرته قاضية التحقيق الأولى في الشمال سمرندا نصّار في قضية وفاة الطفلة لين طالب صدمة لناحية تفاصيل الجريمة التي ارتكبت بحق الطفلة من أقرب أقربائها وتركها تموت دون إنقاذها والتستّر من قبل الأم التي لم تحاول حتى إسعاف ابنتها، رغم تأكيد الأطباء أن التدخل الطبي السريع كان من الممكن أن ينقذ حياتها.

وبناءً على التحقيقات والدلائل، أصدرت القاضية نصّار قرارها بالظن بخال الطفلة بالمواد 503 و504 و549 من قانون العقوبات، والجد والجدة والوالدة بالمادة 549.

المواد القانونية

تنصّ المادّة 503 من قانون العقوبات على أنّ «من أكره غير زوجه بالعنف والتهديد على الجماع، عوقب بالأشغال الشاقة خمس سنوات على الأقل، ولا تنقص العقوبة عن سبع سنوات إذا كان المعتدى عليه لم يتمّ الخامسة عشرة من عمره».

فيما تنصّ المادّة 504 على أن «يُعاقب بالأشغال الشاقة المدّة خمس سنوات على الأقل من جامع شخصاً غير زوجه لا يستطيع المقاومة بسبب نقص جسدي أو نفسي أو بسبب ما استعمل نحوه من ضروب الخداع، ولا تنقص العقوبة عن سبع سنوات إذا كان المعتدى عليه لم يتمّ الخامسة عشرة من عمره».

> **لإجراءات قضائية حاسمة وسريعة غير محصورة بملفات يسلّط الضوء عليها إعلامياً**

أما المادّة 549 فتنصّ على أنّ «يُعاقب بالإعدام على القتل قصداً إذا ارتكب عمداً، تمهيداً لجناية أو تسهيلاً أو تنفيذاً لها أو تسهيلاً لفرار المحرّضين على تلك الجناية أو فاعليها أو المتدخّلين فيها أو للحيلولة بينهم وبين العقاب، على أحد أصول المجرم أو فروعه».

ما يلي القرار الظني؟

يباشر قاضي التحقيق إجراءاته وتحقيقاته ليصل بها إلى قرار ظني ليجري الظن بالمدّعى عليه حول ماهية الجرم المرتكب. وإذا عدّ قاضي التحقيق في قراره أن الفعل المدّعى به من نوع الجناية، يحيل الملف إلى النيابة العامة لتودعه الهيئة الاتهامية.

تضع الهيئة الاتهامية يدها بصورة موضوعية على الملف، إذا رأت أن الدعوى مكتملة التحقيق ولا جدوى من التوسّع فيه، تصدر قرارها الاتهامي إما بمنع محاكمة المدّعى عليه وإطلاق سراحه إذا تبيّن أن الأدلة غير كافية لاتهامه بالجناية، أو باعتبار الفعل جنحة أو مخالفة فتحيل الملف إلى القاضي المنفرد الجزائي أو تتخذ قراراً باتهام المدعى عليه إذا تبيّن لها أن الوقائع والأدلة كافية لاتهامه وتحيله إلى محكمة الجنايات.

وللهيئة الاتهامية، بصرف النظر عما انتهى إليه قرار قاضي التحقيق المحال إليها، أن تجري أي عمل تحقيقي إضافي تلقائياً أو بناءً على طلب النائب العام أو المدّعي عليه أو المدّعي الشخصي.

في المرحلة الأخيرة، يحال الملف إلى محكمة الجنايات حيث تجري المحاكمة من خلال جلسات علنية يستجوب فيها المتهمين مجدداً، بالإضافة إلى الشهود ليصدر الحكم إما بالبراءة أو بالإدانة.

إن التعامل مع هذا الملف بدءاً من النيابة العامة الاستئنافية، مروراً بتعاطي جميع الأجهزة الأمنية والقضائية، وصولاً إلى القرار الظني الصادر عن قاضي التحقيق يدلّ على حرفية عالية وتحمّل للمسؤولية كوننا في عطلة قضائية، والجسم القضائي ككل يعاني مشكلات وتكدّساً في الملفات.

لكن الأسئلة تطرح نفسها: ماذا بعد القرار الظني؟ هل سيستمر سير المحاكمات على الوتيرة نفسها؟ هل سيصدر الحكم النهائي بسرعة وينال المتّهمون عقوبتهم القصوى؟ وفي حال صدور حكم الإعدام، هل سينفّذ؟ علماً أن آخر حكم إعدام نُفّذ في لبنان كان عام 2004.

في الواقع، من المهم تدخل القضاء بسرعة قصوى وبحسم، ولا سيّما في الجرائم المشابهة لجريمة أطفال الحضانة ومقتل الطفلة جراء الاغتصاب، إلا أن الأهم هو التدخل الاجتماعي والأخلاقي الوقائي للحدّ من ارتكاب مثل تلك الجرائم من خلال تنمية مفهوم القيم التي ترعى الحياة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية، والتدخل التربوي الصحيح من قبل الأسرة والمدرسة لإنتاج فرد إيجابي. فالحدّ من الجريمة مسؤولية كل أفراد المجتمع، كلٌ وفق موقعه ووظيفته والرسالة التي يقدّمها.

قضية

كيف حُكِمَ على لبناني زوراً 155 سنة سجناً؟ [3/3]

فبركات «خبير الإرهاب»

كانت كل الاتصالات التي يجريها اللبناني محمد يوسف حمود علنية، ولم يخفِ شيئاً عن المحققين أو عن محيطه أثناء وجوده في الولايات المتحدة الاميركية. وقد تعاون مع المحققين وقال بصراحة عام 2000 إنه يؤيّد «حزب الله» الذي يقاوم الاحتلال الإسرائيلي لبلده. يبدو أن ذلك كان كافياً لإقناع هيئة المحلفين بإدانته. لكن أضيف إلى «اعترافه» هذا، إفادات شهود زور كانوا قد عقدوا صفقات مع الادّعاء العام (راجع الحلقة الثانية، «اتفاق مسبق مع شاهد الادّعاء الرئيسي»)، وإفادة «الشاهد الخبير «ماثيو ليفيت الذي ادّعى عام 2002 ان حمود «قائد خلية حزب الله في أميركا» وقدّم «معلومات» تدل إلى ذلك قبل أن يعود ويفضح كذبه بنفسه في كتاب أصدره عام 2013

عمر نشابة

شهد «الشاهد الخبير» لدى مكتب الادّعاء، ماثيو ليفيت، زوراً بشأن اللبناني محمد حمود، وحرّض المحلفين في المحكمة على إدانته واعتباره «قائد خلية» تابعة لـ«حزب الله» في الولايات المتحدة الأميركية. ففي جوّ مأساة 11 أيلول 2001، ولتصوير حمود على أنه متعطش واللعب على عاطفة هيئة المحلفين، اختلق ليفيت معلومات عن علاقة تنظيمية تربط حمود بقيادة «حزب الله» من دون تقديم أي دليل يثبت ذلك أمام المحكمة التي سمحت بتمرير شهادته الكاذبة هذه دون التأكد من صحتها.

حجبت الحكومة معلومات ذات صلة ومواد متعلقة بانحياز ليفيت وخبرته الناقصة بشأن «الإرهاب». فقد قيّدت المحكمة استجواب الدفاع لـ«الشاهد الخبير» بهدف منع انكشاف افتقاره إلى الخبرة وعدم وجود قرائن يمكن الاستناد إليها للأخذ بادعاءاته عن حمود. فقد شهد ليفيت بشكل مضلل مدّعيًا أن:

● «نوع التعليم الذي تلقوه هناك (في مدرسة النور في برج البراجنة) كان تعليمًا خاصًا بحزب الله، تعليمًا دينيًا للغاية ولكن ليس فقط تعليمًا دينيًا بل دينيًا من نوع معيّن، مناهض للغرب بشدة ومناهض لأميركا بشدة ومؤيّد لإيران بشدة».

برتاده (حمود) في حيّنا ...».

المدّعي العام: «لن يتبع هذا المسجد؟».

حرب: «في البداية كانت (حركة) أمل، كما تعلم. كان لديهم شيخ هناك يلقي الخطب طوال الوقت...».

حرب: «ربما يكون الشيخ من (حركة) أمل، لكن جميع الأعضاء كانوا إلى حد كبير من حزب الله».

المدّعي العام: «أين يقع مسجد فضل الله في لبنان؟»

حرب: «إنه في حارة حريك، في منطقة تسمى حارة حريك».

المدّعي العام: «وقبل ذلك، أين كان المسجد؟».

حرب: «في بير العبد».

المدّعي العام: «أليس مسجد الحسن بن علي؟».

حرب: «لا».

ربما علم المدّعي العام، أو كان عليه أن يعلم، أن محضر مقابلة حرب أظهر أنه لم يذكر أي شيء في ما يتعلق بمدرسة حمود والمسجد، كما أشار روبرت باير الذي استدعي كشاهد:

● أما بشأن علاقة محمد حمود المزعومة بـ«حزب الله» فقد استندت المحكمة إلى ادّعاء ليفيت الكاذب بأن العلامة الراحل السيد محمد حسين فضل الله كان مسؤولًا رفيعًا في الحزب وقد تسلّم من حمود أموالًا أرسلها من الولايات المتحدة لدعم «حزب الله». كما ادّعى ليفيت أن سهولة اتصال حمود بفضل الله تثبت أنه يشغل مركزًا مهمًا في الحزب. إذ أفاد ليفيت أمام المحكمة: «لا أعتقد أنه سيكون من السهل الوصول إليه (إلى السيد فضل الله) فهو مثل أي قائد كبير آخر أو شخصية مهمة. ولديه حاشية كبيرة من الحراس الشخصيين. أنا لا أستطيع أن أتصل بمسؤول أميركي كبير. لا أعتقد أنه يمكنك فقط رفع الهاتف والاتصال بأحد كبار مسؤولي حزب الله أيضاً، فحزب الله لديه أيضاً زعيم روحي كبير وهو الشيخ فضل الله».

> **يفرض القانون الاميركي إعادة المحاكمة عندما يتبيّن أن المحكمة استندت إلى شهادة زور**

لا شك أن الشهادة بأن فضل الله كان مسؤولًا كبيرًا في «حزب الله» كاذبة وغير مدعومة بأي دليل. إذ قال العميل في وكالة المخابرات المركزية (سي آي إيه) السابق جون كيرياكو، الذي استدعي كشاهد: «لا يمكنك الاتصال بمسؤولين كبار في حزب الله عبر الهاتف. وجرى التواصل مع فضل الله عبر الهاتف، ولم يكن من كبار قادة حزب الله». كما أكّد خبراء آخرين من ذوي المصداقية أمام المحكمة، الذين سافروا إلى لبنان ويتحدثون العربية، والذين يبدو أنهم أكثر معرفة بحزب الله من ليفيت، أن فضل الله لم يكن مسؤولًا في «حزب الله».

لم تحقق المحاكمة في ملف سعيد حرب بشكل شامل، وبالتالي لم تلاحظ افتراءات ليفيت. وبناء على ذلك، صدّقت هيئة المحلفين هذه الادّعاءات واستنتجت أن حمود كان بالفعل أحد قادة «حزب الله»، الذي تبرع له بالمال. وهكذا، رغم ضعف مصداقية حرب، قبلت هيئة المحلفين ادّعاءاته وأدانت حمود.

شهد ليفيت أمام المحكمة قائلاً: «كان الأشخاص الذين هم أعضاء في خلية شارلوت يشترون الأسلحة لأحد كبار ضبّاط المشتريات في حزب الله. ومن الواضح أنهم كانوا يرسلون الأموال إلى الأشخاص المتورطين في العمليات الإرهابية». وادّعى أن هذه المعلومات مبنية على شهادة حرب ولكن بعد المراجعة تبيّن أن شهادة حرب لا تتضمّن مثل هذه الادّعاءات.

كما شهد ليفيت زوراً بأنه اطّلع على رسائل تلقّاها حمود من شخص يدعى أبو آدم، شكره فيها على جمع الأموال. لكن ذلك يتعارض بشكل مباشر مع البيان الذي قدّمه ليفيت لاحقًا بأن الرسالة تنصّ، بعد الترجمة، على أنها تلتمس الأموال، لا تشكر حمود على تبرعه.

أضاف ليفيت في شهادته أمام المحكمة أن «من بين الأشياء التي ضُبطت إيصالات من مكتب فضل الله نفسه لأموال جرى التبرع بها من الخلية، بما في ذلك إيصال واحد على الأقل أذكره بالتحديد، من محمد حمود... من محمد حمود إلى حزب الله ثم إيصال من مكتب فضل الله إلى محمد حمود». وكان هذا افتراءً واضحًا. والحقيقة هي أن حمود لم يتلقَ سوى إيصال من السيد فضل الله ولا علاقة لـ«حزب الله» بهذا الأمر. وشهد ليفيت قائلاً: «إن السبب وراء احتلال إسرائيل للبنان باستثناء حزب الله هو وجود منظمة فلسطينية كبيرة».

وهذا كذب واضح لأن إسرائيل غزت لبنان عام 1982، قبل تأسيس «حزب الله». وكان الغزو يهدف إلى طرد فصائل المقاومة الفلسطينية من لبنان، وليس «حزب الله».

ليفيت يفضح نفسه بنفسه

لعل أفضل وأدق مصدر يمكن الاستناد إليه لكشف افتراءات «الشاهد الخبير» ماثيو ليفيت بحق محمد حمود هو كتاب وضعه ليفيت نفسه عام 2013 بعنوان «حزب الله البصمة العالمية لحزب الله في لبنان» Hezbollah: The Global Footprint of Lebanon's Party of God. اعترف ليفيت في الكتاب بأنه لم يدرس «حزب الله» بجدية إلا بعد محاكمة حمود. وكتب: «لقد جعلتني التجربة مقتنعاً بضرورة إجراء دراسة جادة تركّز على أنشطة حزب الله السرّية في جميع أنحاء العالم». وهذا إقرار واضح بأنه ليس «خبيراً» كما ادّعى أمام المحكمة الفيدرالية الأميركية.

وفي ما يتعلق بالتسلسل الهرمي للقيادة الداخلية للفرع العسكري لـ«حزب الله»، اعترف ليفيت بسرّيته العالية: «لا يُعرف سوى القليل عن التسلسل الهرمي للقيادة الداخلية للجناح العسكري لحزب الله بسبب طبيعته السرّية للغاية واستخدامه لإجراءات وقائية متطورة». وكتب أيضًا: «نظرًا للطبيعة السرّية للجناح الإرهابي لحزب الله، فمن الصعب جمع معلومات عن دوره وأنشطته... يبذل حزب الله جهودًا كبيرة لإخفاء أنشطته السرّية وغير المشروعة، ما يعقّد بشدة احتمال إجراء عمليات مفتوحة المصدر». بحث حول الموضوع، وتابع أن «عناصر حزب الله يستخدمون جوازات سفر وجنسيات أجنبية، ويستخدمون أسماء مسيحية».

وهنا، يقرّ ليفيت أيضاً بأن ادّعاءاته أمام المحكمة عن معرفته بشأن هيكلية القيادة في «حزب الله» وأسلوب عمله كانت تجافي الحقيقة.

لا شك أن الملاحظات التي ذكرها ليفيت في كتابه تتعارض تمامًا مع الأدلة المتعلقة بسلوك «خلية شارلوت حزب الله» المزعومة. وتبيّن تلك الملاحظات أن هذه المجموعة من الأشخاص لم تكن بأي حال من الأحوال «خلية إرهابية».

أما بشأن السيد الراحل محمد حسين فضل الله فورد في كتاب ليفيت: «ظل حمود أيضًا على اتصال بمحمد حسين فضل الله. وبحلول ذلك الوقت، لم يعد فضل الله تابعًا رسميًا لحزب الله، وبحسب بعض الروايات، لم يعد المستشار الروحي للجماعة أيضًا».

هذه التصريحات تتناقض مع شهادته حول النقاط الجوهرية التي ذكرها في المحاكمة، والتي كررها المدّعي العام بلا تردد ومن دون أن يتأكد من مصداقيتها: «فضل الله هو حزب الله؛ وارتباط حمود بفضل الله يثبت أنه حزب الله. والمال لفضل الله هو مال لحزب الله».

كما كتب ليفيت: «حزب الله يعتمد بشكل شبه حصري على السخاء الإيراني، الذي تراوح بين 100 إلى 200 مليون دولار سنوياً أو أكثر». وهكذا اعترف بأن «حزب الله» لا يعتمد على تبرعات المواطنين في الخارج. وبالتالي كان ليفيت يعلم أن لا وجود لـ«خلية حزب الله في كارولاينا الشمالية تعمل على تمويل حزب الله من الولايات المتحدة الأميركية»، وأن محمد حمود هو شاب لبناني، مؤيّد لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي لبلده ويرسل بعض الأموال لوالدته بين الحين والآخر وقد ظُلم من خلال الحكم عليه وبقائه 23 سنة في السجون الأميركية.

> **استندت المحكمة الخاصة بلبنان على مزاعم نفس «الشاهد الخبير» المضلّلة لإدانة مقاومين باغتيال الرئيس الحريري**

لكن المشكلة تتعلق بالمحكمة الأميركية التي لم تكلف نفسها التدقيق في مصداقية «الشاهد الخبير». فالمحكمة لم تكن تعلم أن ليفيت لم يزر لبنان ولا يتقن اللغة العربية مثلاً. ولم يعلم ليفيت أن جمعية المبرات الخيرية الإسلامية، وهي جمعية أسسها السيد فضل الله، كان لديها فروع داخل الولايات المتحدة الأميركية وكان لديها مكتب في مدينة ديترويت مثلاً.

ولم يذكر في معرض تقديم ماثيو ليفيت أمام المحكمة على أنه «الشاهد الخبير» الرئيسي أنه عمل لصالح الحكومة الإسرائيلية.

أخيرًا، لا بد من الإشارة إلى أن القانون الأميركي يفرض إعادة المحاكمة عندما يتبيّن أن المحكمة استندت إلى شهادة زور أو إذا كان لشهادة الزور تأثير معقول على حكم هيئة المحلفين. لكن ذلك لم يحصل. بل ما حصل هو العكس تماماً حيث بات ماثيو ليفيت الشاهد «الخبير» المعتمد دولياً في المحاكم والمحافل والجامعات الغربية والمؤتمرات ووسائل الإعلام لاختلاق المزاعم عن «حزب الله».

صورة اخرى لحمود مع صور للإمام الخميني والسيد علي الخامنئي والسيد نصر الله. هذه الصور لا تثبت شيئاً لكن هيئة المحلفين اقتنعت بانها تشكّك دليلاً على ان حمود كان منظماً في «حزب الله»

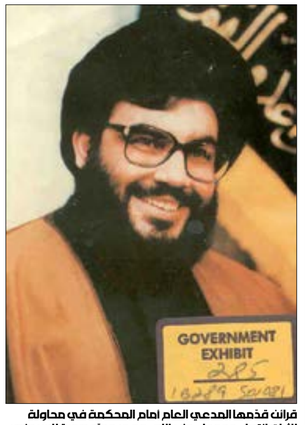

قرائن قدّمها المدعي العام امام المحكمة في محاولة لأثبات انتماء حمود لـ«حزب الله» وهي مجزد صورة للسيد نصر الله وجدها المحققون في منزله في كارولاينا الشمالية

من هو ماثيو ليفيت؟

ماثيو ليفيت، هو يهودي أميركي تلقّى تعليمه الثانوي في مدرسة يهودية أرثوذكسية بولاية ماساتشوستس، ثم انتقل إلى جامعة «يشيفا» اليهودية في مدينة نيويورك، حيث حصل منها على شهادة بكالوريوس في العلوم السياسية، ثم حصل على الماجستير والدكتوراه من كلية «فليتشر» للقانون والدبلوماسية في جامعة «تافتس».

دُعي للشهادة أمام لجان الكونغرس الأميركي نحو تسع مرات بين عامي 2005 و2018 حيث شارك في جلسات الاستماع التي عُقِدَت للتحريض على «حزب الله».

ليفيت، معروف بادّعاءاته الكاذبة حول دور «حزب الله» في تجارة المخدرات انطلاقاً من أميركا اللاتينية، واستخدام الحزب العنف في الداخل والخارج، وانتشاره العالمي، وتصنيفه «منظمة إرهابية» بكل وحداته لتضييق نشاطه.

أسّس ليفيت عام 2007 برنامج «الاستخبارات ومكافحة الإرهاب» الذي يُعدّ من أهم البرامج البحثيّة في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى الذي أسسته أيباك (AIPAC) عام 1985. وتندرج من ضمن نشاط هذا البرنامج جهود التحريض على حركات المقاومة ومصادر تمويلها ولا سيّما «حزب الله». وفق بيانات خدمة الإيرادات الداخلية الأميركية، بلغ حجم تمويل البرنامج 858 ألف دولار سنوياً، وقد بلغ الذروة عام 2016 ليصل إلى 1,392,000 دولار. ويتكتّم معهد واشنطن على مصادر تمويله.

23 سنة من الظلم

■ 20 تموز 2000: صدرت بلاغات جنائية ضد ستة عشر متهماً بالضلوع في تجارة ممنوعة وتهريب البضائع والتهرب الضريبي. كان محمد حمود من بينهم.

اتُّهم حمود في البداية بالتآمر لنقل وبيع وتوزيع سجائر محظورة. وبالتهرّب من قوانين الهجرة.

■ 21 تموز 2000: اعتقلت السلطات الأميركية محمد حمود.

■ 28 تشرين الثاني 2000: عُيّن المحامي ريتشارد فولز للدفاع عن حمود. كان فولز قد تخرّج من كلية الحقوق قبل ثلاثة سنوات فقط (1997) وكانت هذه القضية هي أول قضية يرافع فيها أمام المحكمة الفيدرالية.

■ 28 آذار 2001: قدم المدّعي العام لائحة اتّهام بديلة تزعم أن حمود وشخص يدعى سعيد حرب وآخرين يشكلون مشروعاً إجرامياً أطلق عليه الادّعاء اسم «خلية شارلوت حزب الله».

زعم الادّعاء، أن أعضاء «الخلية» تورّطوا في عمليات احتيال تتعلق بالهجرة، والاحتيال على بطاقات الائتمان، وتهريب السجائر، وغسل الأموال من أجل تهريب الأموال. وذلك بهدف:

(1) إثراء أنفسهم وشركائهم.

(2) تقديم بعض العائدات غير القانونية إلى «حزب الله» المصنف «منظمة إرهابية» أجنبية في الولايات المتحدة.

(3) تعزيز أنشطة أعضاء الخلية المزعومة.

■ 23 أيار 2002: بداية جلسات محاكمة محمد حمود وشقيقه شوقي. وكان محمد حمود يحاكم على أساس أنه «زعيم خلية شارلوت التابعة لحزب الله»، وأنه كان قد استخدم «منصبه القيادي» لدعم وجمع «آلاف غير معروفة» من الدولارات التي أُرسلت إلى عناصر حزب الله في لبنان من أجل «نشاط حزب الله العنيف في جنوب لبنان».

كما ورد في لائحة الاتّهام أن حمود أرسل 3500 دولار أميركي إلى «حزب الله».

■ 4 حزيران 2002: نهاية جلسات المحاكمة بعد مرور أقل من ثمانية أسابيع. وصدور حكم الإدانة عن هيئة المحلفين.

استبدل المحامي ستانلي كوهين، بعد انتهاء جلسات المحاكمة، بالمحامي ريتشارد فولز. وقد مثل كوهين في جلسة النطق بالحكم.

■ 28 شباط 2003: حكمت المحكمة على حمود بالسجن لمدة 155 عاماً.

■ 2 آب 2004: أيّدت محكمة الاستئناف الحكم من جميع النواحي.

■ 26 كانون الثاني 2011: أعيد النظر بمدة العقوبة وعُدّلت من 155 سنة إلى 30 سنة.

13 حزيران 2023: أطلقت السلطات الأميركية سراح محمد حمود بعد قضائه 23 سنة ظلماً في السجون الأميركية.

فينتانيل

قاتل «أفيوني» في جرعـــات صغيرة

شديد الفعالية

50 مرة اقوى من الهيروين

100 مرة اقوى من المورفين

2 ملغرام فقط هي الجرعة القاتلة

الجرعة القاتلة بالنسبة الى:

قلم رصاص

عملة معدنية

نوعان:

1 مخدّر علاجي
- تحت إشراف الطبيب
- لمعالجة الأوجاع والآلام الشديدة المترافقة مع مرض السرطان أو ما بعد الجراحة

2 غير مشـروع
- على شكل مسحوق بعد إضافة مخدرات أخرى (الهيروين، الكوكايين، الميثامفيتامين)
- على شكل سائل في بخاخات الأنف، أو قطرات العين، أو حلوى ما يجعله: الأرخص، والأكثر قوة، والأكثر إدمانًا، والأكثر خطورة

الخطر عالمي
أميركا الأكثر تضررًا

اميركا > 100.000
حالة وفاة بسبب جرعة زائدة من المخدرات والفينتانيل مسؤول عن اكثر من 70٪ من هذه الوفيات

كندا > 5.000
حالة وفاة بسبب جرعة زائدة من المخدرات والفينتانيل مسؤول عن اكثر من 40٪ من هذه الوفيات

اوروبا > 10.000
حالة وفاة بسبب جرعة زائدة من المخدرات والفينتانيل مسؤول عن اكثر من 10٪ من هذه الوفيات

المكسيك > 100.000
طن من الفينتانيل ضبطتهم السلطات المكسيكية المصدر الرئيسي الى اميركا

الصين > 10.000
طن من الفينتانيل ضبطتهم السلطات الصينية اكبر منتج للفينتانيل في العالم

بعض علامات الجرعة الزائدة

- بؤبؤ العين الضيق
- فقدان الوعي
- الجلد البارد و/او الرطب
- تنفس بطيء او ضعيف او معدوم
- اصوات الاختناق او الغرغرة
- تغيّر لون الجلد (خاصة في الشفاه والاظافر)

أسماء فينتانيل

أباتشي	Apache
جاك بوت	Jackpot
رانس فيفر	Dance Fever
مردر 8	Murder 8
فريند	Friend
غود فيلا س	Goodfellas

- الاحصاءات والارقام تعود الى عام 2021
- المصادر: المركز الوطني للإحصاء الطبي NCHS، ومراكز السيطرة على الامراض والوقاية منها (CDC)، ومجلس العلاقات الخارجية، وإدارة مكافحة المخدرات في الولايات المتحدة الاميركية

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون، بشرى زهوة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous alqaous22 al_qaous alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com